

د. رمسيس عوض

# اليهود والأدب الأمريكي المعاصر



مكتبة  
دار  
الكتاب





سلسلة شهرية تصدر عن

# دار الهلال

الإصدار الأول يونيو ١٩٥١

رئيس مجلس الإدارة **مكرم محمد أحمد**

رئيس التحرير **مصطفى نبيل**

سكرتير التحرير **عادل عبد الصمد**

## مركز الإدارة

دار الهلال : ١٦ ش محمد عز العرب

ت : ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط

فاكس : 3625469 - FAX

العدد ٥٧٥ - رجب - نوفمبر ١٩٩٨

NO - 575 - NO - 1998

### أسعار بيع العدد فئة ٥٠٠ قرش

سوريا ١٧٠ ليرة - لبنان ٥٠٠٠ ليرة - الأردن ٢ ديناراً - الكويت

١,٥ دينار - السعودية ١٥ ريالاً - البحرين ١,٥ دينار - قطر ١٥

ريالاً - دبي / أبوظبي ١٥ درهما - سلطنة عمان ١,٥ ريال

**اليهود  
والأدب الأمريكي  
المعاصر**

**بقلم**

**د . رمسيس عوض**

**دار الهلال**

الغلاف للفنان  
حلمى التونى

## ١ - دور المجلات اليهودية الثقافية :

ليس من شك فى أن يهود أمريكا فى يومنا الراهن يحتلون مكانة بارزة فى الأدب الأمريكى الحديث . وهم لا ينكرون أنهم يحتلون هذه المكانة العالية بل يتحدثون عنها بفخر واعتزاز . وهم بذلك يدخلون الطمأنينة فى نفوس المواطنين الأمريكان ويشعرونهم بأنهم شركاء لهم فى هذه المواطنة ، وأنهم لم يعودوا غرباء كما كان الحال عليه فى الماضى . ويهود أمريكا يملكون مراكز أبحاث خاصة بهم تعمل على ترسيخ اقتناع اليهودى الأمريكى بأنه جزء لا يتجزأ من نسيج المجتمع الأمريكى . وإنى استقى هذه الدراسة من كتابات ومباحث اليهود الأمريكان أنفسهم التى تنشرها مراكز الدراسات اليهودية فى الولايات المتحدة . وفى هذه الدراسات نعرف الأسماء اليهودية اللامعة فى مجال النقد الأدبى فى أمريكا اليوم أمثال ليونيل تريلنج (Lionel Trilling) وفيليب راهف (Philip Rahv) وألفريد كازين (Alfred Kazin) ولسلى فيلدر (Les lie Fielder) وأرفنج هاو (Irving Howe) . وأيضاً لمعت فى الرواية الأمريكية الحديثة والمعاصرة كوكبة من أشهر الروائيين اليهود الأمريكان مثل الشاعر ديلمور (Delmore) وشوارتز (Schwartz) وشافول بيلو (Saul Bellow) ونورمان مالر (Norman Mailer)

وفيليب روث (Philip Roth) . وبإنهاء الحرب العالمية الثانية (١٩٤٥) بات من الواضح أن هذه الأسماء قد استقرت في صميم الأدب الأمريكي ، وأصبحت رافدا جوهريا من روافده . وهو رافد بدأ في العشرينات من القرن العشرين وخاصة في فترة الكساد العظيم الذي اجتاح الغرب والعالم كله في الثلاثينات ثم تعمق في العقد الخامس بعد قيام هتلر بإبادة اليهود إبادة جماعية وسعى هؤلاء اليهود الحثيث لإقامة دولة اسرائيل . ويمكن القول بأن الخمسينات توجت بنجاح الجهود التي بذلها اليهود في مطلع القرن العشرين لاثبات وجودهم في ساحة الأدب الأمريكي منذ أن أنشأوا مجلة مينورا (The Menorah Journal) في العشرينات والبارتيزان ريفيو (Partisan Review) ومجلة «التعليق» (Commentary) التي بدأت في أواخر الأربعينات واستمرت حتى عام ١٩٧٠ تقريبا. وإذا كان الرعيل الأول من الكتاب اليهود غرباء على الأدب الأمريكي فإن الرعيل الثاني منهم استوعب الثقافة الأمريكية استيعابا كاملا وتخلى نهائيا عن شعوره بالتفوق في شرنقة الفكر اليهودي الصرف وخرج من هذه الشرنقة ليلتحم إلتحاما كاملا بالثقافة الأمريكية . ولا غرو فقد أصبح يتلقى نفس التعليم الذي يتلقاه الأمريكي ويعيش نفس حياته ويشاركه نفس

أفكاره ومشاعره . ولم تعد هويتهم اليهودية تهمهم بقدر اهتمامهم بتمثل الحياة الغربية واستيعابها . ومما لا شك فيه أن تمثلهم الكامل للحياة الأمريكية بوجه خاص والغربية بوجه عام يرجع إلى حد ما إلى رغبتهم في تجنب المشاعر العادية للسامية فضلا عن تجنب ما قد يلحق بهم كأقلية من أضرار اقتصادية .

ومن أبرز مظاهر التمثيل اليهودي الكامل للحياة الأمريكية إنشاء جمعية عام ١٩٠٦ في جامعة هارفارد تهدف إلى اندماج اليهود في المجتمع الأمريكي وتحمل هذه الجمعية اسم جمعية مينورا بجامعة هارفارد . وليس أدل على نجاحها من أنها أقامت في العشرينات أماكن للعبادة مخصصة لليهود فيما لا يقل عن ثمان عشرة كلية أمريكية . ومن المهم أن نذكر أن هذه الجمعية الجامعية أنشأت عام ١٩١٥ مجلة ثقافية وعلمانية خطيرة الأثر تعرف بمجلة مينورا التي كان هنري هيرويتز (Henry Hurwitz) أول من تولى رئاسة تحريرها حتى وفاته عام ١٩٦١ . والجدير بالذكر أن هذه المجلة توقفت في العام التالي لوفاته وقد سعت هذه المجلة لتجنيد جميع الموارد اليهودية لدعم الجهود التي يبذلها اليهود للاسهام في إثراء الحياة الفكرية الأمريكية ، ناهيك عن تعميق هويتهم الأمريكية .

وصل نشاط مجلة مينورا الثقافي ذروته في الخمس عشرة سنة



الأولى من إنشائها ثم أخذ نشاطها يخبو بمرور الزمن . ورغم ذلك فقد لعبت هذه المجلة دورا بارزا فى التحام اليهود بالأمريكان والتحام الأمريكان باليهود الأمر الذى مكن اليهود الأمريكان من الاحتفاظ بطابعهم الثقافى المميز دون أن يذوبوا ذوبانا كاملا فى بوتقة الثقافة الأمريكية . وهكذا تخلص اليهود عن عزلتهم التقليدية وباحساسهم المتفرد عن بقية خلق الله دون أن يفقدوا كياناتهم النفسانى . واستطاعت مجلة مينورا تحقيق الأهداف الثلاثة التى وضعتها نصب عينها : (أولا) إلقاء الضوء على الماضى اليهودى واستعادته فى ضوء علم النفس الحديث ، (ثانيا) مناقشة حياة اليهود ومشاكلهم فى الولايات المتحدة والعالم مناقشة حرة ومفتوحة أمام جميع الاتجاهات والتيارات ، (ثالثا) العمل على نشر الأعمال الخلاقة للكُتَّاب والفنانين اليهود فى كل المجالات .

وبعد هنرى هيرويتز تولى اليهودى ألبرت كوهين رئاسة تحرير هذه المجلة ، تخرج كوهين فى جامعة بيل فى الثامنة عشرة من عمره . وكان يحلم بأن يصبح أستاذا للأدب الانجليزى . ولكن هذا لم يتحقق لأن أقسام الأدب الانجليزى بالجامعات الأمريكية آنذاك كانت مقتنعة بعدم قدرة اليهود على الاضطلاع بهذه المهمة . ويذهب أول مقال نشره كوهين فى مجلة مينورا عام ١٩٢٣ إلى



ضرورة انخراط اليهود فى المجتمع الثقافى والفكرى الأمريكى حتى لا يصبحوا جزيرة منعزلة عنه . وقد أوتيت هذه الدعوة التى بدأت فى العشرينات ثمارها فى عقد الخمسينات .

ورغم أن كوهين لم يكن أديبا بمعنى الكلمة فإنه تمتع بموهبة فذة فى اكتشاف الأدباء واستطاع أن يستكتب فى فترة رئاسته تحرير المجلة كوكبة من ألمع النقاد والمفكرين أبرزهم الناقد المعروف ليونيل تريلنج Lionel Trilling إلى جانب ألبرت هالبر Albert Halper وتيس سلسنجر Tess Slesinger وكليفتون فاديمان Clifton Fadiman وآخرين فضلا عن أنه نجح فى استكتاب عدد كبير من ألمع نجوم الكتابة السياسية فى الثلاثينات وتدل الرسائل المتبادلة بين كوهين رئيس تحرير مجلة مينورا وبين ازيدور شنيدر Isodor Schneider على أن جميع المشتركين فى تحرير المجلة كانوا على وعى تام بالدور الذى يلعبونه فى ادماج اليهود فى المجتمع الأمريكى . والجدير بالذكر أن اهتمام ازيدور شنيدر بالاشتراكية والأدب كان يفوق اهتمامه بهويته اليهودية . والتقت الرجل منه حوله إلى أقرانه اليهود الذين يتحدثون اللغة الانجليزية فوجد أنهم يحتلون مكانة هامشية وتافهة فى تيار الحياة الأمريكية الأمر الذى جعله يعلق آماله على الانتاج الأدبى والفكرى ليهود روسيا وشرق

أوروبا الذين يتحدثون اللغة الخاصة بهم المعروفة باليديش Yiddish وهي لغة تنحدر من الألمانية الدارجة وليس من العبرية . وأحس شنيدر بالفخر الشديد لأن اينشتاين وماركس وفرويد كانوا من اليهود .

ولكن من الخطأ أن نظن أن مجلة مينورا اقتصرت على أقلام اليهود فقط فقد استطاعت اجتذاب غير اليهود إليهم . وكانت كتابات كوهين أحسن تعبير عن التغير الملموس الذي طرأ على اليهودى فى أمريكا فقد إلتحم بالفكر الأمريكى دون أن يفقد هويته اليهودية . ولهذا قبله المجتمع الأمريكى فى الخمسينات كجزء لا يتجزأ من هذا المجتمع .

ويشرح الناقد ليونيل تريلنج هذه الروح اليهودية الجديدة قائلاً إنها لا تربطها بالدين اليهودى أية رابطة بل هى مجرد اعتزاز اليهودى بانحداره من أصل يهودى وعدم الخجل منه مقرونا بالادراك أن اليهود ليسوا فوق مصاف البشر ويشاركون بقية افراد المجتمع الأمريكى سخافاتهم وتعقيداتهم .

أسهم ليونيل تريلنج اسهاما غزيرا بكتاباته فى مجلة مينورا فى الفترة من عام ١٩٢٦ حتى عام ١٩٢١ . وكانت كل مقالاته فى مينورا تدور حول دور اليهودى فى الأدب . غير أن رأيه فى الانتاج

الأدبى اليهودى لم يكن عاليا . فهو يهاجم بشدة الأدب الذى انتجه اليهود آنذاك وهو يحمل بشدة على رواية لودفيج لويسون Ludwig Lewisohn «الحصاد العشوائى» Random Harvest قائلا إن هذا الروائى أخفق فى إنتاج الشعر مثلما أخفق فى إنتاج الخيال . وعاب تريلنج أيضا على مسرحية لويسون «آدم» وروايته الأخرى «ستيفن اسكوت» Stephen Escott وميل هذين العاملين إلى الدعاية الفجة المتمثلة فى الإعلاء من احساس اليهودى بيهوديته . يقول تريلنج إن هذا المؤلف أثر التضحية بالمزايا الفنية الأصيلة من أجل ترك أثر عاطفى مباشر وسريع ، وهو يضيف أن لويسون عاجز عن خلق الشخصيات ولكنه ناجح ومقنع فى وصف المفاهيم والمؤسسات . وكذلك ينحى تريلنج على الشاعر لويس انترماير - Louis Unter-meyer فى ديوانه الشجيرة المحترقة Bush Burning فيقول إنه ليس شاعرا جيدا أو أمريكيا جيدا أو حتى يهوديا جيدا بل هو شاعر ردىء ودعى ، وكذلك لم تسلم رواية اليهودى روبرت ناثان Robert Nethen «هناك سماء أخرى» There is another Heaven من الانتقاد فقد قال تريلنج إن مؤلفها يبالغ أكثر من اللازم فى تبسيطه للحياة والفضيلة . وأيضا قال هذا الناقد إن الرواية التى ألفها الناقد الموسيقى بول روزنفيلد Paul Rosenfeld بعنوان «ولد



فى الشمس» Boy in the Sun فاشلة فشلا ذريعا بسبب انصراف بال مؤلفها إلى الموسيقى الأمر الذى انعكس بالسلب والطراوة على أسلوبه النثرى غير أن جميع أحكام تريلنج النقدية لم تكن بهذه القسوة ، فقد وصف رواية تشارلس روزنيكوف Charles Roznikoff « بجوار مياه مانهاتن » By the Waters of Manhat- ten بالعظمة والأصالة ويأنها تتفوق على مثيلاتها بين الروايات اليهودية .

تأثر تريلنج فى لاحق أيامه بالأفكار الراديكالية والثورية حتى مقالاته النقدية الباكرة تنم عن ادراك للجوانب الاجتماعية النفسية التى ينطوى عليها الأدب الروائى . وتدل مناقشته لكتاب حناة و . لندن Hannah . London الذى يضم بين دفتيه مستنسخات من بورتريهات اليهود الأمريكان الأوائل على فخره بما يحرزه الكتاب من نبوغ اليهود وتميزهم . غير أنه عاب على صاحبة الكتاب أنها تجنح إلى المجردات والفكر المطلق الذى يصور لها اليهودى بالعظمة المطلقة والامتياز المطلق .. وكان آخر ما نشره تريلنج فى مجلة مينورا ذلك العرض المتحمس لرواية «النجاح» Success التى ألفها ليون فيتشفانجر Lion Feucht wanger فى ألمانيا عن الظلم . وبلغ به الإعجاب بهذه الرواية إلى الحد الذى جعله يقول عنها إنها تكاد تبلغ الكمال فى نجاحها وإنها تبنى التاريخ على نحو جميل .

ويدل نقده لهذه الرواية إلى تأصل البعد الاجتماعى والسياسى فيه فهو يعتبر الأدب سلاحا لمقاومة الشر والجشع والغباوة فى هذا العالم وهذا معناه أنه لا يعتبر الأدب مجرد متعة جمالية أو واحة للهروب من قبح ويشاعة الحياة . والرأى عنده أنه لا جناح على الفنان إذا دافع فى فنه عن السلوك السياسى القويم وهاجم الظلم والجور فليس فى اشتغال الأدب على الدعاية السياسية ما يعيب .

والجدير بالذكر أن الفترة التى تولى فيها كوهين رئاسة تحرير مجلة مينورا اتسمت بالجنوح إلى اليسار فى الفكر والسياسة . وساعد على ذلك الكساد العظيم الذى اجتاح العالم فى فترة الثلاثينات . وعبرت مادة المجلة آنذاك بوضوح عن تعاطفها على المبادئ الشيوعية الأمر الذى أقض مضجع ممولى المجلة الأثرياء والذين دفعتهم محافظتهم وخوفهم على مصالحهم إلى تشديد النكير على رئيس التحرير كوهين فصارت حياته لا تطاق ، واضطر إلى الاستقالة فانفرط عقد مجموعة الكتاب اليساريين الموهوبين الذين التفوا حول المجلة . وبعد أن أصدر كوهين العدد الأخير منها فى يونية عام ١٩٣١ توقفت المينورا عن الصدور ثم تعثرت وعجزت عن الظهور بانتظام حتى نهاية عام ١٩٦٢ . وبعد انفضاض جماعة كوهين اليسارية عن المجلة أخذوا فى الانخراط

فى معترك الحىاة السىاسىة الأمريكىة من منطلق يسارى عاطف  
على الفكر الشىوعى ولكنه رافض للشمولىة والدىكتاتورىة  
الستالىنىة . ولهذا احتدم النزاع بىنهم وىىن غلاة "شىوعىىن ونحن  
نطالع تسجىلا عدائىا لحدىة هذه الجماعة فى رواىة التى ألفتها  
تس سبىسنجر Tess Spesinger عام ١٩٣٤ بعن «المالكىن لعقولهم  
أو غىر الملتزمىن The unpossessed . وبخزت سبىسنجر من  
استغراق أفراد هذه الجماعة فى الكلام الذى لا ىنتهى والاكتفاء  
بهذا السىل المنهمر من الكلمات بون الفعل وعبر ترىلنج عن  
استهجانہ لمداول الرواية فقد كتب عند إعادة طباعتها بقول إن  
المؤلفة أرادت بكتابها أن تبىن عجز جماعة المىنورا عن وضع المثل  
العلىا التى ىتظاهرون بالایمان بها موضع التنفىذ . بقول ترىلنج فى  
دفاعه عن هذه الجماعة أنها تهدف حقا إلى إصلاح المجتمع  
الامرىكى ولىس صحىحا أنهم أولاد زنا ولقطاء عاجزون عن  
الانجاب كما تصفهم الرواية . ولكن الأيام أثبتت أن ترىلنج لم ىكن  
محقا تماما فقد انسحب من معترك السىاسة الرادىكالىة نفر من  
أعضاء الجماعة بعد انقضاء عدة سنوات على انضمامهم إليها .

ورغم ذلك لعبت جماعة مىنورا نورا بارزا فى تطور الأدب  
الامرىكى فى فترة رئاسة كوهىن تحریر المجلة وىفضل نشاطها



استطاع يهود أمريكا التفاضل إلى قلب الأدب الأمريكى والثقافة الأمريكية . ويمضى الزمن انبعثت بذرة الأمركة التى وضعها كوهين فى المثقفين اليهود لتطرح ثمارها عندما تولى هذا الرجل رئاسة تحرير مجلة «التعليق» وذلك بعد مرور أربعة عشر عاما على انسحابه من رئاسة تحرير مينورا . والجدير بالذكر أن ليونيل تريلنج استطاع أن يحقق ما عجز سلفه إليوت كوهين عن تحقيقه فقد أصبح تريلنج أستاذا للادب الأنجليزى فى جامعة كولومبيا . فضلا عن أن صيته كناقذ أدبى طبق الآفاق وترك بصماته الواضحة على الجيل التالى له .

وترجع أهمية جماعة مينورا الحقيقية إلى أنها أثبتت للمجتمع الأمريكى أن الكاتب اليهودى يمكن أن يكون يهوديا راديكاليا وصاحب اتجاهات أدبية فى سياق أمريكى منسجم وأن يصهر يهوديته وراديكاليته وأدبه فى بوتقة الثقافة الأمريكية ، وفى فترة الثلاثينات اصطبغ النشاط الأدبى لجماعة مينورا بصفة السياسة اليسارية . ولما كان السواد الأعظم من الكتاب الشبان آنذاك من اليهود كان من الطبيعى أن يستمدوا مادتهم من واقع بنيتهم وتجربتهم اليهودية ، وجاءت الحركة النازية فى ألمانيا لتضع مشكلات اليهود فى صدارة الاهتمامات الأمريكية وخاصة لأن

عدوى النازية الألمانية وعداوة السامية انتقلت إلى نفر من الأمريكان . ولكن المضمون اليهودي لهذه الكتابات اليهودية كان فى العادة أقل فى أهميته من مضمونها السياسى والأدبى الأمر الذى يؤكد - كما أسلفنا - انصهار اليهود فى بوتقة الحياة الفكرية والثقافية الأمريكية .

وبعد اختفاء مجلة مينورا انتقلت هذه الراديكالية السياسية اليهودية إلى مجلة أخرى هى البارتيزان ريفيو التى تأسست عام ١٩٣٤ كامتداد لنادى جون ريد Gohn Reed فى نيويورك الموالية للحزب الشيوعى . وتولى إدارة هذه المجلة الجديدة اثنان من اليهود هما وليم فيلبس William Phillips وفيليب راهف Philip Rahv . ولكن الشقاق ما لبث ان دب بينهما وأنصارهم فى جانب والحزب الشيوعى فى جانب آخر . وكانت نتيجة هذا الشقاق أن انفصلت مجلة البارتيزان ريفيو عن الحزب الشيوعى الأمريكى لتصدر مستقلة عنه . ورغم أن هذه المجلة احتفظت بميولها اليسارية ردحا من الزمن فإنها أثرت الانصراف عن السياسة إلى التجديد فى القوالب الأدبية على نحو ما فعلت . س . إليوت وإزرا باوند فى الشعر وجيمس جويس وفرانز كافكا وفيودور دوستيوفسكى فى الرواية . وبذلك توارت الهوية اليهودية رغم أن عددا كبيرا من كتاب البارتيزان ريفيو كانوا من اليهود . غير أن

بعضهم سار على نفس الدرب الذى انتهجته مجلة مينورا وهو الدرب المؤدى إلى تمثل الحياة الأمريكية والاندماج فيها . غير أن العنصر اليهودى ما لبث أن عاد إلى الظهور بوضوح فى مجال الحقل الأدبى عند انشاء مجلة يهودية ثالثة هى «التعليق» عام ١٩٤٥ أى بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية مباشرة .

ولم يشترك كوهين فى تحرير البارتيزان ريفيو فى حين أن ليونيل تريلنج أسهم فيها بنصيب وافر مقيما بذلك همزة وصل بين المجلة الأولى مينورا والمجلة الثالثة البارتيزان ريفيو . ولعبت هذه المجلة الثانية دورا بارزا فى تطور كثير من الكتاب اليهود الذين أحدثوا تغييرا هائلا فى الأدب الأمريكى نفسه فى عقد الخمسينات. وفى تلك الفترة اتجهت مجلة البارتيزان ريفيو الى الحداثة الأدبية . ومع ذلك ظلت سياستها يسارية ماركسية ولكنها معادية للديكتاتورية الستالينية متجهة فى نهاية الأمر الى التروتسكية .

وعند ظهور مجلة البارتيزان ريفيو كانت المدرسة الأدبية الأمريكية المعروفة بمدرسة المذهب الانسانى (وهى مدرسة تقليدية محافظة تزعمها إرفنج باييت Irving Babbitt وبول المر مور Paul Elmer Moore) قد اندحرت أمام حداثة هذه المجلة الجديدة وتم هذا الاندحار على أيدي مجموعة من المتمردين على القديم وعلى



النظام الاجتماعي القائم وهو تمرد تزعمه بروكس Brooks مؤلف «بلوغ أمريكا سن الرشد» America's Coming of Age وأبرز الروائيين في فترة العشرينات بالإضافة إلى جماعة الشككيين ثم أنصار النقد الجديد New Criticism فيما بعد والنقد الاجتماعي للأدب (يتصدرهم آدموند ويلسون) والحركة الأدبية المناصرة للماركسية وبعد انهزام انصهار مدرسة المذهب الاجتماعي المحافظة على أيدي هذه الشيع جميعا لم يكن هناك مناص من أن يدب الانقسام بين هذه الشيع المتباينة . وكانت نتيجة هذا الانقسام أن مجلة البارتيزان ريفيو بعد نبذها للحزب الشيوعي واستقلالها عنه تحولت إلى منبر أدبي للماركسية غير المتزمتة ، ثم ما لبثت أن توارت هذه الصيغة الماركسية ليحل محلها جنوح نحو التجريب والحدأة الأدبية . والجدير بالذكر أن مجلة البارتيزان ريفيو لم تكن في يوم من الأيام من أنصار المدرسة الشكلية أو النقد الجديد اللتين أظهرتا عزوفا عن أية قراءة سياسية للنصوص الأدبية وما أن ظهرت مجلة «التعليق» (نحو عام ١٩٤٥) حتى بدأت تأخذ مكان سابقتهما البارتيزان ريفيو وامتلات صفحات هاتين المجلتين بأقلام عدد كبير من اليهود الأمريكيان إلى جانب كتابات الأدباء من غير اليهود .

وتدل «المنظرة» التي تحمل عنوان «تحت سن الأربعين» والمنشورة عام ١٩٤٤ في «السجل اليهودي المعاصر» Contempo Rare Jewish Record على مدى ما وصل إليه الكاتب اليهودي من تغلغل في الحياة الثقافية الأمريكية فقد جاء في «سجل اليهودي المعاصر» أن الكاتب اليهودي فيما مضى لم يكن له أدنى وجود في الأدب الأمريكي . ولكن الوضع اختلف تماما في الأربعينات فقد احتل الأدباء اليهود الصدارة في هذا الأدب . واشترك في هذه المناظرة الهامة عدد من الكتاب اليهود أمثال ميوريل روكسر - Mu-riel Rukeyser والفريد كازين وديلمور وشوارتز وليونيل تريلنج وألبرت هالبر وهوارد فاست Howard Fast واسحق روزنفيلد Isaac Rosanfeld . وتأرجح اعتراف هؤلاء الأدباء بمدى تأثيرهم بأصولهم اليهودية فمنهم (مثل شوارتز) من اعترف بتأثيره بها في قصد واعتدال ومنهم من رفض قطعيا أنه تأثر بيهوديته مثل ليونيل تريلنج الذي قال أنه سوف يستاء شديد الاستياء لو أن أحدا نسب فضائل كتاباته أو عيوبها إلى أصله اليهودي كانت هذه المناظرة بمثابة نقطة تحول في تأمرك يهود أمريكا ، كما كانت إيذانا بمقدم عهد جديد زالت فيه الحواجز التي تعترض سبيل التحاق اليهود بالجامعات والمعاهد العليا الأمريكية، كما تقف في طريق اشتغالهم

بالأعمال الأخرى صحيح أن قدرا من عداوة السامية ومن المفاهيم التقليدية عن اليهود ظل كامنا في نفوس وعقول بعض الأمريكيان . ولكن هذا لم يحل بحال من الأحوال دون نجاحهم في الالتحام بأغلبية المجتمع الأمريكى بل إنهم أصابوا ما أصابه الأمريكان أنفسهم من ثراء . وهكذا اكتسب الدين اليهودى نفس الشرعية التى تتمتع بها كل من البروتستانتية والكاثوليكية .

لقد أسهمت « المناظرة » المنشورة عام ١٩٤٤ بالإضافة إلى إنشاء مجلة « التعليق » فى نوفمبر ١٩٤٥ بنصيب وافر فى تحقيق الالتحام اليهودى بالثقافة الأمريكية . ورغبة منها فى توثيق عرى هذا الالتحام قررت اللجنة اليهودية الأمريكية استبدال المجلة اليهودية الخالصة « السجل اليهودى المعاصر » بمجلة « التعليق » التى تتسع لليهود وغير اليهود على حد سواء ، كما تتسع لمناظير اجتماعية وسياسية وثقافية أرحب بهدف تعميق اشتراك اليهود فى الحياة الثقافية والفكرية الأمريكية . وعينت هذه اللجنة محرر مينورا السابق أليوت كوهين رئيسا لتحرير مجلة « التعليق » الحديثة الصدور . غير أن هذا الرجل قد تغير إذ بخلى عن سالف ثوريته وراديكاليته ونذر قلمه لمناهضة الستالينية . وفى عام ١٩٦٧ عين نورمان بودهورتيز Norman podharetz خلفا له كرئيس تحرير



مجلة «تعليق» ليسير على نفس الدرب الذى سلكه سلفه فى محاربة الشيوعية . وفى فترة رئاسته لمجلة «تعليق» فعل أليوت كوهين نفس ما فعله عندما كان مسئولاً عن تحرير مجلة «مينورا» فقد استطاع مرة أخرى أن يجتذب إليه جماعة موهوبة من الكتاب والدارسين وأن يستأنف مناقشاته الحية التى بدأها فى مجلة مينورا حول ارتباط الحياة اليهودية بالحياة الأمريكية الأوسع، والجدير بالذكر أن مجلة «تعليق» انضمت إلى زميلتها «بارتيزان ريفيو» فى خلق أثر عميق خلال فترة الستينات ليس فى الحياة اليهودية وحدها بل فى الحياة الثقافية والفكرية والأكاديمية الأمريكية نفسها .

وفى شهرى أغسطس وسبتمبر عام ١٩٤٨ قامت مجلة البارتيزان ريفيو بنشر مناظرة أخرى بعنوان «حالة الكتابة الأمريكية» شارك فيها ثلاثة كتاب يهود وستة كتاب من غير اليهود، ولم يعن أى منهم بالحديث عن الكتابات اليهودية الحديثة فى أمريكا كشىء مستقل عن الثقافة الأمريكية باستثناء الناقد ليسلى فيدلر الذى تطرق فى كتاباته إلى يهودية الروائى المعروف فرانز كافكا ، ثم عرض لرواية يولييسيس التى ألفها جيمس جويس فقال إن الفنان واليهودى فى هذه الرواية يسعى كل منهما إلى الوصول إلى الآخر ، ولكن سعيهما ييؤء بالفشل ويبتعد الواحد منهما تماماً

عن الآخر . وأشار فيدلر إلى قرب ظهور جماعة من الكتاب اليهود الذين لم يتجاوزوا الثلاثين من العمر وهم ديلمور وشوارتز والفريد كازين وكارل شابيرو واسحق روزنقىلد وبول جودمان وشاؤول بيلو. وأضاف فيدلر أن الكاتب اليهودى يلعب دور الوسيط لصالح الأدب الأمريكى بين ولاء ين متعارضين هما الولاء لأوروبا والولاء لأمريكا.

كان فيدلر على وعى بالمشاكل التى تتضمنها الكتابات اليهودية فى الولايات المتحدة الأمر الذى حفزه إلى أن يكتب مقالا فى مايو ١٩٤٩ فى مجلة «تعليق» ليطرح السؤال التالى : «ماذا نفعل إزاء فاجين - صورة اليهودى الشرير فى الأدب الغربى؟» . وفاجين اليهودى كما نعلم هو رئيس العصابة فى رواية تشارلس ديكنز الشهيرة «أوليفر تويست» . يقول فيدلر إن هناك فى الأدب الانجليزى تراثا عن صورة اليهودى الشرير انتقل من تشوسر وشكسبير واليوت وإزرا باوند إلى الروائيين المحدثين جراهام جرين ود . هـ لورانس . ويطرح فيدلر هذا السؤال : كيف تؤثر هذه الصورة المعارضة للسامية فى الأدب الإنجليزى فى موقف اليهودى من هذا الأدب ؟ . يقول فيدلر إنه بالنظر إلى أن اليهودى المثقف لا يملك أن ينبذ هذا التقليد الأدبى أو يشيح بوجهه عنه فإنه يقترح الحل الآتى لهذه المشكلة - مشكلة الأسطورة السائدة فى الأدب

الانجليزى على حد تسمية فيدلر لها . ويعنى بها هذا التحامل المتوارث ضد اليهودى فى هذا الأدب . وجد فيدلر أن الحل لهذه المشكلة يقتضى من الكاتب اليهودى اقتراح اسطورة أو مجموعة أساطير مضادة فإذا كان الأدب الانجليزى يذهب إلى أن اليهودى شرير فإنه ينبغى على اليهودى أن يستبدل هذه الأسطورة المعادية للسامية بأسطورة أو أساطير أخرى غير معادية للسامية مثل تصوير اليهودى المغترب كفنان .

وليس من شك أن إبادة هتلر الجماعية لليهود زادت من حدة إحساس اليهود بهذه المشكلة . وإدراكا منها بمدى خطورتها نشرت مجلة «تعلق» مناظرة جديدة فى سبتمبر - اكتوبر ١٩٤٩ بعنوان «الكاتب اليهودى والتقليد الأدبى الانجليزى» ، طرحت فيه المجلة التساؤل : «كيف يمكن للكاتب اليهودى الذى يعمل فى إطار التقليد الأدبى الانجلو - أمريكانى فى أن يواجه صورة اليهودى الأسطورية أو شبه الأسطورية فى مثل هذا التقليد ، ولكن لم يدر بخلد السواد الأعظم من كتاب اليهود المشتركين فى هذه المناظرة أن ينادوا برفض هذا التقليد الأدبى العظيم رغم ما يظهره أحيانا كثيرة من عداوة للسامية . واعترض البعض على استخدام فيدلر لكلمة أسطورة مجندا . استخدام كلمة أكنوية بدلا منها . وأشار

إرفنج هاو إلى ضرورة التمييز بين تعبير الأدب الانجليزى عن عداوته للسامية على أيدى تشوسر وشكسبير فى جانب وديزر وباوند وإليوت فى جانب آخر . فى فترة تشوسر وشكسبير كان هناك اجماع بين الناس على كراهية اليهود فى حين أن الآخرين عاشوا فى عصر أكثر تسامحا واستنارة . وعلى أية حال كتب إرفنج هاو يقول فى هذا الشأن : «إن تصوير الأدب الانجليزى لليهود على نحو كاريكاتورى صارخ يجعل من المستحيل على المرء أن يشعر بالارتياح الكامل نحو هذا التقليد الأدبى ، أما الروائى اليهودى المعاصر شافول بيلو فيقول إن احتقار الأدباء المحدثين لليهود ليس له ما يبرره لأن هؤلاء الأدباء على وعى أكبر بالتاريخ من كل من تشوسر وشكسبير ومن شأن هذا الوعى أن يجعل كراهيتهم لليهود أكثر بشاعة وفضاعة ، علينا أن نتذكر الإبادة الجماعية لليهود بالغازات السامة على يد النازيين فى معسكر الاعتقال أو شوتيز حتى نتبين الصواب من الخطأ .

من الغريب أن عددا من الكتاب اليهود اختلفوا فيما بينهم فى تشخيصهم لعداوة السامية الموجودة فى التقليد الأدبى الانجليزى . فقد ذهب هارولد روزنبرج Harold Rosanberg إلى مناقشة هذا الموضوع من الناحية الجمالية إذ قال إن شخصية اليهودى



المقيت شيلوك الذى صورته شكسبير فى « تاجر البندقية » بكل خصائصه وخصاله الكريهة لا يعدو أن يكون تمثيلا أو نمطا يهدف إلى ادخال السرور والبهجة فى النفوس . ومن ثم فإنها لا تلحق أى أذى أو ضرر . وأضاف أن الأذى الحقيقي يأتى من النقد الاجتماعى ومن الدعاية التى تحول هذا التشخيص المسرحى إلى اكليشيه يتردد على كل لسان . ويرى هارى ليفين Harry Levin أن الذى يجار بالشكوى من تصوير اليهودى فى الأدب الانجليزى على هذا النحو المقيت - وليس الفنان الذى يقوم فعلا بتصويره - هو الذى يشيع فى الأذهان فكرة زراية اليهود والتهوين من شأنهم، ويسلم ليفين بأن حقارة شيلوك قد تكون موجودة فى بعض اليهود ولكن النقد الاجتماعى هو الذى يقوم بالتهويل والتضخيم واضفاء صفة التعميم على هذه الصورة المقيتة لليهودى . وبذلك تصبح بمثابة من يقوم فعلا باضطهاد اليهود .

وامتدت المناظرة التى بدأت فى أواخر ١٩٤٩ إلى عقد الخمسينات . وإذا كانت السنوات الأولى من الخمسينات لم تشهد بشكل واضح الأثر اليهودى فى الأدب الأمريكى فإن هذا الأثر اتضح بشكل لا يدع مجالا لأى شك فى نهاية هذا العقد . ومما يؤكد لنا هذا أن الملحق الأدبى لجريدة التايمز نشر فى عدده الصادر فى ٦ نوفمبر ١٩٥٩ مقالا فى هذا الشأن بعنوان « جماعة

لها صوت مسموع : الدور اليهودى فى الأدب الأمريكى . واتخذ هذا الصوت المسموع فى مجلة «تعليق» منبرا له . ومن الجدير بالذكر أن عددا من الكتاب اليهود الشبان أسهموا بنصيب وافر فى تحرير اعدادها الأولى مثل ألفريد كازين وشاؤول بيلو وهارولد روزنبرج وكليمنت جرينبرج إلى جانب بعض الأقلام القديمة التى شاركت فى تحرير مجلة مينورا مثل ماير ليفين ووالده فرانك .

غير أن عملية الإبادة الجماعية لليهود على أيدى النازيين الألمان ساعدت على تعميق إحساس الكتاب اليهود الشبان بهويتهم اليهودية . ولعب مارتن بيوبر Martin Buber دورا نشطا فى إحياء هذا الإحساس . وساعدت على ذلك أحداث الشرق الأوسط الخاصة بنشوب حرب فلسطين وإنشاء دولة إسرائيل . وفى عام ١٩٤٨ المتزامن مع حرب فلسطين كتبت مجلة «تعليق» تقول فى افتتاحيتها : «ليس هناك أى جديد عندما نقول إننا أصبحنا اليوم فى قلب ما يشبه الصحوة (وهى إن لم تكن صحوة فى الدين فهى صحوة فى الاهتمام به) بين المثقفين وفى الخارج وخاصة بين الجيل الأصغر سنا . ولهذا السبب انشغل اليهود سواء كانوا فى اليمين أو اليسار باحتمالات بزوغ ثقافة يهودية ويمناقشة معنى هذه الثقافة . وفى فترة الأربعينات نبذ عدد كبير من اليهود إيمانهم

بالمذهب الشيعى نتيجة محاكمات التطهير التى أجراها جوزيف ستالين للتخلص من أعدائه وأيضا نتيجة معاهدة السلام التى عقدها ستالين مع ألمانيا النازية عام ١٩٣٩ . وإذا كان اليهود قد تخلوا عن راديكاليتهم المتعاطفة مع الشيوعية وآثروا الطريق التروتسكى إليهم فإن الأمر انتهى بهم إلى التخلّى حتى عن تروتسكيتهم .، ولم يحدث هذا لكتاب المينورا فحسب بل لكتاب البارتيزان ريفيو أيضا . وفى ظل هذا التغير فى المناخ الفكرى لدى المثقفين اليهود اعتراهم الفتور والوهن فى التصدى للمكارثية لدرجة أن إرفنج هاو قال فى الخمسينات إن المجلّتين المشار إليهما اخفقتا فى التعبير عن التزاماتهما الفكرية كمبررين ثقافيين . ويتهم هاو مجلة تعليق بميلها إلى التهوين من شأن الخطر المتمثل فى المكارثية . فلا غرو إذا رأينا الناقد اليهودى فيليب راهف يقول عام ١٩٥٢ إن عداوة المثقفين اليهود ضد الستالينية تحولت إلى نوع من الوظيفة (أى إلى مصدر للرزق) فقد باتت هذه العداوة كاسحة وجارفة لدرجة أنها كادت أن تطمس ما عداها من اتجاهات ، الأمر الذى مهد الطريق إلى سيطرة المكارثية على الحياة الفكرية الأمريكية فى فترة من الفترات .

وواصل الكتاب اليهود مناقشة المشكلة اليهودية فى «البارتيزان ريفيو» فى عددها الصادر فى مايو - يونية ١٩٥٢ بعنوان «بلدنا

وثقافتنا» وامتدت هذه المناقشة عبر العديدين التاليين من المجلة .  
وافتحت هذه المجلة مادتها بالاعلاء من شأن الولايات المتحدة  
واعتبارها «حامية الحضارة الغربية بالمعنيين العسكرى  
والاقتصادى على أقل تقدير . وهكذا بزغت بكل تأكيد صورة  
جديدة لأمريكا من رسم الكتاب والمثقفين اليهود وبلغ حمس هؤلاء  
اليهود لأمريكا مبلغا جعل البارتيزان ريفيو تقول فى افتتاحيتها إن  
معظم الكتاب يهودا كانوا أم غير يهود لم يعودوا يقبلون فكرة  
اغتراب عن أمريكا . وتزايد عدد المثقفين اليهود الذين نبذوا  
تمردهم وغربتهم عن المجتمع الأمريكى . وتخليهم عن الماركسية بل  
حتى عن التروتسكية استطاع الكتاب اليهود أن يلتحموا التحاما  
كاملا مع هذا المجتمع .

ومن مظاهر هذا الالتحام أن المثقفين اليهود أبدوا استعدادهم  
التام للانسجام والتناغم الكامل مع الحياة الأمريكية ولفت وليام  
فيلبس William Philips بكتاباته فى البارتيزان ريفيو أنظار قرائه  
إلى هذه الحقيقة . فهو يقول: إن معظم المشاركين بالرأى فى  
المناظرة عبروا عن استعدادهم للتأقلم مع الواقع واستيعاب كل  
تفاصيل الحياة الأمريكية على عواهنها . وأيضا كتب فيليب راهف  
مشيرا إلى انتشار هذه النزعة من جانب اليهود للسير على درب



غير اليهود ، وزيادة اقتناعهم بالحياة الأمريكية دون انعقاد أو تمحيص الأمر الذى رأى فيه راهف تهديدا باندثار تقليد المعارضة أو الانشقاق الراسخ فى تربة الأدب الأمريكى . حتى ليونيل تريلنج نفسه كتب عام ١٩٥٢ يقول: إن الوضع الثقافى الأمريكى آنذاك أفضل مما كان عليه منذ ثلاثين عاما مضت ورغم ذلك فإن تريلنج (وهو يمثل بدرجة أقل الاتجاه نحو التأمرك) لم يقبل الواقع الأمريكى على علاته . فقد انتقد بعض السلبيات التى تشوبه وأكد أن إعادة اكتشاف أمريكا لا يتعارض مع ما عرفته هذه البلاد من تقاليد الانشقاق الفكرى . والغريب أن تريلنج لم يطلق صرخة احتجاج واحدة ضد هستيريا المكارثية التى اجتاحت أمريكا .

وإذا كانت غالبية أقلام اليهود المشاركين فى المناظرة عبرت عن تكريسها للواقع الأمريكى القائم فقد شذ عنهم الروائى اليهودى نورمان مالر الذى تجاسر وقال إن أهم روائى هذا الزمان (وهم بوس باسوس Dos Passes وفاريل Farrell وفولكنر وشتيانبك وهمنجواى) الذين سبق أن عبروا عن غربتهم ما لبثوا أن تخلوا عن هذه الغربة واستسلموا للمجتمع الأمريكى منذ نهاية الحرب العالمية الثانية . فقد أصبحوا عاجزين عن خلق أى إنتاج أدبى له قيمته . واعترف س . رايت ميلز C.Wright Mills (الذى كان

من أبرز المثقفين المنشقين فى تلك الفترة حتى وفاته عام ١٩٦١) بأن تغيراً قد طرأ على المثقفين الأمريكان فأصبحوا يقبلون الأمر الواقع ويرتضونه . وكذلك اعترض إرفنج هاو على هذا الرضا بالواقع قائلاً إن هناك فى أمريكا أشياء تثير الإعجاب بقدر ما فيها من أشياء تثير المقت مثل جنوح الأمريكان للتأقلم الكامل مع الواقع وإلى انتهاك الحريات المدنية . بل ذهب إلى حد القول إن الماركسية هى أفضل السبل لفهم المجتمع الرأسمالى الأمريكى وكذلك جأر الكاتب اليهودى الخلاق ديلمور شوارتز بالشكوى من شيوع التماثل الثقافى فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية . واعتبر هذا التطابق مع المجتمع الأمريكى بمثابة هروب من التغير والاضطراب والشك السائد حينذاك ، كما اعتبره تأكيداً زائفاً لاستقرار لا وجود له وتجاهل للزيادة المطردة فيما أصاب المجتمع الأمريكى من اهتزاز .

وبتقدم عقد الخمسينات ظهر إنتاج روائى غزير لعدد من الروائيين اليهود على رأسهم نورمان مالر وإيڤين شو وشاؤول بيلو . فضلاً عن اسهامات ليونيل تريلنج فى مجال نقد الأدب الانجليزى . وأيضاً الكتابات اليهودية المتنامية فى مجلتى «بارتيزان ريفيو» و«تعليق» إلى جانب إنتاج كل من برنارد مالامود وفيليب روث

كروائين بارزين . وبذلك أصبح الوجود اليهودى فى الأدب الأمريكى والحياة الثقافية أمراً مؤكداً .

وفى ابريل ١٩٦١ عادت مجلة «تعلق» إلى مواصلة المناظرة القديمة عن وضع اليهود فى الثقافة الأمريكية تحت عنوان «الخصائص اليهودية : المثقفون الأصغر سناً» ولعلنا نذكر أن بعض اليهود ذهبوا من قبل فى المناظرة التى أقامتها مجلة «السجل اليهودى المعاصر» عام ١٩٤٤ أن احساس اليهودى بيهوديته ليس سوى نوع من الشوفينية والعقم اللذين تعاني منهما الطبقة الوسطى الأمريكية . وأعلنت مجلة «تعلق» دون موارد أن ذلك الزمان أصبح زمان اليهود . قالت المجلة فى هذا الشأن : «يهود أمريكا قادمون . ويكاد التمييز العنصرى ضدهم يختفى كما أن العداوة ضد السامية أصبحت شيئاً مقيتاً يثير الاحتقار العظيم» . وصرح الأديب دى موت De Mott أن اليهودى يحتل الآن مكاناً فى المجتمع الأمريكى . ومن استقراء الآراء المختلفة التى عبر عنها اليهود مؤخراً فى المناظرة التى أقامتها مجلة «تعلق» خلص نورمان بود هورتز بعد استعراض آراء الواحد والثلاثين مشاركاً فى المناظرة (ومعظمهم من الشباب الذين لم يتجاوزوا الخامسة والثلاثين من أعمارهم) إلى إن اليهود الشبان لا يشاركون اليهود القدامى فى الاهتمام بإحياء التراث اليهودى ،

كما أنهم لا يهتمون بذلك القطاع من المجتمع اليهودي الملتزم بالمحافظة على هذا التراث أو بتوسيع رقعته .

إن النظرة اليهودية أصبحت تتجاوز آفاق هويتهم المحدودة الضيقة . وذهب بعض اليهود إلى القول إن جوهر اليهودية يتمثل الآن في مبادئ ذات طابع إنساني عام مثل الكفاح من أجل العدالة الشاملة والأخوة البشرية كما آمنوا بأن الحدود اليهودية المنغلقة تنذر باندثار التقاليد اليهودية المثيرة للإعجاب . ولكن من الخطأ أن نفهم من هذا العزوف عن تأكيد الهوية اليهودية أنه أفضى إلى تجاهل دور اليهود في الرواية والأدب الأمريكي . بالعكس فقد ظلت تظهر باستمرار كل بضعة أعوام طوال فترة الستينات أعداد كبيرة من الروائيين والكتاب اليهود ومن الأجواء والبيئات اليهودية وكذلك من الشخصيات اليهودية في الروايات . وكان من الطبيعي للغاية أن يستقى هؤلاء الكتاب والروائيون مادتهم من واقع حياتهم اليهودية دون أن يخالجهم إحساس بالخجل أو الدونية من يهوديتهم . وبذلك اعتاد الجمهور الأمريكي واستساغ وصف الحياة اليهودية في الأدب الأمريكي . ومن دلائل هذه الاستساغة الأمريكية للحياة اليهودية أن إرفنج مالين Irving Melin وإيروين ستارك Irwin Stark قاما عام ١٩٦٤ بتحرير مجلة بعنوان «التغلغل : ذخيرة الأدب اليهودي المعاصرة



بأمريكا - Breakthraugh : Atreasury of Contemporary American jewish Literature ويضم هذا المجلد أعمالا قصصية إلى جانب القصائد والنثر .

وتناول الروائى الأمريكى المعروف جون أبدأيك John Updike فى رواية ألفتها عن كاتب يهودى ونشرها عام ١٩٧٠ بعنوان بيتش Bech هذا الوضع الجديد (أى هذا الوجود اليهودى فى قلب الأدب الأمريكى) على نحو ساخر . وفى الزيارة التى قام بها أبدأيك لاسرائيل عام ١٩٧٨ سأل سائل إذا كانت هناك مافيا يهودية تسيطر على دور النشر الأمريكية فجاءت إجابته الصريحة كالتالى : «إننى لست مع أنصار استخدام مصطلح المافيا . ولكن احقاقا للحق أقول إن اليهود تمكنوا من التغلغل فى جميع مناحى عملية النشر : من المبيعات إلى زيادتها إلى تحرير المؤلفات وعرض الكتب . والرأى عندى أن النقاد اليهود - وما أكثرهم - يميلون إلى استقبال أقرانهم من الكتاب اليهود بتحمس . ولكنه استثنى من التحمس الأعمى لكتاب اليهود كلا من فيلدر وترلينج . وأضاف أبدأيك أن الكتاب اليهود يتميزون بميزة يفتقر إليها الأمريكان وهى أنهم يتمتعون باليسر والسهولة فى وصف الحضر الأمريكى . ولكن الصواب بجانبنا إذا ظننا أن أبدأيك كان معاديا للسامية أو أنه تحامل على اليهود أو أنه كان يبغى التهوين من أمرهم أو التقليل

من شأنهم . فليس هناك ما ينم عن كراهية أ بدايك لليهود رغم  
سخريته من الكاتب اليهودى الشهير هنرى بيتش . ويشير أ بدايك  
أن محافظة بيتش فى روايته بمقدرة اليهود على الاضحاك هى  
التى مكنته ومكنت أقرانه اليهود من التغلغل فى الأدب الأمريكى  
والسيطرة عليه .

وثمة دليل آخر على تغلغل اليهود فى الأدب الأمريكى فالكاتبة  
اليهودية اليزابيث هارويك Elizabeth Hardwick قالت فى  
معرض حديث أجرى معها عام ١٩٧٩ عن الفترة التى حاولت فيها  
تثبيت أقدامها فى عالم الكتابة والأدب فى بلدها كنتاكي فى أعقاب  
الحرب العالمية الثانية : «حتى عندما كنت طالبة بالكلية فى بلدى  
تملكتنى الرغبة فى نشدان - وأرجو ألا يبدو كلامى هذا مضحكا-  
أن أصبح مثقفة يهودية فى مدينة نيويورك أقول (يهودية) لأن  
اليهود ورثة تقليد من الشك العقلانى ويتملكهم احساس معين بأنهم  
مقتلعون من جذورهم وهو احساس يروق لى إلى جانب انفتاحهم  
على الثقافة الأوربية ، كما أنهم يتسمون بتلك الراديكالية النابعة  
من الشك فى سلامة الأوضاع والترتيبات الاجتماعية القائمة .»  
وعلى أية حال فإن يهوديتها لم تحل دون أمركتها .

## ٢ - الخمسينات وذروة التغفل اليهودى

### فى الأدب الأمريكى

بدأ التغفل اليهودى فى الأدب الأمريكى يظهر فى الأربعينات من القرن العشرين ، ثم ظل يتنامى حتى وصل إلى ذروته فى عقد الخمسينات . وتجلى هذا التغفل فى الرواية الأمريكية أكثر من غيرها فى الأشكال الأدبية بسبب ذبوعها وانتشارها فى فترة الخمسينات . وكانت أولى الروايات التى تعالج موضوعا يهوديا هى رواية «الحائط» The Wall تأليف جون هيرسى John Hersey . وتناولت هذه الرواية بالتحديد رؤية من وجهة نظر غير يهودية للثورة التى أشعلها يهود الجيتو فى وارسو ببولندا . واحتلت الرواية اليهودية «تمردكين» The Caine Mutiny تأليف هرمان ووك Herman Wouke مكانة مرموقة فى قائمة المبيعات فى عامى ١٩٥١ و ١٩٥٢ . وفى العام التالى (١٩٥٢) لفت الروائى اليهودى شاول بيلو الأنظار إليه بروايته «مغامرات أوجى مارتش» The Adventures of Augie March التى فاز عليها بجائزة الكتاب القومى، وفى عام ١٩٥٥ أصابت رواية هرمان ووك التالية

«مارجورى مورتنج ستار» Marjorie Morning Star نجاحا تجاريا يماثل نجاح روايته الباكورة . وفى عام ١٩٥٦ أصدر جيرالد جرين gerald green روايته الذائعة «آخر رجل غاضب» The Last Angry Man التى أعقبته روايتا «سلامى إلى الله» Re-member Me to God تأليف ميرون س. كوفمان Myron S Kouf- mann ، و«القسر» Compulsion تأليف ماير ليفين Meyer Le- vin الصادرتان عام ١٩٥٧ . ثم جاءت رواية «الخروج» "Exodus" تأليف ليون يوريس Leon Uris عام ١٩٥٨ فطبقت شهرتها الآفاق . وتتناول رواية «الخروج» الهجرة غير القانونية إلى فلسطين وإنشاء دولة اسرائيل . وفى نفس العام حصل الروائى اليهودى المعروف برنارد مالامود على الجائزة القومية للكتاب عن روايته «البرميل السحري» The Magic Barrel . وقد حصل الروائى فيليب روث فى العام التالى (١٩٥٩) على نفس هذه الجائزة عن روايته «وداعا يا كولبوس» Goodbye Columbus

ومن الخطأ أن نظن أن التغلغل اليهودى فى الأدب الأمريكى حدث دفعة واحدة فقد جاء بالتدريج فى عقد الأربعينات ليتربع على عرش الخمسينات . فلم يشترك فى المناظرة التى نشرتها مجلة بارتيزان ريفيو فى شهر أغسطس ١٩٤٨ بعنوان «حالة الكتابة

الأمريكية فى عام ١٩٤٨ « غير ثلاثة يهود من مجموع المتناظرين البالغ عددهم تسعة . كما أن واحدا فقط من هؤلاء الكتاب اليهود الثلاثة ليسلى فيلدر هو الذى بين وجود العنصر اليهودى فى الأدب الأمريكى الحديث .

وما لبث حجم التغفل اليهودى وإشارات النقاد إليه أن تعاظم لدرجة أن الملحق الأدبى لجريدة التايمز رصد هذه الظاهرة وخصص لها عام ١٩٥٩ عددا بعنوان «الخيال الأمريكى» اشتمل على مقال بعنوان «جماعة مسموعة الصوت فى الدور اليهودى فى الأدب الأمريكى» وقد ورد فى هذا المقال ما يلى : «منذ نحو عام ١٩٥٠ أصبحت الكتابة اليهودية الأمريكية قوة مهيمنة على الأدب الأمريكى . وأوضح المقال أبرز الكتاب اليهود الذين تركوا أثرا حاسما فى الأدب الأمريكى وهم ليونيل تريلنج والفريد كازين وفيليب راهف وليسلى فيلدر وارفنج هاو فى مجال النقد الأدبى وشافول بيلو ومالامود فى مجال الرواية وآرثر ميلر فى مجال الدراما وشوارتز وهوارد نمروف Howerd Nemeroff وستانلى كونيتز Stanley Kunitz . فضلا عن الأثر العميق الذى تركته بصفة عامة مجلة «البارتيزان ريفيو» وأيضا ظهور جيل جديد أصغر سنا الذى تلا الجيل الأول من الكتاب اليهود الكبار.



والجدير بالذكر أن أحدا لم يقف في سبيل انطلاق الأدب اليهودي الأمريكي أو يضع العراقيل أمام ازدهاره .

ويلقى الروائي اليهودي الأمريكي يوري سوهل Yuri Suhl في مقاله المنشور في فترة الأربعينات في مجلة «الكونجرس الأسبوعي» Congress Weekly بعنوان «لماذا أكتب رواية يهودية؟» الضوء على التغير الهائل في موقف الكتاب اليهود من الأدب الأمريكي . يقول سوهل في هذا الصدد إنه كتب روايته اليهودية من منطلق إيمانه بأن الموضوعات اليهودية أصبحت جزءاً من التيار العام للأدب الأمريكي تماماً كما أصبح يهود أمريكا جزءاً من الحياة الأمريكية بوجه عام . ويستطرد سوهل قائلاً: إنه عندما عرض روايته التي ألفها عام ١٩٥٠ بعنوان «قدم في أمريكا» One Foot in America للنشر اكتشف لخبية أمله أن كثيراً من المحررين والناشرين الأمريكيين لا يشاركونه هذا الرأي فهم يصرون على معاملة اليهودي في الأدب معاملة المواطن من الدرجة الثانية . وأضاف أن أحد الناشرين رفض مخطوطته لأنه سبق أن نشر كتاباً عن اليهود ولا يريد أن ينشر كتاباً آخر في نفس هذا الموضوع حتى لا يظن الناس أنه يدير دار نشر يهودية . ومع التسليم باستمرار نوع من النكوص والتردد من جانب بعض

الناشرين الأمريكيين عن نشر بعض الكتب اليهودية حتى عام ١٩٥٠. فلابد من الاعتراف بأن معاداة السامية كادت تختفى من الرواية الأمريكية بعد عقد العشرينات من القرن العشرين . وإذا كانت معالجة اليهودى فى الأدب الأمريكى أصبحت مسألة حساسة فى أمريكا قبل عقد الثلاثينات فإنها صارت مسألة بالغة الحساسية مع نمو وازدهار الحركة النازية . وزادت حساسية المساس باليهود فى الأدب الأمريكى تلك الحركات الديماغوجية فى أمريكا الداعية بشكل سافر إلى اضطهاد اليهود . وعندما اندلعت الحرب العالمية الثانية بين قوات المحور وقوات الحلفاء فإن مسألة التعرض ليهود أمريكا بالسوء ازدادت اشتعالاً وحساسية ، وهى حساسية تجاوزت فترة الحرب (١٩٣٩ - ١٩٤٥) إلى ما بعدها . وقد أدى هذا آنذاك إلى تحاشى تصوير شخصية اليهودى فى الأدب بعضا من الوقت .

وانطلقت أصوات يهودية تشكو من خلو الأدب الأمريكى من صورة اليهودى . يقول الكاتب اليهودى بن هشت Ben Hecht فى شكواه من هذا الوضع : «إن أعظم ظاهرة يهودية فى العشرين عاما الماضية تكاد تتمثل فى اختفاء اليهودى اختفاء كاملا فى الرواية والمسرح والاذاعة والسينما الأمريكية» ولعل هذا

اتهام مبالغ فيه : كل ما يمكن قوله فى هذا الشأن إن الأثر اليهودى فى الأدب الأمريكى فى الأربعينات لم يكن بعد قد توغل فى أعماق الثقافة الجماهيرية الأمريكية . والصواب بجانب هشت عندما يشكو من اختفاء صورة اليهودى من الأدب الأمريكى فمن الواضح مما أسلفنا أن اليهودى لم يغب قط عن هذا الأدب . كل ما هناك أنه كان ينتظر الدخول فى مرحلة جديدة تتسم بالمزيد من التغلغل والتوغل . صحيح أن القائمين على أمر الثقافة الجماهيرية الأمريكية آنذاك كانوا يتحاشون الخوض فى تصوير اليهود فيما يقدمون من أعمال ولكن هذا الاحجام يرجع إلى عدم رغبتهم فى التعرض لأية خسائر مالية قد تنجم عن خوضهم فى المسائل الحساسة ولا يرجع إلى أية مواقف عدائية ضد اليهود .

والجدير بالذكر أن هنرى بوبكين Henry Popkin نشر عام ١٩٥٢ مقالا موثقاً بالأساليب والمستندات تناول فيه احجام المسئولين عن الفنون الشعبية عن الإشارة إلى اليهود فيها . ويلاحظ بوبكين أنه عند تحويل عشرات الروايات والمسرحيات إلى أعمال سينمائية وفنون شعبية فإن القائمين بهذا التحويل يتعمدون إغفال الأسماء اليهودية الواردة فى أصول الأعمال المحولة أو المقتبسة ، واتبعت الكتب الشعبية الرخيصة نفس هذه السياسة

فتم استبعاد الأسماء اليهودية من كثير من روايات العصابات والجريمة . وأيضاً تعتمد رجال الأعمال عدم لفت النظر إلى تلك المنظمات اليهودية التي كرسَتْ نشاطها للدفاع عن اليهود مثل «العصبة المناهضة للتشهير» Anti-Defamation League التي كثيراً ما قامت برفع دعاوى قضائية ضد أى عمل توسمت فيه هجوماً على اليهود . فضلاً عن اتهام هذا العمل بمعاداة السامية . وفى كثير من الأحيان لم يكن لهذا الاتهام ما يبرره . ولا غرو إذا رأينا الكتابات الأمريكية آنذاك تتحاشى الإشارة إلى اليهود أو تصويرهم فى الإذاعة والسينما والروايات الشعبية الرخيصة .

ومما يدلنا على هذه الحساسية المفرطة فى تناول اليهودى فى الأدب الأمريكى ما سطره آرثر ميلر عام ١٩٤٧ . يقول آرثر ميلر : «أظن أننى نبذت المادة الأدبية المستمدة من حياة اليهودى لأنى خشيت أن أية إشارة بريئة إلى فرد يهودى يرتكب خطأ فردياً قد يزداد التهاباً بسبب جو الكراهية المشتعلة ، كما خشيت أن تتحول مشاعر الود التى أحملها لليهود إلى سلاح يستخدم لاضطهادهم .. إنه لا يمكن معالجة موضوع اليهودى فى أية كتابة جيدة فى مثل هذا الجو .. ومن ثم انصرفت عن اليهود كمادة استخدمها فى كتاباتى» ، ومما يذكر فى هذا الشأن أن آرثر ميلر لم يعد إلى

معالجة موضوع اليهودى إلا فى عام ١٩٦٤ عندما كتب مسرحيته «بعد السقوط» After the Fall و«حادثة فى فيتشى» Incident at Vichy وإن كان بعض النقاد قد رأوا إشارات يهودية فى بعض مسرحياته التى لا تعالج الشخصية اليهودية مثل «كلهم أبنائى» All my Sons (١٩٤٧) و«موت بائع متجول» (١٩٤٩) Death of a Salesman .

ولكن النكوص عن تناول اليهود فى الأدب الأمريكى لم يستغرق سوى سنوات قلائل عاد بعدها هؤلاء اليهود لاحتلال قلب هذا الأدب . ولعل أحد الأسباب فى ذلك يرجع إلى انفجار مشكلة معاداة السامية أمام رأى العام الأمريكى حتى آرثر ميلر نفسه الذى امتنع آنذاك عن معالجة موضوع اليهود فى أدبه - كما سبق لنا أن أوضحنا - كان قد ألف عام ١٩٤٥ رواية بعنوان «البؤرة» FOCUS . وتصور هذه الرواية شخصا غير يهودى اسمه لورانس نيومان يميل إلى معاداة السامية . ويضع المؤلف هذا الشخص فى موقف يتعرض فيه إلى الاضطهاد بسبب الاعتقاد الخاطيء بأنه يهودى . ويعمل هذا الشخص مديرا لشئون العاملين فى شركة كرسى جهودها لاضطهاد اليهود . غير أن ضعف بصره جعله يستأجر معاونا يهوديا يساعده فى عمله دون ادراك من جانبه لأنه يهودى . وحين تعلم الشركة باستعانتة بهذا اليهود



تلومه على ذلك وتصدر إليه التعليمات بلبس نظارات طبية والاستغناء عن خدمات معاونته. غير أن النظارات تضيف عليه منظرا يهوديا خالصا الأمر الذي جعل المحيطين به يشكون أنه يهودى متخف . ويضيق الرجل ذرعا بوظيفته فيستقيل منها ويعامله جميع الناس على أنه يهودى . ويتزوج لورانس نيومان من امرأة تناسب اليهود العداء فتحثه على الانضمام إلى الجبهة المسيحية المعروفة بدفاعها عن الفاشية وعدائها السافر للسامية . ويذهب الرجل وزوجته إلى المصيف ولكن المصطافين يطردونهما منه باعتبار أنهما يهوديان فيجتاح الغضب زوجته التي تعتبره مسئولا عما لحق بهما من مهانة لأنه لا يظهر ضراوة كافية في عدائه لليهود .. وفى اجتماع يعقده المناهضون لليهود فى مانهاتن يلاحظون أن هذا الرجل لا يضيق بما فيه الكفاية لكلمات المتحدثين الموجهة ضد اليهود ويدخل فى أذهانهم أنه يهودى . ويمعن أعداء السامية فى مضايقته والنكاية به فينشرون القمامة على حشيش منزله . وهكذا يجد لورانس نيومان نفسه فى ذات الموقف الذى كان يعاني منه يهودى يدعى فنكلشتين Finkelstein يملك كشكا على الناصية لبيع الكتب . وفى إحدى الليالى يتكاثر بلطجية الجبهة المسيحية على لورانس نيومان ويسعون إلى الفتك به أمام كشك فنكلشتين فيخرج هذا اليهودى ملوفا بقضيب ويتمكن بذلك

من تفريق المعتدين ، وتنتهى الرواية بتضافر جهود كل من لورانس نيومان الذى كان فيما سبق معاديا لليهود واليهودى فنكشتين فى مقاومة شرور الجبهة المسيحية وابلاغ البوليس بحادثة اعتداء أعضائها على لورانس نيومان . والجدير بالذكر أن رواية «البؤرة» لآرثر ميلر أسهمت فى زمانها فى مقاومة معاداة السامية التى اشتدت فى الثلاثينات والأربعينات من القرن العشرين ، ولا شك أنه من سخرية الأقدار أن يتحول غير اليهودى لورانس نيومان إلى مدافع نشيط عن اليهود ومقاوم عنيف ضد العداء للسامية .

وقد ظهرت رواية أخرى من تأليف لورا زد هوبسون Laura Z Hobson بعنوان «اتفاقية الجنتلمان» (١٩٤٧) Gentleman's Agreement لعبت دوراً أكبر من رواية «بؤرة» لآرثر ميلر فى التصدى لمعاداة السامية ، وتحولت رواية لورا إلى فيلم سينمائى ناجح أدى إلى إثارة مناقشة واسعة النطاق لمشكلة معاداة السامية المتمثلة فى إبعاد اليهود من السكنى فى بعض مدن ولاية كونيتيكت . وتنبؤ قصة الرواية حول صحفى غير يهودى اسمه فيليب تشولر جرين Philip Schuyler Green لا يتحيز لليهود أو ضدهم . وطلب إلى هذا الصحفى كتابة سلسلة من المقالات بعنوان «كنت يهوديا لمدة ثمانية أسابيع» . ونحن نرى فى هذه الرواية ما سبق أن رأيناه فى رواية «البؤرة» لآرثر ميلر وهو سوء

معاملة غير اليهود باعتبار أنه يهودى . ونشاهد أن ردود فعل فيليب تشولو جرين ضد سوء معاملة زملائه فى الصحيفة والنوادر الاجتماعية وأسرتة له كيهودى تتسم بالحدة . وتتجلى هذه العداوة عندما يحاول شراء بيت . ويكتشف الرجل أنه تراخى فى حياته الماضية فى مقاومة عداوة السامية إلى حد معيب بسبب شعوره بأنه مهما فعل فلن يتمكن من استئصال العداوة لليهود من النفوس . غير أنه صار الآن يدرك أنه لابد من التخلّى عن هذا الموقف السلبي وأنه أصبح لزاما عليه أن يتصدى بكل عزم وقوة لمقاومة العداء ضد اليهود . وتصور لنا هذه الرواية مظاهر اضطهاد اليهود المتعددة وأشكالها المختلفة فضلا عن أنها نجحت فى استثارة غضب القارئ على سوء معاملة بعض الأمريكان لليهود . والرواية لا تكتفى بتصوير ما يتعرض له اليهود من إيذاء بل إنها تصور الضرر الذى يلحقه أعداء السامية بأنفسهم من جراء سوء معاملتهم لليهود .

وبإيجاز يمكن القول إن روايتى «البؤرة» لآرثر ميلر و«اتفاقية الجنتلمان» تركتا أثرا بعيد المدى فى جعل القارئ الأمريكى يمقت مظاهر الكراهية التى يحملها المجتمع ضد اليهود كما أن الروائتين شجعتا المجتمع الأمريكى على طرح مشكلة اضطهاد اليهود على بساط البحث والنقاش العام على أوسع نطاق.

وأیضا من الأسباب التى أدت إلى احتلال اليهود لقلب الأدب الأمريكى والثقافة الأمريكية ظهور جیل ثان من الأبناء اليهود من نوى الطموحات الأدبية والفنية والمالية . هذا الجیل الجديد عقد العزم على التأقلم الكامل مع الثقافة الأمريكية دون أن یثنیه عن ذلك احجام بعض الأمريكان ودور النشر الأمريكية فى الأربعينات وأوائل الخمسينات عن نشر بعض الأعمال اليهودية . واستمر هذا الجیل الثانى من اليهود یثابر حتى تمكن من إزالة كل العراقیل والمقومات التى تعترض طریقہ . وقد ساعد على ذلك فى مجال الأدب ظهور مواهب شابة لا ریب فى موهبتها . إلى جانب تلف كثير من القراء إلى سماع هذه الأصوات الشابة الموهوبة . وما أن ذاعت أعمال هؤلاء الشبان حتى أطمأن أصحاب دور النشر أن نشر أعمالهم غنم لا غرم وأن ما ینفقونه من مال سوف یعود إليهم أضعافا مضاعفة . حتى الأدباء اليهود الجدد الذین لم تحقق مؤلفاتهم الرواج التجارى استطاعوا إقناع القارئ الأمريكى بجدية كتاباتهم .

وبعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها أصيبت أمريكا والعالم بصدمة من جراء الهولوكست النازى أى الابادة الجماعية لليهود عن طریق الغاز والأفران ولهذا شعر الأمريكان بالتعاطف

مع اليهود الذين يناضلون من أجل إقامة دولة اسرائيل . ومع انتهاء الحرب العالمية الثانية أصبح الأمريكان ينظرون إلى اليهود كأفراد لهم مشاعر وأحاسيس وليس كأنماط لا تتغير أو تتبدل كما كانت نظرتهم إليهم في الماضي . فضلا عن أن اشتراك ملايين الأمريكان في الحرب العالمية الثانية أعطاهم فرصة للاحتكاك المباشر مع اليهود والتعرف عليهم كبشر وليس كأنماط .

وتلقى الشهادة التي أدلى بها عام ١٩٦٥ عالم الاجتماع الأمريكي دينيس هـ . رونغ Dennis H. Wrong الضوء على التغير الكبير الذي طرأ على موقف الأمريكان من اليهود . فقد حدثنا هذا العالم عن الاضمحلال اللافت للنظر الذي ساد انتشار المعتقدات والمواقف المعادية لليهود في الولايات المتحدة . حتى الدارسين الذين شهدوا بأن ظاهرة العداء للسامية لم تختف تماما من الساحة الأمريكية اعترفوا بأن هذا العداء لم يعد له أثر يذكر في السلوك الأمريكي . ومما ساعد على اضمحلال معاداة السامية أن ملايين الأمريكان من قدامى المحاربين ضد النازية عابوا إلى وطنهم بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ليستكملوا دراستهم في الكليات ودور العلم ، الأمر الذي اضطر هذه الدور إلى الاستعانة في مجال التدريس بآلاف اليهود لسد النقص الموجود في أعضاء



هيئات التدريس . وأيضاً من العوامل التي ساعدت على القضاء على مشاعر معاداة السامية بين الأمريكان أن المجتمع الأمريكى بعد الحرب العالمية الثانية حقق ازدهارا لم يسبق له نظير . ومن ثم لم تعد هناك حاجة لاستخدام اليهود ككبش فداء تتحمل وزر أية ضائقة اقتصادية قد تلم به . والجدير بالذكر أن المجتمع الأمريكى فى تلك الفترة أظهر قدرا متزايدا من التسامح العنصرى مع اليهود وغير اليهود على السواء . صحيح أن الأمريكان فى تلك الفترة أوصدوا الباب أمام اليهود للحيلولة دون شغلهم بعض الوظائف الاجتماعية المرموقة . ولكن الوضع كان مختلفا تماما فى مجال الثقافة والأدب الذى فتح بابه على مصراعيه أمام السيل المنهمر من المواهب الأدبية اليهودية البازغة.

ورغم بعض المضايقات التى قابلها يهود أمريكا فى الأربعينات والخمسينات فإن هذا لم يحل دون ظهور بعض القصص والروايات التى تصور الشخصية اليهودية وتعتبر هورتنس كاليشير Hortense Calisher من أبرز كاتبات القصة القصيرة اليهوديات اللاتى استقين مادتهن الروائية من جذورها اليهودية كما أن قصتها تنم بوضوح عن وعيها الشديد بالعداء ضد السامية . وتنحدر هذه الكاتبة المهاجرة من شرق أوروبا من والدين يهوديين

ألمانيين ، وتبين القصص التي ألفتها في الأربعينات والخمسينات أدراكها لما يحملة الناس من عداوة لليهود غير أن هذه الكاتبة لم تحاول خداع نفسها فتغطي على ما يشوب اليهود من عيوب .

وفي سلسلة قصصية من تأليفها تصور هذه الكاتبة تطور شخصية يهودية لفتاة اسمها هستر الكين Hester Elkin من سن العاشرة حتى بلوغ سن الزواج وفي عام ١٩٥٠ نشرت كاليشر قصة قصيرة بعنوان «الأصل القديم» The Old Stock عالجت فيها قصة امرأة يهودية تكره نفسها . وأثارت هذه القصة حنق عدد غفير من القراء اليهود الذين أرسلوا خطابات احتجاج على قصتها ونشروا تعليقات عليها في الصحف . وتذكر كاليشر في سيرة حياتها التي كتبتها عام ١٩٧٤ بعنوان «نفسها» Her-self أن السيل العارم من الاحتجاج على قصتها يرجع إلى جسارتها في التلميح بأن اليهود ليسوا كاملين لا تشوبهم شائبة .

وأثارت أيضا شخصية السيدة الكينسي المشار إليها غضب كثير من القراء اليهود بسبب ما أظهرته من عداة نحو بني جلدتها من اليهود فأرسلوا الخطابات التي تحتج على تلك اليهودية التي تحمل هذه الشاعر المعادية لأقرانها . وتتناول المؤلفة هورتنس كاليشر موضوع العداة للسامية في بعض قصصها الأخرى مثل «العقيدان» Two Colonels و«الولد الأجوف» The Hollow .

Boy كما أن قصتها «واحد من المختارين» - One of the Cho-sen تعالج العداء للسامية الموجود في الكليات ومعاهد العلم .

وبعد ذلك توقفت كاليشر عن الكتابة عن اليهود وما يتعرضون له من خسف واضطهاد . تقول هذه المؤلفة في هذا الصدد أنها لم تستطع أن تستأنف الكتابة عن اليهود حتى قامت بتأليف روايتها «أهل نيويورك» The New Yorkers عام ١٩٦٤ . وإذا كانت قصص كاليشر الباكورة تنم عن أزوارها عن بنى جلدتها فإنها في هذه الرواية الأخيرة تقبل يهوديتهم عن رضا وبروح سمحة .

غير أن الرواية الأمريكية اليهودية في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية التي تعبر عن التأقلم مع المجتمع الأمريكى والثقافة الأمريكية أخذت تضيع وتنتشر وتجد لها قاعدة شعبية عريضة من القراء . وإحدى هذه الروايات الذائعة التي تعالج تأقلم اليهود مع المجتمع الأمريكى من تأليف سام روس Sam Ross عام ١٩٥٠ وتحمل عنوان «الأفاريز الخالية» The Sidewalks Are Free وتدور هذه الرواية حول طفولة هيروشيف مالوف Hershev Malov في الفترة بين عامي ١٩١٠ و ١٩٢٢ وما اعتري صلات اليهود ببعضهم البعض من تفكك وضعف . فقد حدث تطور هائل في موقف اليهود من تراثهم الراسخ وتقاليدهم

العقيدة عبر آلاف السنين . وظهر جيل منهم لا يجد أدنى غضاضة فى إلقاء هذه التقاليد فى مهب الريح . وتندور رواية «الأفاريز الخالية» حول الصراع بين الجيل القديم المتمسك بالتقاليد والجيل الجديد الذى ينبذها . ورغم أن هذه الرواية تحدثنا عن تأقلم اليهود مع المجتمع الأمريكى فإنها تحذر قراءها من الجوانب السلبية فى عملية التأقلم هذه .

ويمثل اتجاه اليهود إلى الزواج من غير اليهوديات معلما بارزا فى الروايات اليهودية التى تعالج موضوع التأقلم مع المجتمع الأمريكى . وهذا ما نراه فى رواية «الحجرة الموحشة» (١٩٥٠) The Lindy Room التى ألفتها بياتريس ليفن Beatrice Le- vin التى تقع أحداثها فى فترة الحرب العالمية الثانية وما بعدها . وتختلف هذه الرواية عما سبقها من روايات فى أن الخصيصة اليهودية أصبحت الآن تركز على الممارسات والعادات التقليدية وليس على الدين اليهودى كما كان الحال فى الماضى . ورغم أن بطل هذه الرواية يتزوج من امرأة فرنسية فإنه بعد وفاتها يعود إلى دفء الأحضان اليهودية فيتزوج فى المرة الثانية من يهودية مثله . والجدير بالذكر أن اليهودى التقليدى يرفض رفضا باتا فكرة الزواج من اليهودية فى حين أن اليهودى الجديد لا يجد أية غضاضة فى ذلك .

وتدور الرواية التي ألفها ستيفن لونجستريت Stephen Longstreet عام ١٩٥١ بعنوان عائلة بيدلوك حول نفس موضوع التأقلم اليهودي مع المجتمع الأمريكي . وهذا المؤلف المنحدر من جذور يهودية ليس روائيا فحسب بل رساما وكاتبا مسرحيا كذلك . وتتبع هذه الرواية حكاية عائلة يهودية منذ نزوحها إلى الولايات المتحدة في القرن السابع عشر حتى الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية . ويتخذ التأقلم اليهودي مع الثقافة الأمريكية عدة أشكال منها زواج اليهودي بغير اليهودية أو زواج اليهودية بغير اليهودي ، وتخلى اليهودي المؤقت عن يهوديته . وبعد انقضاء خمسة عشر عاما على صدور هذه الرواية نشر لونجستريت عام ١٩٦٦ رواية أخرى بعنوان «بيدلوك وأولاده» Pedlock & Sons . وقد أصابت هاتان الروايتان رواجا كبيرا .

ولعل أضخم عمل روائي يهودي يعالج مشكلة تأقلم اليهود مع المجتمع الأمريكي هو ذلك المسلسل الروائي المكون من تسع روايات التي ألفها تشارلس أنجوف Charles Angoff . ويتتبع هذا المسلسل الروائي حياة عائلة بولانسكي الوافدة من شرق أوروبا حتى هجرتها إلى الولايات المتحدة ثم تأقلم الجيل الثاني مع الحياة



الأمريكية . ومن الواضح أن هذا المسلسل الروائى يتضمن الكثير من سيرة حياة مؤلفه . ويسجل الجزء الأول من هذا المسلسل - وهو بعنوان «رحلة إلى الفجر» (١٩٥١) - اضطهاد هذه العائلة اليهودية أثناء إقامتها فى روسيا القيصرية ثم هجرتها إلى بوسطن بأمريكا فى نهاية الأمر . ويلعب سليل العائلة دافيد بولانسكى دورا بارزا وحيويا فى الجيل الثانى من هذه العائلة اليهودية . فالجزء الثانى من المسلسل الذى يحمل عنوان «شمس الظهيرة» (١٩٥٥) The Sun at Noon . يدور حول تلقيه العلم فى جامعة هارفارد وشعوره بالاغتراب عن عالم أبيه اليهودى . وفى الأجزاء التالية يذهب دافيد إلى مدينة نيويورك ليصبح صحفيا وكاتبا . وهناك تتسع دائرة معارفه وتجاربه . ويدور الجزء السادس فى هذا المسلسل الروائى وهو بعنوان «عاصفة الصيف» (١٩٦٣) Summer Storm حول مشكلة زواج اليهودى بغير اليهودية . وتتضمن هذه الروايات عن حياة اليهود الأمريكان حنيئا واشتياقا إلى التقاليد اليهودية ينذر أن نجد نظيرا لها فى الروايات اليهودية فى الأدب الأمريكى .

وتتمثل إحدى مظاهر التأقلم اليهودى الثقافى مع المجتمع الأمريكى فى تخلق المهاجرين الثوار والراديكاليين فى روسيا

القيصرية عن ثورتهم ورايديكاليتهم وذلك بعد تحقيق النجاح المادى المنشود فى مجتمعهم الأمريكى الجديد .

وهذا هو الموضوع الذى تدور حوله رواية «نهاية الموت» An End to Dying التى ألفها سام أستراشان Sam Astrachan عام ١٩٥٦ فنحن نقرأ فى هذه الرواية عن أن عائلة كوجان المهاجرة من روسيا إلى أمريكا تضم عددا من الثوار . ولكن ثورتهم تزول عنهم فى أرض المهجر . وخاصة بعد أن يحققوا ما يرغبون من ثراء . تبدأ أحداث القصة بعائلة يعقوب كوجان الذى يتمتع بثراء عظيم فى مدينة بطرسبرج . ويتحاشى جميع أفراد هذه العائلة استخدام اللغة اليهودية المستخدمة فى روسيا وشرق أوروبا المعروفة باليديش ويتحدثون باللغات الألمانية والفرنسية والروسية . وتتدلع الثورة البلشفية فتصادر أموال العائلة وتقتل ربها الأمر الذى يدفعها إلى الهجرة إلى الولايات المتحدة . وهناك يلتحق ابن هذه الأسرة واسمه لارى بالعمل فى مصانع عمه . فيضيق صدره بسوء ظروف العمل وضالة الأجر الذى يجعل لارى يعتقد المقارنات بين ظلم عمه لعماله وظلم القيصر للشعب الروسى . ولكن تمرده ما يلبث أن يزايله عندما يعينه عمه مديرا للمصنع ويصبح ذا دخل مرتفع .

وبعد الحرب العالمية الثانية ظهر الأديب اليهودي الموهوب هوبرت جولد الذى تناول الشخصيات اليهودية فى أعماله القصصية ... وتناول الكثير من قصصه حول اليهود فى سن مراهقتهم ورجولتهم الباكورة فى ضاحية كليفلاند فى ليك وود . ونلاحظ فى الجزء الأول من رواية «لهذا كن جسورا» (١٩٦٠) Therefore Be Bold تتوالى الشخصية اليهودية ولكن هذه الشخصية تبرز عندما يقع الشاب اليهودى دان بيرمان فى فترة الثلاثينات فى غرام فتاة يهودية اسمها ايفا ماسترز Eva Masters التى يتصف والداها بالعداء الشديد للسامية إلى جانب عدائه للزواج . ويكره هذا الرجل الشاب اليهودى الذى يتقدم للزواج من ابنته فهو يخاطبه به قائلا : «إنك تفسد الأرض وتفسد حضارتنا وتجلب الاهتمام بالتجارة والمال إلى الغرب» . ولكن ابنته تتحداه وتستمر فى علاقتها العاطفية مع اليهودى دان .

وفى وقت لاحق نشر جولد عام ١٩٦٦ رواية بعنوان «الآباء» Fathers استمدها من حياة والده الذى هاجر إلى الولايات المتحدة فى مطلع القرن العشرين عندما كان ابنه لا يزيد عن الثانية عشرة . ويستأجر أبوه عددا من البلطجية لضرب تاجر منافس له لأنه وجه إليه إهانة بسبب يهوديته . وتصور الرواية

مستقبل الابن عندما يكبر ويلتحق بالجيش فى خلال الحرب العالمية الثانية وما لقيه من عدا للسامية وتصديه لهذا العدا . وبمضى عقد الستينات توالى نشر الروايات اليهودية التى تعالج التأقلم اليهودى مع الثقافة الأمريكية مثل رواية «أفضل ما فى الحياة» The Best of Life التى نشرتها باربارا بروبست سولرن Barbara Probst Soloron عام ١٩٦٠ ورواية «لا أحد يسدى إليك جميلا» (١٩٦٦) Nobody Does You Any Favors ورواية «كان لهرمان ابنتان» (١٩٦٨) Herman Had Two Daughters تأليف زيلدا بوبكين Zelda Popkin .

وبتقدم الخمسينات والستينات بزغت ظاهرة جديدة فى التصدى للعدا للسامية فبعد أن كانت مقصورة على الكتاب اليهود فقط أصبح الكتاب الأمريكان أنفسهم يشاركونهم فى التصدى لها . ومن بين هؤلاء الكتاب الأمريكان سلون ويلسون مؤلف رواية «الرجل ذو البذلة الرمادية» (١٩٥٥) The man in. the Grey Flannel Suit وهذه الرواية مجرد نموذج لنوعية الروايات التى أفرزها عقد الخمسينات فى أمريكا . ونجحت هذه الرواية فى أن تجسد فى قالب روائى التحليلات الاجتماعية التى قام بها عدد من علماء الاجتماع الأمريكان . وتتميز هذه الروايات

المناهضة للعداء للسامية بحرصها على رسم تلك الشخصيات التي نذرت نفسها لمقاومة الكراهية ضد اليهود . وكما أسلفنا لم يكن تصوير هذه الشخصيات مقتصرًا على الكتاب اليهود وحدهم بل اشتمل الكتاب الأمريكيان أيضا . ومن الشخصيات الروائية التي تصدت لمقاومة معاداة السامية شخصية الدكتور أبلون في رواية «آخر رجل غاضب» و«القاضي شافول برنشتين» في رواية «الرجل ذو البذلة الرمادية» التي طبقت شهرتها الآفاق وصارت من أكثر الكتب مبيعا وانتشارا .

وإذا كانت الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية قد شهدت ضمورا في مشاعر العداء لليهود - على عكس الفترة السابقة عليها - فإن الصواب يجانبنا إذا ظننا أن العداء ضد اليهود قد اختفت تماما من أمريكا في عقد الخمسينات . فمن الثابت أن بعض أصدقاء معاداة السامية ظلت تتردد في هذا العقد مثلما نرى في أدب الكاتب جيمس جولذكورنس - James Gould Coz- zens والكاتبة كاترين أن بورتير Katherine Anne Porter ولكنها مجرد استثناء من القاعدة فالسواد الأعظم في الأدب الأمريكي في الخمسينات نذر نفسه لمقاومة معاداة اليهود . فضلا عن أن هذين الكاتبين المعادين للسامية ينتميان في واقع الأمر

إلى جيل أقدم، فكورنيس من مواليد عام ١٩٠٢ كما أن بورتر من مواليد عام ١٨٩٠ . وفى الرواية التى ألفها كورنيس عام ١٩٥٧ بعنوان «الحب المسيطر» Love Possessed تتردد فى أسماع القارئ لها أصداء تذكربنا بشخصية شيلوك ذلك اليهودى المقيت التى صورها شكسبير فى مسرحية «تاجر البندقية» ، ولكن معاداة السامية عند الكاتب كورنيس ليست واضحة إذ أنها تظهر أحيانا فى صورة مقنعة قد تغيب عن انتباه القارئ غير اليقظ مثما هو الحال فى روايته «حرس الشرف» Guard of Honor . غير أن ضيق هذا المؤلف باليهود لا يخفى على القارئ لروايته «الحب المسيطر» و«العادل والظالم» The Just and Unjust . ولكن امتناعه عن الهجوم على اليهود فى بعض رواياته لا ينبغى أن يجعلنا نعتقد أن جميع رواياته تخلو من التحيز ضد اليهود . وعلى أية حال لم يستطع كورنيس إخفاء عدائه ضد اليهود والأجانب والكاثوليك والاييرلنديين .

وفى عام ١٩٦٢ ألقت الروائية الأمريكية كاترين أن بورتر رواية بعنوان «سفينة المغفلين» Ship of Fools . وفى الظاهر تنم هذه الرواية عن مناهضة النازية ولكنها فى واقع الأمر تنم عن التشاؤم من الجنس البشرى بأسره وليس من النازيين وحدهم .



والرواية تفتقر إلى الشخصيات المحببة إلى النفس وتروى لنا الرواية قصة يهودى اسمه جوليوس لونيثال يعود على ظهر سفينة تقله من أمريكا الجنوبية إلى مدينة ديزدولف الألمانية فى أوائل الثلاثينات أى فى أيام انتشار المذهب النازى . ويخشى هذا الرجل على نفسه من أن يكون اليهودي الوحيد على ظهر الباخرة . ويسافر مع اليهودى فى نفس المقصورة رجل ألمانى كرهه يعتمد تجاهله ويعامله باحتقار . وأيضاً نرى على ظهر الباخرة مسافرا ألمانيا آخر يعمل فى حقول النفط فى المكسيك فى طريق عودته إلى ألمانيا لإحضار زوجته اليهودية إلى المكسيك . ويفخر هذا الألمانى بأن زوجته اليهودية صارت ألمانية بحكم الزواج منه وأن الدم الذى يجرى فى عروق أبنائه دم ألمانى نقى وليس دما يهوديا فاسدا . والجدير بالذكر أن المؤلفة سافرت إلى ألمانيا عام ١٩٣١ حيث تعرفت بالنازى هرمان جورنج وأصبحت صديقتها . ويذكر أن جورنج عبر لها عن شدة ارتياحه لاضطهاد هتلر لليهود . ويتضح لنا من حديث دار بين كاترين أن بورتز وجورنج أنها كانت فى قرارة نفسها راضية عن سوء معاملة النازيين لليهود وأن اعتراضها على هذه المعاملة يرجع إلى أن انتهاجها سوف يعود بالضرر على ألمانيا نفسها . ويمكن للمرء أن يستيقن من عداوة

هذه الروائية للسامية مما ورد في سيرة حياتها ، ومما كتبتة بعنوان «نقد عائلة كلاينز» Criticism of the Kleins وهي عائلة من المراسلين اليهود العاملين في صحيفة شيكاغو تريبيون . ويبدو أن معاداة كاترين آن بورتر للسامية لم يكن بالأمر الذي يغيب عن أذهان كثير من النقاد مثل تيودور سولوتاروف وجوزيفين هربست Josephine Herbst وسبيل بيدفورد Sybille Bedford . ومما يؤكد احتقار كاترين آن بورتر لليهود أنها كتبت عام ١٩٦٢ في نسخة من كتاب «صورة يهودي» حصلت عليه وهو من تأليف ألبرت ميمي Albert Memmi «كل إنسان فيما عدا اليهود يعلم أن اليهود ليسوا شعب الله المختار ولكنهم جماعة من السخفاء والمحتالين والأدعياء وصناع الضجيج» . وليس أدل من معاداتها للسامية من أنها نشرت في الصحف عام ١٩٥٨ رأيا مفاده أن المحكمة الأمريكية العليا تصرفت بإستهتار عندما حظرت عام ١٩٥٤ عدم اختلاط السود بالبيض . وتعلق بورتر على هذا بقولها إن الأقليات التي تدوسها الأقدام تنظم نفسها في جمعيات متأمرة صغيرة لإدارة شئون البلاد لدرجة أن الأمريكان أنفسهم سوف يصبحون الأغلبية التي تدوسها الأقدام إذا لم تنتبه إلى ما يحدث بها من أخطار .

ولكن نعود ونؤكد أن هذا العداء السافر ليهود أمريكا كان مجرد استثناء فالقاعدة العريضة من الكتاب الأمريكان أظهرت تعاطفا عظيما معهم .

وعندما انتهت الحرب العالمية الثانية باندحار الفاشية لم يفتن هذا كما كان متوقعا إلى شيوع التفاؤل المستبشر بالخير وازدهار النظرة المؤمنة بالإنسان . بالعكس ران الحزن على نفوس الناس فاثروا التقوقع فى عالمهم الخاص وتصاعدت النزعة إلى التربح والخلاص على الصعيد الفردى . وازدادت الأمور سوءا وتفاقما بسبب الحرب الباردة بين أمريكا والاتحاد السوفيتى السابق ، وظهر فى كلا البلدين من يستغل هستريا الرعب والخوف إلى أقصى حد ممكن وفرض التماثل الفكرى والثقافى على المجتمع الأمريكى . يقول ارفنج هاو عام ١٩٥٢ إن المشاعر السائدة بين الأمريكان آنذاك كانت خليطا من «الحيرة والخوف والتشكك والضياع والاضطراب واليأس . لقد اتسمت الخمسينات فى أمريكا بعدم الاكتراث بشئون المجتمع ومجريات الأمور . وينعكس هذا على عدد من الأعمال الروائية مثل «الجمهور الموحش» (١٩٥٠) The Lonely crowd تأليف دافيد رايزمان David Riesman و«الرجل التنظيمى» (١٩٥٦) The Orgaization Man

تأليف وليم هوايت William whyte و«الياقة البيضاء» (١٩٥١) White Collar تأليف س . رايت ميلز C.Wright Mills وجميع هذه الأعمال تصور وتحلل الإحساس الأمريكى المعاصر بالاغتراب. وهكذا يتضح لنا بعد إنتهاء الحرب العالمية الثانية أن عدم المبالاة السياسية والاجتماعية سيطر على المجتمع الأمريكى فى عقد الخمسينات . مما زاد من اتباع أسلوب اللامبالاة السياسية فى المجتمع الأمريكى حينذاك ما شعر به المثقفون الأمريكان من خيبة أمل من جراء فشل التجربة الاشتراكية السوفيتية الأمر الذى جعل الأمريكين يكفرون بالحلول الجماعية وبالمؤسسات العامة . وتلقى رواية جيرالد جرين «آخر رجل غاضب» (١٩٥٦) الضوء على ذلك . فهى تدور حول طبيب شريف وطيب القلب فى منطقة بروكلين اسمه الدكتور سام أبلمان نبذ نبذاً كاملاً الإيمان بجدوى العمل السياسى واستبشع كل مظاهر الخداع التى أحاطت به سواء جاء هذا الخداع من الأفراد أو المؤسسات . وبسبب سخطه على فساد الحياة العامة الأمريكية اختار هذا الطبيب أن يعيش كفرد فى بيئته اليهودية عيشة الشرفاء المخلصين نادراً نفسه لمعالجة مرضاه الفقراء والشرفاء من حوله . وبلغ إعجاب مخرج تليفزيونى بأمانته وإخلاصه حدا جعله يرغب فى إجراء حديث تليفزيونى معه بعنوان «آخر رجل

غاضب» وتصور رواية «من البرج المظلم» From The dark Tower التي نشرها ارنست باويل Ernest Pawel عام ١٩٥٧ تصويرا اجتماعيا صادقا حياة الضواحي التي يسكنها يهود أمريكا في عقد الخمسينات . وتجسد هذه الرواية روح الخمسينات الأمريكية المتمثلة في انعدام الثقة بالعمل الجماعي والحلول الجماعية وأيضا في خيبة أملهم أثناء فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية ، وفي الأفكار الثورية والراديكالية كما أنها تتمثل في استمساكهم بأهمية العمل الفردي والصدق الشخصي . والجدير بالذكر أن هذه الرواية التي تعالج حياة اليهود في الضواحي تتضمن عددا من الموضوعات الشائعة في الأدب الأمريكي في الخمسينات وهي عدم الاكتراث بما يحدث في ميدان السياسة والاجتماع والجنوح نحو التماثل الفكري والثقافي ووصف جو المكارثية الذي يشجع مثل هذا التماثل في الأفكار الثورية والراديكالية إلى جانب التمييز ضد اليهود في التعيين في الوظائف التنفيذية العليا . وتروى لنا هذه الرواية قصة رجل يدعى أباروجوف كان اليهودي الوحيد العامل في وظيفة إدارية بشركة تأمين اسمها شركة البرج للتأمين . وهو يعتبر نفسه يهوديا ليس بمعنى أنه يدين بالديانة اليهودية ولكن بمعنى أنه يشعر بغريبته عن المجتمع الأمريكي الذي يضطهده

ويتجاهله فى الترقىات فعندما يتتحر صديقه ورئىسه فى العمل كان من المفترض أن يحل محله . ولكن الشركة تتخطاه وتعين رئىسا غيره . وبالرغم من هذا التمييز فى المعاملة فإن سكان الضواحي الأمريكیه فى فترة الخمسينات ما أنفكوا يزهون بأنهم لا يعرفون التفرقة العنصرية أو التمييز فى المعاملة بين اليهود وغير اليهود . ولكن مثل هذا الزعم لا يمنع الكاثوليك والبروتستانت واليهود والسود من الانكفاء على نواتهم وعدم الاختلاط بالبعثات الاجتماعیه المخالفة لهم . ويخرج اليهودى أباروجوف عن تماثله وتواؤمه مع المجتمع الأمريكى ويجأ بالشكوى من أعمال البلطجة والضغط والكذب التى يتعرض لها . غير أن مجتمع قريته يضيق بخروجه عن المواءمة فيلحق به بعض الأذى فى العمل كما تتعرض زوجته للمضايقات . ويخرج ابنه عن طوعه ويقف فى صف المجتمع ضده . ويتضايق الحبر اليهودى فى القرية من موقفه ويخشى أن يعود هذا الموقف بالأذى على كل أبناء الضاحية من الطائفة اليهودية وأن يفسد علاقة اليهود ببقية الطوائف فيعرض على هذا اليهودى المتذمر مبلغ خمسين ألف دولار مقابل الانتقال إلى مدينة أخرى ويقبل أباروجوف هذا العرض ويذهب للعمل والعيش فى مكان آخر حيث يستطيع تأكيد ذاته والعثور على نفسه على حد قوله .



ونحن نطالع أيضا فى الأدب القصصى الأمريكى الذى يعالج  
يهود أمريكا نغمة شديدة القردية والتعقيد معا كما هو الحال فى  
القصص التى ألفتها جريس فالى Grase Faley المعروفة  
بدفاعها النشط عن السلام مثل «مزعجات الإنسان الصغيرة»  
(١٩٥٩) The Little Dusturbances of Man ثم «تغيرات هائلة  
فى الدقيقة الأخيرة» (١٩٧٤) at Enormous Changes at ke  
the Last Minute، ويتميز أسلوب جميع هذا القصص بالحدائة  
والقصد والاحكام وبالتغيرات المفاجئة فى المعنى ويعنى كثير منها  
بتصوير الجوانب الحلوة والمرة فى حياة اليهود القومية . ومن ثم  
فهى تجمع بين الواقعية والتعاطف الحساس مع أخطاء البشر  
وضعفهم أكثر من اهتمامه بتصوير اليهود ومشاكلهم . وبعد  
انقضاء أحد عشر عاما نشرت جريس فالى مجموعة قصصية  
أخرى بعنوان «فيما بعد فى نفس اليوم» (١٩٨٥) عبرت فيها عن  
خيبة أملها من ثقافة الستينات . وتصور هذه المجموعة القصصية  
الأخيرة عددا كبيرا من الشخصيات اليهودية وهى تتحرك فى  
بيئتها اليهودية .

ويكشف أدب كل من ج. د. سالنجر J . D. Salinger  
وهرمان ووك Herman Wouk عما بين هذين الروائيين من

تناقض ففي حين رفض سالنجر - الذي ينحدر من أب يهودى وأم أيرلندية - القيم السائدة فى المجتمع الأمريكى احتضن هرمان ووك هذه القيم ، ورغم أن سالنجر نصف يهودى فإن قصصه تخلو من الغالب الأعم من الشخصيات اليهودية . ولكن هذا لا يمنعه من أن يصور فى إحدى قصصه طفلاً يهودياً فى الرابعة من العمر اسمه ليوفيك يشير ببراعة الأطفال إلى مظاهر العداء للسامية الموجودة فى المجتمع الأمريكى . وهو عداء لا يتمثل فى هذه القصة فى الكلمات ولكنه يتمثل فى النبذة المستخدمة للنطق بهذه الكلمات . وينبئنا بعض النقاد إلى خلو رواية سالنجر المعروفة التى نشرها عام ١٩٥١ بعنوان «المراهق المتمرد» The Catcher in the Rye من كل أثر يهودى . ويرى مثل هؤلاء النقاد أن الرواية تمثل جيل الشباب الأمريكى كله فى فترة أوائل الخمسينات (وليس الشباب اليهودى وحده) الذى اشمأز من ضحالة المجتمع الأمريكى وسطحيته فلا غرو إذا رأينا هذا الشباب المتقرز ينأى بنفسه عن الاهتمامات الاجتماعية وينكفى على نفسه وعلى القيم الفردية والحياة الخاصة مثلاً فعل المراهق هولدن فى هذه الرواية . ولكن هذا التمرد لا يمنع وجود قسم آخر من الشباب الأمريكى يساير الحياة المادية والتجارية القائمة

على البيع والشراء . ولكن حتى هذا الشباب المسير للحياة الأمريكية أظهر عزوفاً عن الحياة العامة وتشبثاً بالحياة الفردية والخاصة . وهكذا اقترب كلا الصنفين من الشباب في إثارة الحياة الفردية الخاصة ونبتذ حياة المجتمع بسبب احساسهما بأنهما لا حول لهما ولا قوة إزاء سلطة الدولة المركزية الطاغية .

وإذا كانت رواية سالنجر «المراهق المتمرد» أصدق تمثيل للتمرد على نفاق المجتمع الأمريكي وزيفه فإن رواية «مارجورى مورننجستار» (١٩٥٥) Marjorie Morningstar تأليف هيرمان ووك تمثل قبوله والتعايش معه . ولعلنا نذكر أن هذه ليست الرواية الوحيدة التى ألفها هيرمان ووك فى هذا الشأن فقد سبق أن ألف رواية تدور حول تقبل القيم الاجتماعية المادية السائدة بعنوان «تمرد كين» لقيت نجاحا تجاريا عظيما . وأيضا حققت روايته الأخرى «مارجورى» نجاحا تجاريا كبيرا كرواية وعند تحويلها إلى فيلم . ولكن هذه الرواية تتجاهل بعض الحقائق الجوهرية الخاصة بمعاناة اليهود ومعاداة السامية التى ازدهرت آنذاك . فأحداث الرواية تدور حول عقد الثلاثينات الذى شاهد ذروة الكساد وهو الوقت الذى ازدهرت فيه عادات اليهود وتحملهم وزر ما أحاق بالعالم آنذاك من كوارث ونكبات . ويتجاهل المؤلف

تصوير أثر حقائق الثلاثينات الاقتصادية المؤلمة فى حياة اليهود . ورغم ذلك فإنه يظهر تعاطفا على الديانة اليهودية وما يصاحبها من شعائر وطقوس تشعر المرء بأنه ليس غريبا فى هذا العالم كما تشعره بالدفء والأمان . وأيضا تذهب مارجورى - وهى الشخصية المحورية فى هذه الرواية - إلى المعبد اليهودى بانتظام كى تصلى فيه كما أنها تلعب دورا نشطا فى المؤسسات اليهودية الموجودة فى مدينتها .

وفى عام ١٩٥٨ ألف الروائى اليهودى ليون يوريس Leon Uris رواية بالغة الأهمية من الناحيتين السياسية والاجتماعية رغم أنها محدودة فى قيمتها الفنية . وتحمل هذه الرواية عنوان «الخروج» . التى سبق الإشارة إليها . ونجحت هذه الرواية فى استغلال بشاعة الهولوكست النازى أى الإبادة الجماعية لليهود إلى أقصى حد ممكن . كما أن أهميتها السياسية ترجع إلى أنها تشرح ظروف نشأة إسرائيل . وتعالج الرواية كفاح اليهود من أجل إقامة دولة لهم كنتيجة لما تعرض إليه اليهود من اضطهاد عبر التاريخ وبخاصة على أيدي النازيين . وتبدأ الرواية بوصف رحلة اليهود الهاربين من النازية ونزوحهم إلى فلسطين بطريقة غير مشروعة فوق ظهر الباخرة «الخروج» . ويعيش هؤلاء المهاجرون

فى معسكر فى جزيرة قبرص تمهيدا لتزويهم إلى فلسطين .  
ويحدثنا المؤلف قائلاً إن يهود فلسطين أنشأوا أول مستعمرة  
حديثه فيها نحو عام ١٨٨٠ . وأيضاً تتبع الرواية حياة عدد من  
العائلات الرائدة التى استوطنت فى فلسطين . وكذلك الحرب التى  
اندلعت بين العرب والاسرائيليين عام ١٩٤٨ . ورغم ما يشوب هذه  
الرواية من عيوب فنية وعدم تحريرها وجه الدقة التاريخية فى  
معالجة ثورة حارات اليهود فى وارسو ببولندا فقد تحولت إلى  
فيلم سينمائى ناجح للغاية . وتذكر الرواية الأجيال اليهودية  
الشابة بالخسف والاضطهاد اللذين تعرض لهما جيل الآباء  
والأجداد على أيدي النازيين . والرواية لا تخفى تمجيدها لليهود  
والجيش الإسرائيلى وتحقر العرب والتهوين من شأنهم . واليهود  
فى نظر المؤلف أبطال صناديد فوق مستوى البشر فى حين أن  
العرب فى رأيه دون مستوى البشر . ولكن نغمة الرواية التى تجعل  
من اليهود شعباً من الأبطال غير العاديين لم ترق فى عيون بعض  
اليهود الذين ذهبوا إلى إنه يحق لليهود أن يفخروا بأن بناء  
إسرائيل أناس عاديون . وأضاف هؤلاء اليهود المنتقدون أنه ليس  
من مصلحة اليهود إثارة الفرور والشوفينية بل أن مصلحتهم  
تقتضى إبراز قدرة اليهودى العادى على الإنجاز .

والمؤلف يوريس لا يكف عن تحقير العرب إلى أبعد الحدود  
فاليهودى أنظف وأرقى منه . والعربى قذر على الدوام ويعيش فى  
قرى تفوح منها الروائح النتنة وهو أبدا عالة على منجزات  
الحضارات الأخرى . فضلا عن أن فرائصهم ترتعد هلعاً من  
انتقام اليهود منهم . والعربى يساق بالسوط كما تساق السوائم  
وهو يفوق سائر أجناس الأرض فى حقارته . غير أن المؤلف يعبر  
عن تعاطفه مع بعض العرب المتعاونين مع اليهود والذين يدركون  
أن اليهود أسيادهم وتيجان رؤوسهم . ومن ثم فإن علاقة صداقة  
قد تنشأ بين اليهودى والعربى ولكنها صداقة لا تقوم على الندية بل  
على خضوع العربى لليهودى . ونطالع فى الرواية أن عربى  
الصداقة تربط بين عربى اسمه طه ويهودى اسمه أرى . ويسعى  
اليهودى إلى استغلال العربى فى منع بنى جلده نحو عام ١٩٤٧  
من مقاومة الاستيطان الاسرائيلى . وتلعب هذه الصداقة الزائفة  
وغير المتكافئة بعقل طه الذى يحب أخت صديقه اليهودى . فيطرح  
على اليهودى هذا السؤال : ألسنت تعتبرنى أخاك ؟ « فيجيب  
اليهودى بالإيجاب فيتشجع طه على طلب يد الفتاة من أخيها أرى .  
ويصدم اليهودى لهذه الوقاحة المتناهية وبدلاً من الرد على طه  
يسدد لكمة قوية إلى فكه . عندئذ يفيق العربى الواهم من أحلامه



ويقوم بطرد صديقه اليهودى من منزله وهو يقول له : «إنك قلت لى كل ما أحتاج إلى معرفته ، ولتخرج من بيتى أيها اليهودى» .

وفى عام ١٩٦٢ توفى الروائى اليهودى الموهوب أدوارد لويس والانت Edward Lewis Wallant وهو فى السادسة والثلاثين من عمره . وكانت وفاته المبكرة خسارة على الأدب اليهودى فى الولايات المتحدة . وقبل وفاته نشر هذا الكاتب روايته «الموسم الإنسانى» (١٩٦٠) The Human Season و«الرجل الذى يتعامل فى الرهونات» (١٩٦١) The Pawnbroker . وكذلك نشرت له بعد وفاته روايتان أخريان هما «سكان مونبلوم» (١٩٦٢) Tenants of Moonbloom و«أطفال عند البوابة» (١٩٦٤) The Children at The Gate وفى عام ١٩٦١ فازت رواية «الموسم الإنسانى» بجائزة مجلس الكتاب اليهودى كما تم ترشيح «الرجل الذى يتعامل فى الرهونات» لجائزة الكتاب القومى ، ويذكر أن أدوارد لويس والانت ولد وترعرع فى نيوهافن والتحق بخدمة الجيش الأمريكى فى الحرب العالمية الثانية ، وبعد تخرجه من الجامعة أصبح مديرا لإحدى وكالات الإعلانات فى نيويورك .

وجميع هذه الروايات الأربع المشار إليها تقدم نظرة متسقة فى الحياة قام المؤلف بتطويرها فى أربع مراحل :

١ - إحساس الشخصية المحورية بالكآبة الروحية والانعزال  
عن بقية الناس .

٢- الدخول فى سلسلة من المواجهات المشتعلة على تعساء  
يكابدون صنوف العذاب .

٣- المرور بتجربة أو صدمة عنيفة تجعل هذه الشخصية  
المحورية تتخلى عن ابتعادها عن الناس .

٤- التعبير فى آخر المطاف عن صحوة مشاعر الإقتراب من  
الآخرين.

وجميع هذه الروايات الأربع تدور أساسا حول شخصيات  
يهودية تتحرك فى بنية يهودية .

وتعتبر رواية «الرجل الذى يتعامل فى المرهونات» من أفضل  
أعمال ادوارد لويس والانت. وقد تحولت هذه الرواية الى فيلم ناجح  
وتدور أحداثها حول يهودى اسمه صول نازرمان كتبت له الحياة  
بعد أن هلك بقية زملائه فى الهولوكست النازى الأمر الذى خلق فيه  
القدرة على إقامة أية علاقة عاطفية بالآخرين. ولا غرو فقد ماتت  
عواطفه نتيجة مناظر الموت فى معسكرات الاعتقال النازى وفقدانه  
لزوجته وأولاده . وهو عاجز عن التجاوب العاطفى مع الآخرين  
وهذا اليهودى يدير محلا فى هارلم ينفق منه على أفراد أسرته

أخته وأخى زوجته وابنته وابن عمه. وجميعهم يسعون ما فى وسعهم السعى الى تحقيق النجاح المادى والاقتصادى على الطريقة الامريكية وهم متلهفون الى التأمرك أى اندماجهم فى المجتمع الأمريكى فاخته تنتظر بفخر الى زوجها وأطفالها لأن المرء يعجز عن أن يكتشف أنهم كانوا يهودا فى يوم من الأيام ، ويستعين هذا اليهودى بشاب اسود اسمه يسوع أو رتيز فى ادارة محله المخصص للرهونات . ويلاحظ الشاب الاسود أن صاحب العمل من النوع الذى يشك فى جميع البشر فيسأل عن رأيه فيهم ويجيبه اليهودى صول بقوله : «لست أثق فى الله أو السياسة أو الصحف أو الموسيقى أو الفن كما أنى لا أثق بالابتسامات والملابس والمباني والمناظر الطبيعية والروائح .. ولكنى فوق كل شىء لا أثق بالناس وكلام الناس لأنهم صنعوا جحيما بكلماتهم. لأنهم اثبتوا بما هم عليه أنهم لا يستحقون الحياة.. وسأله مساعده اورتيز «ألا يوجد شىء تثق به» فيجيب اليهودى بقوله : «المال. وإنى بعد سرعة الضوء التى يخبرنا اينشتين أنها الحقيقة الوحيدة المطلقة فى الكون أضع المال فقط فى المرتبة التالية لسرعة الضوء». ويتضح لنا من أحداث الرواية أن العلاقة التى تنشأ بين صاحب العمل اليهودى وعامله الأسود علاقة مهمة تلعب دورا حيويا فى

تصالح اليهودى مع البشر بعد أن تقطعت الوشائج التى تربطه بهم . وينجح الشاب الاسود فى اختراق عزلة اليهودى الذى يعلمه أسرار مهنة الربا والمرهونات ، غير أن خلافاً يدب بينهما فيتفق المساعد مع بعض الأشرار على سرقة مخدمه ولكنهم يتعهدون أمامه بعدم استخدام العنف أو الاسلحة النارية فى السطو عليه . غير أن واحداً من الأشرار يحنث بوعده ويصوب فوهة البندقية الى اليهودى مهدداً بقتله . ويرى الشاب الاسود ذلك فيبادر باعتراض طريق الطلقة النارية ويتلقاها بدلاً من مخدمه ويخر الخادم على الأرض مخرجاً بدمائه . ومن الطبيعى ان تهتز مشاعر اليهودى اهتزازاً عنيفاً بعد أن رأى مساعده يفديه بروحه . وتكون هذه التجربة سبباً فيما يطرأ على اليهودى من تغير جذرى . فقد بات يؤمن بالبشر بعد أن كان ينكرهم ويؤمن أن اليهودى صول اختار مهنة الربا عن عمد . فهى مهنة اليهود الاساسية عبر التاريخ . وهى مهنة اليهود قبل شيلوك وبعده . فالربا تقليد راسخ يتناقله اليهود جيلاً بعد جيل . وهو الذى مكن اليهود من الاستمرار على قيد الحياة . وتدل روايات والانت على شدة وعى اليهود بأنفسهم كما يتضح لنا من رسم الشخصيات الروائية اليهودية

وعلاقتها بغير اليهود . ورغم ذلك فإن هذه الروايات الأربع تنتهى على نحو ايجابى وتستبشر خيرا من الجنس البشرى وبقدرة اليهود على تجاوز مشاعرهم العرقية الضيقة الى حب جميع البشر.

وليس هناك أدل على تغفل الأدب اليهودى فى الثقافة الامريكية فى عقد الخمسينات من اهتمام عامة القراء الامريكان بأدب اسحق باشيفيز سنجر Isaac Bashevis Singer الذى لفت الانظار إليه فى تلك الفترة. لم يكن سنجر رغم اتساع أثره يكتب باللغة الانجليزية أو حتى باللغة العبرية بل بلغة يهود روسيا وشرق اوربا المعروفة بالييديش . نشر أولى قصصه عام ١٩٢٥ فى مدينة وارسو ببولندا حيث كان يعيش واستمر فى استخدام لغة الييديش حتى بعد هجرته الى الولايات المتحدة عام ١٩٣٥ وهو فى الثلاثين من عمره . وبعد هجرته الى أمريكا تولت الصحيفة اليهودية اليومية .. «الى الامام» Jewish Daily Forward نشر أعماله ولكن العالم الناطق باللغة الانجليزية لم يعرفه الا فى عام ١٩٥٠ مع ظهور ترجمة انجليزية لروايته «عائلة موسكات» The Family Moskat التى سبق أن نشرها بلغة الييديش فى الاربعينات فى حلقات على صفحات جريدة «الى الامام» وتتضمن هذه الرواية

سجلا لعائلة يهودية تعيش فى وارسو ، واستقبل جمهور القراء الامريكان هذه الرواية بالاستحسان. غير أن هذا الجمهور لم يعرف كتابات سنجر على حقيقتها الا فى عام ١٩٥٢ عندما نشر الروائى اليهودى المعروف شاول بيلو Saul Bellow ترجمة انجليزية لاحدى قصص سنجر بعنوان « جمبل المغفل » the Fool Gimpel وبعد ذلك توالى نشر ترجمات قصصه فى العديد من المجلات الامريكية مثل ساترداى ايفنينج بوست والنيويورككر . وفى عام ١٩٥٧ ظهرت أول مجموعة قصصية له بعنوان «جمبل المغفل وقصص أخرى» وكان ينشر عملا جديدا كل عام . واستقبل القراء أعماله بحفاوة بالغة . وفازت رواياته فى عامى ١٩٧٠ و ١٩٧٤ بجائزة الكتاب القومى ثم جاء عام ١٩٧٨ ليتوج انتصاره بحصوله على جائزة نوبل للآداب .

ورغم أن أمريكا لم تتعرف على أدب سنجر الروائى إلا عن طريق الترجمة الانجليزية فليس هناك شك فى انه ترك بصماته الواضحة فى الحياة الثقافية الامريكية. علما بأنه نشر أولى رواياته بلغة اليديش فى وارسو عام ١٩٢٥ بعنوان «الشیطان فى جوراي Satan in Goray ثم اعيد نشرها فى حلقات عام ١٩٤٥ قبل أن يقوم جاكوب سلون Jacob Sloan بترجمتها الى الانجليزية عام



١٩٥٥. ومما يذكر أن جميع مؤلفاته الاولى كتبت أصلا بلغة اليبديش فهى اللغة التى استخدمها على أية حال فى تأليف معظم رواياته وظلت أحداث كل قصصه ورواياته حتى منتصف الثلاثينات مقصورة على المدن البولندية التى يعيش فيها اليهود ، وتستمد مادتها من خزعبلاتهم وأدبهم الشعبى (الفولكلور) وعندما شعر سنجر بتمكنه من اللغة الانجليزية تحول الى الكتابة عن مدينة نيويورك ولكنه رغم هذا لم يقطع صلته بالبيئة التى ترعرع فيها بين يهود أوروبا الشرقية.

يقول سنجر عام ١٩٧٣ فى هذا الشأن : لقد كتبت قصصى الامريكية حول اليهود المهاجرين من بولندا والمتحدثين بلغة اليبديش حتى أضمن معرفتى بطريقة حياتهم فضلا عن معرفتى بجنورهم - أى أن أعرف تاريخهم وطريقة تفكيرهم وتعبيرهم عن أنفسهم . ويذهب بعض النقاد إلى أن قصصه الامريكية أدنى فى مستواها من انتاجه السابق بلغة اليبديش . كما أن البعض يرى أنه ليس أمريكيا خالصا كغيره من الكتاب اليهود الذين ازدهروا فى أمريكا فى عقد الخمسينات ، ولكن هناك من النقاد من يخالف هذا الرأى. والجدير بالذكر أن أمريكا فى الآونة الأخيرة عرفت ما

يمكن تسميته بالتعددية الثقافية بعد أن كان الخيال الأمريكي يتغذى على التقليد الانجلو ساكسونى وحده وذلك لأن أمريكا أصبحت ملتقى الثقافات نتيجة للهجرات الاسيوية والافريقية وتجدد هجرة اليهود من الاتحاد السوفيتى واسرائيل إليها .

وهناك نفر من النقاد من يتشككون حتى فى انتماء سنجر الى تقليد اليبديش نفسه السائد بين يهود شرق اوربا فهم يهاجمونه لانشقاقه عن تقليد اليبديش الكلاسيكى الراسخ كما أصله ثلاثة من أبرز كتاب اليهود اليبديش وهم موخر سيفوريم - Mocher Sef-orim وأى ل. بيرتز I. L. Peretz وشوليم التشيم Sholem Aleichem وينحى هؤلاء النقاد على سنجر لأنه تخطى عن تقليد مثل هؤلاء الكتاب اليهود الذين اقتصر اهتمامهم على تصوير ما يعانى منه اليهود من مشكلات اجتماعية وظروف معيشية، ولم يكن سنجر غافلا عن هذا الهجوم عليه من جانب اليهود المحافظين والتقليديين فقد كتب يقول : «إن كتاب ونقاد اليبديش يجأرون بالشكوى من أنى لا أتصرف ككاتب ييديشى فلا أهتم كثيرا بما يحدث للمجتمع اليهودى . بقدر اهتمامى بوصف الشخصية الروائية التى أعالجها ومن جانبه اتهم سنجر نقاده وكتاب أدب اليبديش الحديث بأنهم يتجنبون معالجة الجنس رغم أهميته فى الحياة والأدب كما أنه

يتهمهم بعدم الالتفات الى التغيرات الهائلة التى حدثت في التاريخ اليهودى مثل ظهور المسيح الزائف وانخراط بعض اليهود فى عالم الجريمة والنميمة والدعارة والاتجار فى الرقيق الابيض، ومعنى كلام سنجر أن تقليد اليبديش قاصر عن تصوير الحياة تصويرا صادقا ، ولهذا نراه يفرق بين تقليد اليبديش المنحدر من شرق اوربا والتقليد اليهودى الحق .

وهو يرفض التقليد الاول ويعلن انتماءه الى التقليد الثانى . ولهذا نراه يكتب عن اليهود فى الحاضر والماضى ويستمد مادته الروائية من حياتهم وعاداتهم وما يشيع بينهم من أدب شعبى . وهو يلخص موقفه من هذه القضية فى الحديث الذى أجراه معه الناقد اليهودى ارفنج هاو عام ١٩٧٣ . يقول سنجر :

«إن تقليد اليبديش تقليد مفرط فى العواطف بشكل معيب . فضلا عن انه تقليد يعنى بالعدالة الاجتماعية . وهذا أمر لا يناسب شخصيتى فليس من طبيعتى أن أحارب من أجل تحقيق العدل الاجتماعى رغم أنى من انصاره . وحيث أنى متشائم فإنى اعتقد أنه مهما فعل الناس فجميع أفعالهم خاطئة ولن تكون هناك عدالة فى هذا العالم» .

إن العالم اليهودى المتحدث بلغة اليبديش عالم صغير ومغلق

يقتصر على اليهود المقيمين في روسيا وشرق أوروبا ومن ثم فإنه  
لولا ترجمة كتابات سنجر الى اللغة الانجليزية لظل مجهولا لا يعلم  
العالم الخارجى عنه شيئا وعندما ذاع صيت سنجر وطبقت شهرته  
الآفاق نشرت سنثيا أوزيك Cynthia Ozick فى مجلة «تعليق»  
الصادرة فى نوفمبر ١٩٦٩ قصة طويلة بعنوان الحسد أو لغة  
اليديش فى أمريكا «تدور حول موقف كتاب اليديش اليهود من  
سنجر وهو موقف ينم عن الحسد من نجاحه الساحق كما ينم عن  
المرارة التى يشعر بها كتاب اليديش بسبب قلة عدد قرائهم وجهل  
العالم الناطق باللغة الانجليزية بمنجزاتهم الأدبية. وهذا ما حدا  
جاكوب جلاتستين Jacoby Glatstein أن يعلق على شهرة سنجر  
العريضة بقوله عام ١٩٦٥ إن سنجر فى أمريكا يتمتع بمكانة أكثر  
أهمية وبعدد أكبر من الصداقات وبالأقبال على قراءته باهتمام  
أشد من اهتمام أدباء اليديش به . ويقول جلاتستين فى انتقاده  
أن ادب سنجر الروائى لا نوق فيه يجمع بين الخزعبلات والتصوف  
الهرىء الأمر الذى يروق للقراء اليهود أكثر مما يروق للقارىء  
اليهودى ، وأيضا انحى جلاتستين باللائمة على أدب سنجر لأنه  
يفتقر الى الحس الانسانى الرحيم الذى يتميز به أدب اليديش .  
وأضاف هذا الناقد فى هجومه انه يفتقر ايضا الى الاسلوب  
مما يجعل ترجمته الى الانجليزية غاية فى السهولة ولكننا

نجد من النقاد من يخالف هذا الرأي فجاكوب مسلون الذى قام بترجمته عبر عن سعادته بأسلوب رواية «الشيطان فى جوراي» أثناء انشغاله بترجمتها .

وعلى أية حال يبدو أن السبب الحقيقى فى ذىوع ترجمات أعمال سنجر الى الانجليزية يرجع الى ما يتميز به أدبه من حداثة فهو يعبر عما ظهر فى أعقاب الحرب العالمية الاولى من خيبة أمل فى الإنسان . لقد مات كتاب اليبديش العظام قبل اندلاع هذه الحرب ولكن سنجر بدأ فى نشر أعماله فى عقد العشرينات من القرن العشرين فى وقت تغير فيه العالم والادب عما كانا عليه قبل الحرب العالمية الاولى . وجاء سنجر ليلعب فى أدب اليبديش الذى لعبه الجيل الضائع من كتاب العشرينات الامريكان . وهو الجيل الذى رفع لواء التحديث . والحقيقة أن سنجر رفض قيود الجنس ومحرماته السائدة بين كتاب اليبديش قبل الحرب العالمية الاولى كما أنه لم يكثر بالدفاع عن مصلحة المجتمع اليهودى مثلما اكثر بها كتاب اليبديش من قبل .

ويحدثنا سنجر عن طفولته فيقول إن أباه كان شديد التقوى والورع وأنه كان كارها للتنوير والعلمانية المواكبة له . وأراد أن يحمى أطفاله مما اعتبره عدوى العلمانية عن طريق حكاياته لاولاده

التي لا تنتهى عن الارواح التي تتقمص الأجساد والمعجزات التي تتم على أيدي القديسين وأحبار اليهود ولا شك أن هذا الفولكلور اليهودي الشعبي غار في وجدانه منذ نعومة أظفاره وهو لم يتجاوز الرابعة فتراكم في مخيلته كم هائل من ذخائر هذا الفولكلور استخرجها من جعبته فيما بعد ليصيفها في قالب ادبي محبب للنفس ، وعندما بدأ سنجر الكتابة عكف على اكتشاف اعماق الانسان المظلمة والتيارات التحتية الغريبة القابضة وراء تركيبة اليهود النفسية . ومن مظاهر حداثة سنجر أنه اولى الجنس عظيم اهتمامه وجعل منه محورا رئيسيا تدور حوله كتاباته ، ولكن ليس هناك دليل مباشر يشير الى تأثره بفرويد . وكما أسلفنا انتقد سنجر أدب اليبديش لأنه تجاهل عالم الجريمة اليهودي الذي يعج بالآف اللصوص والقوادين والمومسات والمتاجرين في الرقيق الابيض في بوينس ايريس وريو دي جانيرو وفي وارسو نفسها . ومعنى هذا أن أدب اليبديش التقليدي يخلو من الإشارة الى تلك الموبقات التي يمارسها بعض اليهود وهو ما ينحى عليه سنجر اللائمة غير أنه يستثنى من هجومه كاتب اليبديش شولم اسش Sholem Asch ويذهب الى أنه لا يغفل الإشارة الى ارتكاب اليهود لهذه الجرائم . والجدير بالذكر أن شولم اسش هو أول مؤلف

بيديش فى الاربعينات تترجم أعماله الى الانجليزية مما اعطاها فرصة الذبوع والانتشار . إن سنجر يرفض دعوة كتاب البيديش الى ضرورة مزج الفن بالقضايا الاجتماعية ولهذا فهو لا يقيم أدنى وزن لمشاكل اليهود الاجتماعية والسياسية ، بل ترك لخياله الحبل على الغارب وملاً قصصه بكائنات غريبة غامضة وغير مألوفة مما يزخر بها الفولكلور الشعبى اليهودى الذى تأثر به فى طفولته الباكرة . ولا غرو إذا رأيناه يعكف على دراسة الكتب التى تتناول الساحرات والجنياى فى أوروبا وأمريكا الى جانب الحروب الصليبية وما صاحبها من هستيريا شعبية عارمة ولهذا جاء أدبه زاخرا بهستيريا والجنس والتعصب الاعمى والخزعبلات والمعجزات التى تتجاوز نطاق التجربة البشرية المألوفة . وهو بهذا المعنى ينتمى الى التقليد اليهودى السائد فى العصور الوسطى قبل ظهور تقليد جديد ينهض على التنوير أثر مؤلفنا أن يوليه ظهره. وهو ما يتضح لنا من قراءة أعظم أعماله وأكثرها تميزاً مثل رواية «الشيطان من جوراي». وقصتي «الجنىلمان الآتى من «كراكو» The Gentleman from Cracow والمرأة» .

ولكننا نخطئ إذا ظننا أن أدبه يقتصر على الخيال وحده فروايته وقصصه تتضمن من الواقعية قدر ما تتضمنه من الخيال.



ويتضح لنا هذا من روايته «عائلة موسكات» التي تقع أحداثها بين عامي ١٩١٢ و ١٩٣٩ والتي تتناول الشرائع اليهودية الموسرة في مدينة وارسو . وبعد انقضاء سنوات قلائل على الانتهاء من رواية عائلة موسكات ألف سنجر رواية أخرى أطول منها عن عائلة يهودية ظهرت باللغة الانجليزية في جزعين بعنوان «المنزل» ١٩٦٧ The Mansion – و «الضيعة» ١٩٦٩ The Estate . وتقع أحداث هذه الرواية الثانية في الفترة الواقعة بين الثورة في بولندا عام ١٨٦٣ حتى نهاية القرن .

ولا بد أن نذكر تأثر أدب سنجر بهرطقات كل من سابيتاي Sabbatai وفرانك Frank والاول ظهر عام ١٦٦٤ مدعيا أنه المسيح المنتظر . وكان في لحظات وجده الديني والصوفي يرتكب الموبقات الآثام وينتهك القانون . وفيما بعد اعتنق سابيتاي الدين الاسلامي ويشير بمذهب الخلاص عن طريق الخطيئة ، وفحوى هذا المذهب أن الانسان الذي لا يعرف الخطيئة لا يمكنه أن يعرف الخلاص لأن الخلاص لا يتم إلا بالارتداد عن الخطيئة . وكان اليهودي جاكوب فرانك ١٧٢٦ – ١٧٩١ واحدا من اتباع سابيتاي في القرن الثامن عشر والجدير بالذكر أن سنجر وصف هذه التعاليم الهدامة وصفا جليا في قصته «تدمير كريشيف».. The Destruction of Kreshev

ويعترف سنجر بأنه فى بداية عهده بالكتابة راقى له دراسة مذهب فرانك الذى يرى فى ارتكاب الإثم السبيل إلى تحقيق الخلاص . فضلا عن وقوعه تحت تأثير أتباع المذهب الكابالى السرى Cabbalists الذى ينسب الجنس الى الله فالجنس هو المرادف للخلق والله موجود أبدا فى عملية الخلق والتكوين . يؤكد لنا صامويل هـ . درزنى Samuel H. Dresner أن مذهب ساباتاي أصبح حجر الزاوية فى أفكاره ومعتقداته . وعندما سأل الناقد أرفنج هاو مؤلفنا اذا كان يتبع مذهب ساباتاي فى السر راقى له هذه الفكرة وأبدى إعجابه بها . وأيضا يظهر سنجر اهتماما بالغا بتتبع مذهب فرانك فى تاريخ اليهود . وترسم لنا روايته «الشيطان فى جوراي» صورة خيالية براقية عن مذهب ساباتاي وبالذات فى الشكل الذى يقدمه لنا فرانك كما أنه يجسد جاكوب فرانك فى شخصية جيداليا بكل ما عرف عنه من امتلاك للقوى السحرية والإباحية الجنسية وتمسكه بأفكار ساباتاي .

ولكننا نخطئ إذا ظننا أن سنجر أحادى النظرة فهو فى قصتى «العبد» The Slave «وساحر لوبلين» The Magician of Lublin يعبر عن وجهة نظر تتعارض مع إيمانه بمذهب فرانك وعلى النقيض من روايته «الشيطان فى جوراي» نرى أن أحداث قصته

«العبد» تدور حول شخصية يهودية تدعى جاكوب تكرس نفسها لاتباع القانون ومراعاته على الرغم فى استعباد البولنديين لها. وينجح هذا العبد فى الزواج من راندا ابنة سيده البولندى بعد اعتناقها الدين اليهودى . ويذهب الزوجان إلى فلسطين حيث ينخرط جاكوب فى الحركة الساباتيكية ولكنه ينبذها فى نهاية الأمر ويقلب لها ظهر المجن. وليس أدل على قدرة المؤلف على اتخاذ المواقف المتعارضة من أنه هنا يعبر عن عظيم احترامه لشخصية جاكوب رغم أنها تتناقض مع مبادئ كل من فرائك وساباتاى. وأيضاً نطالع فى روايته الأخرى «ساحر لوبلين» أن ياشا شخصيتها المحورية تعود إلى حظيرة النظام والقانون . ونفس الشيء نلاحظه فى قصة سنجر القصيرة «جمبل المغفل» فجمبل رجل شديد السذاجة يتلاعب الناس به ويستغلونه ويعذبونه . ورغم هذا فإنه يحتفظ بدمائة خلقه ورقته وإنسانيته فى شتى الظروف الأمر الذى يتناقض مع ما ينادى به ساباتاى من ضرورة تحرير الإنسان من كافة القيود والمكبوتات التى تكبله . ويقول أحد أحبار اليهود إلى جمبل : «مكتوب أنه من الأفضل أن تصبح مغفلاً كل أيام حياتك من أن ترتكب الشر ولو لساعة واحدة ، الحق أنت لست مغفلاً بل أولئك هم المغفلون ، لأن الذى يلحق الأذى والعار بجاره

هو الخاسر للفردوس» . ويضيف الحبر الأكبر أن جميل سوف يجد الثواب فى العالم الآخر .

إن سنجر فى أمريكا لم يتحرر تحررا كاملا من التجارب التى مر بها فى حياته الباكرة فى بولندا كما أن الفولكلور الشعبى اليهودى الذى عاشه فى طفولته غار فى أعماقه. ومؤلفنا على وعى بمدى تأثير هذه الانطباعات الباكرة القوية فيه الأمر الذى جعله يقول عام ١٩٦٤ «الحق أنى لا أزال أعيش فى بولندا أنتم تعلمون أن تجارب الطفولة هى أهم التجارب بالنسبة للكاتب» . ورغم جنوحه إلى التحديث فإن جانبا منه ينتمى إلى فترة ما قبل الحداثة . والذى يميزه عن المحدثين ليس إيمانه بوجود الله بل إيمانه بوجود الشياطين وبالخرعبلات التى تشربها فى السنوات الأولى من حياته. وتتجلى حداثه سنجر فى قدرته على تقديم مادته القصصية بحيدة وموضوعية. ورغم أنه كثيرا ما عبر عن إيمانه بالشياطين فإن مادته الروائية لا تدل على إيمانه بهذه الشياطين والسحر الأسود أو عدم الإيمان بهما. فموقفه منها يتسم كما أسلفنا بالحيدة والموضوعية اللتين تميزانه عن أدب اليبديش الكلاسيكى. ويتضح لنا هذا الفرق المهم عند مقارنة قصته «جميل المغفل» بالقصص التى ألفها بيرتز بعنوان بونتش شويج Bontshe Shweig التى تعنى بتصوير اليهودى كضحية للظروف الاجتماعية

التي تورثه الفقر الروحي والجسدي وتسبب له العوز والإملاق. ورغم عوزة الشديد فإنه لا يشكو من الله أو الانسان ولم يخطر بباله أن يحمل الضغينة له. ويعد أن يموت بوتش يعقد الله وملائكته المعجبين بقدرته على تحمل المكاره اجتماعا يمتدحون فيه صبره وسماحته. وعندما يسأل الله وملائكته الرجل عما يشتهي فيرد المسكين بأنه يتوق الى رغيف خبز سخن وزبدة طازجة يتناولهما كل صباح . وهو طلب غاية في التواضع والمهانة. ولا يوجد تصوير لمدي ما يتعرض له الانسان من مذلة بسبب الفاقة والإملاق أكثر من هذا . ويشير بيرتز في قصته الى أن الفقراء قوة لا يستهان بها إذا نظموا ووجدوا صفوفهم . ومن ثم فإن لقصة بيرتز مغذى سياسياً يختلف تماماً عما يذهب اليه سنجر في أدبه. فسنجر لا يطبق الانخراط في السياسة في حين أن بيرتز كاتب سياسى في المقام الأول. وليس أدل على انخراطه في السياسة من أن البوليس القيصري ألقى القبض عليه عام ١٨٩٩ أثناء تلاوته لقصته المشار اليها في اجتماع حضره العمال في وارسو ويقارن النقاد بين الشياطين التي يصورها سنجر في قصصه مثل «الجنتمان الآتى من كراكو» وقصة الاديب الأمريكى مارك توين الرجل الذى افسد هادليبرج -The Man Who Corrupted Hadleyburg ورغم ان الفساد الناجم عن المال يشيع فى كلتا القصتين فهناك فرق بينهما ففى حين أن الفساد عند سنجر يتجاوز البشر

وينبع من مصدر فوق الطبيعة نرى أن البشر عند مارك توين هم  
أس البلاء .

ويرجع الفضل فى موهبة سنجر الفذة فى الحكى والرواية فى  
إثارة اهتمام عامة المثقفين الامريكان بالادب اليهودى المستمد من  
تاريخ اليهود وماضيهم ، وساعد على اعجاب القارئ الامريكى به  
أن اهتماماته الروائية لم تقتصر على معالجة مشكلات اليهود  
الاجتماعية بل تجاوزت هذه الحدود الضيقة فضلا عن توحيه  
الموضوعية والحيدة فى عرض مادته الروائية . وكذلك ساعد على  
ذيع أدبه بين الامريكان ظهور كوكبة كبيرة من الادباء اليهود  
الموهوبين فى أمريكا قبله مهدوا امامه الطريق . وفى الختام نؤكد  
أنه أعلى من شأن القداسة رغم اعجابه بمذهب فرانك الذى سبق  
أن أشرنا إليه ، ورغم رفضه الايمان بالمسلمات الدينية فإنه آمن  
بوجود إله شخصى يتجاوب مع الانسان فى هذا الكون . ويلخص  
الخطاب الذى ألقاه سنجر بمناسبة حصوله على جائزة نوبل للأدب  
موقفه من الحياة . يقول سنجر فى خطابه : « لا بد من وجود سبيل  
أمام الانسان للحصول على جميع المتع الممكنة وكل القوى والمعرفة  
التى يمكن للطبيعة أن تمنحها إياه . ورغم هذه المتع فإنه يستمر فى  
خدمة الله . » وهكذا يتضح من كلامه أنه يجمع بين عبادة الله  
وعبادة اللذة .

## ٢ - النقد اليهودي في أمريكا

تأثر الأدباء اليهود في أمريكا في فترة الأربعينات والخمسينات في القرن العشرين بالأدب غير اليهودي ، وقبل هذين العقدين لم يظهر على الساحة الأدبية اسم أي ناقد يهودي غير مرموق سوى الناقد لودفيج لويسون Ludwig Lewisohn ولكن هذا الاسم اللامع ما لبث أن انطفأ في عقد الثلاثينات وتوقف عن إثارة اهتمام عامة المثقفين الأمريكيين بسبب افراطه في التركيز على يهوديته . وقبل اندلاع السنة الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ ظهرت في أمريكا كوكبة من ألمع النقاد اليهود أثرت في مجال الدراسات الأدبية والنقدية تأثيرا عظيما على رأسهم ليونيل تريلنج وفيليب راهف والفريد كازين وليسلى فيلدر وأرفنج هاو الذين أثبتوا بما لا يدع مجالا للشك قدرة العقل اليهودي على استيعاب وتمثل التجربة الأمريكية النابعة أصلا من العقلية الانجلوساكسونية . وأيضا جذبت مجلة البارتيزان ريفيو اليهودية التي أشرف على تحريرها كل من فيليب راهف ووليام فيلبس إليها جماعة من الكتاب الأمريكيين الشبان الذين كرسوا أقلامهم للدفاع عن الحداثة فالتفوا حولها وتركوا بصماتهم الواضحة في مسار الأدب الأمريكي .



وفى عام ١٩٣٩ عين قسم اللغة الانجليزية بجامعة كولومبيا لأول مرة اليهودى ليونيل تريلنج للتدريس فيه فتعلم على يديه جيل بأكمله من معلمى اللغة الانجليزية . فضلا عما خلفه من أثر فى مجال الدراسات النقدية عن طريق نشر مؤلفيه المهمين «ماثيو أرنولد» (١٩٣٩) و«إي . م . فورستر» (١٩٤٢) ثم جاء ناقد يهودى آخر هو ألفريد كازين لينشر عام ١٩٤٢ تحليله العميق الباقي على مر الزمن لتطور النثر والواقعية الأدبية فى الولايات المتحدة تحت عنوان «حول ارض الوطن On Native Ground» ثم جاء ناقد يهودى ثالث لينشر السيرة النقدية لحياة كل من الأدبيين الأمريكين وليم فولكنر وشيروود أندرسون بالاضافة الى سيل منهمر من الكتابات النقدية . وكذلك تناول الناقد اليهودى القدير ليسلى فيلدر تاريخ الرواية الأمريكية فى كتابه المنشور عام ١٩٦٠ بعنوان «الحب والموت فى الرواية الأمريكية» Love and Death the American Novel in ومما زاد من أثر هؤلاء النقاد اليهود انهم تضافروا مع زملائهم النقاد الامريكان فى فترة الاربعينات وعلى صفحات مجلة البارتيزان ريفيو فى تكريس جهودهم للزود عن مذهب الحداثة كما أرساها أدباء كبار مثل الشعراء ت . س . اليوت وازرا باوند ودابليو ب . بيتس والروائى فرانز كافكا . وبذلك تحققت نبوءة هويل Howell الذى قال عام ١٩١٥ إن الكتاب اليهود

المولودين فى الاحياء اليهودية الأمريكية سوف يشكلون ويحددون  
النوق الأدبى الأمريكى ويتربعون على عرش النقد الأدبى..

ولم يقتصر نفوذ هؤلاء النقاد اليهود على تشكيل النوق الأدبى  
الأمريكى بل تعداه الى تشكيل الوجدان الثقافى ومعالجة الأدب من  
منظور تاريخى . ويمكننا إدراك تأثيرهم العميق فى الحياة  
الأمريكية بصورة أوضح اذا نحن قارنا بين جماعة مثقفى نيويورك  
التي تزعمها اليهود وجماعة أخرى معاصرة ومنافسة لها تعرف  
فى تاريخ الأدب الأمريكى بجماعة النقد الجديد New Criticism  
فقد اتسم انصار النقد الجديد بالتقليدية والمحافظة وكان معظمهم  
من اساتذة الجامعات من غير اليهود الذين ينحدرون من الجنوب  
الامريكى أمثال جون كرو رانسوم John Crowe Ransom  
وكلينيث بروكس من Cleanth Brooks وآلان تيت Allen Tate  
ودابليوك ومست W.K. Wimsatt ورب . بلاكمور P.R. Blackmur  
وأيفور وينترز Yvor Winters وهم جميعا من اتباع المذهب  
الشكلى الذى يرى ان العمل الفنى كيان مستقل بداية وأننا  
نستطيع استجلاءه دون الحاجة الى معرفة أى شىء عن الكاتب  
وظروف نشأته . ولهذا رفضوا النظر إلى العمل الفنى فى سياقه  
الاجتماعى والتاريخى . اما موقف جماعة مثقفى نيويورك  
(ومعظمهم من اليهود) فكان مغايرا تماما . فليونيل تريلنج على

سبيل المثال (وهو واحد من أبرزهم) أصر في مقالاته المنشورة في البارتيزان ريفيو على ضرورة النظر الى العمل الفني في سياقه التاريخي والثقافي . ويرجع السبب في تبنيهم لهذه النظرة الاجتماعية والتاريخية للأدب الى وقوعهم في مبدأ حياتهم تحت تأثير الأفكار الماركسية التي نبذوها في وقت لاحق من حياتهم . ولكن لا مناص من الاعتراف بأن تأثرهم السابق بالماركسية جعلهم يعارضون النظرة الجمالية الى الادب التي يعلى «النقد الجديد» من شأنها . غير انهم لم يرفضوا أفكار مدرسة النقد الجديد برمتها فهم لا يرون مانعا من دراسة العمل الفني في حد ذاته دراسة دقيقة متأنية ولكنهم جاهرُوا بأن مثل هذه الدراسة وحدها لا تكفى بل لابد - حتى تكتمل الدراسة - من ربط الانتاج الفني بالظروف المحيطة به فالعمل الفني حتى وان كان نسيجاً وحده لا يمكن فصله عن البيئة الثقافية والتاريخية التي اثمرته . وحتى ندرك الفرق بين مدرسة النقد الجديد والحركة اليهودية التي اثمرت جماعة مثقفى نيويورك نقول : إن الأولى تنتمى الى الثقافة الأمريكية الراسخة في حين ان الثانية حركة وافدة عليها . أضف إلى ذلك ان الأولى (وهى حركة النقد الجديد) تنحدر من الجنوب الأمريكى المحافظ أحيانا والرجعى أحيانا أخرى في حين ان الحركة الثانية تتبع من جماعة المهاجرين اليساريين المفكرين.

## ليونيل تريلنج (١٩٠٥ - ١٩٧٥)

يعتبر الناقد والأديب الخلاق ليونيل تريلنج أحسن مثل على مدى التغلغل اليهودي في الثقافة الامريكية ابتداء من منتصف العقد الثالث من القرن العشرين ، ولكن علاقته المتوترة باليوت كوهين رئيس تحرير مجلة «تعليق» جعلته يحجم عن الكتابة في هذه المجلة . غير ان الكتاب المشاركين في تحريرها كانوا يدركون اهمية تريلنج الادبية وبخاصة تلميذه نورمان بودهورتيز Norman Podhoretz وليس من شك ان استاذية تريلنج للأدب الانجليزى بجامعة كولومبيا مهدت الطريق الى ظهور جيل من الكتاب اليهود ومدرسى اللغة الانجليزية المنتشرين في جميع انحاء الولايات المتحدة . وفي عام ١٩٤٦ نشر مختارات من المقالات المنشورة في مجلة بارتيزان ريفيو باعتبار انها افضل الكتابات التى ظهرت فى الأدب الامريكى الحديث نون أن يشير على وجه التحديد إلى أهمية ما سطره اليهود فى هذه المجلة .

ورغم أهمية تريلنج الكبيرة كناقد فإنه ألف مجموعة من القصص القصيرة فضلا عن انه نشر عام ١٩٤٧ رواية بعنوان «منتصف الرحلة» The Middle of The Journey التى تتضمن تحليلا نفسيا وسياسيا لشخصية مستقاة من شخصية شيوعى

سابق اسمه هوتياكر تشامبرز Whittaker Chambers ، وذلك بعد ان ترك الحزب الشيوعى وتخلّى عن تجسسه لصالح الاتحاد السوفييتى . وفى طبعة هذه الرواية الصادرة عام ١٩٦٧ سطر تريلنج تصديرا أنحى فيه باللائمة على الشيوعيين الستالينيين كما أبرز مناصبة تشامبرز العداء لما تنطوى عليه الستالينية من قبول للمسلمات ومناهضة للمذهب الانسانى وايمان مقيت بأن الغاية تبرر الوسيلة . والرواية تخلو من أية اشارة على وجه التحديد الى اليهود .

ولد تريلنج فى إحدى ضواحي مدينة نيويورك عام ١٩٠٥ فى عائلة متوسطة وكان أبوه يهوديا مهاجرا من شرق أوروبا ورجل أعمال واسع الثراء .. ورغم ان العائلة كانت تتحدث فى البيت باللغة الانجليزية فإنها حرصت على ممارسة الطقوس اليهودية كل يوم جمعة . وتذكر زوجة الناقد تريلنج ان امه كانت واسعة الاطلاع بشكل غير عادى ، وبعد تخرجه من جامعة كولومبيا ظل لمدة ست سنوات ابتداء من عام ١٩٢٥ ينشر مقالاته بانتظام فى المجلة اليهودية «مينورا» عن الأدب والهوية اليهودية . وفى شهر أغسطس عام ١٩٧٨ نشرت مجلة «تعليق» وبعد وفاته مقالا بعنوان «اسطورة اليهودى المتغيرة» The Changing Myth of the Jews

كانت مجلة مينورا قد قبلتها للنشر عام ١٩٢١ ولكنها أحجمت عن نشرها لسبب غير واضح . ورغم انه فى قابل حياته أعرب عن عدم رضائه على مستوى هذا المقال فان زوجته بعد وفاته نشرته ضمن مقالاته المتناثرة . ويتناول هذا المقال طريقة معالجة اليهودى فى الادب الانجليزى . وهو من المقالات الرائدة فى هذا الصدد . ويذهب تريلنج فى مقاله إلى ان التصوير النمطى لشخصية اليهودى فى الادب بوجه عام ، وفى الرواية بوجه خاص لا يعدو ان يكون اسطورة ليس لها اساس من الصحة فهو مجرد نمط عرقى أو عنصرى من خلق اناس لا يهمهم تصوير اليهودى على حقيقته بل يهمهم إرضاء حاجاتهم النفسية والعاطفية .

ويبدو ان تريلنج تعرض لشيء من الاضطهاد الوظيفى بسبب يهوديته عندما التحق بالتدريس فى جامعة كولومبيا ، وهو يقول فى هذا الشأن «عندما قررت العمل فى السلك الاكاديمى اعتبرنى أصدقائى ساذجا الى حد العبط المضحك» ولم يكونوا مخطئين فى ذلك . وبشكل واضح كان تعيينى فى وظيفة التدريس بجامعة كولومبيا بمثابة تجربة كما ان التعقيدات اعترضت سبيل مستقبلى لبعض الوقت بسبب يهوديتى» . فعلى سبيل المثال ابلغته الجامعة بعدم عزمها تجديد تعيينه رغم انه أمضى أربعة أعوام كاملة

يدرس فى قسم اللغة الانجليزية بها . ويبدو ان احجام الجامعة عن تعيينه يرجع الى سمعته كيهودى يؤمن بفرويد وماركس ، وهى عورات تقف فى سبيل المتقدمين لشغل وظائف التدريس بالجامعات الامريكية آنذاك ويعترف تريلنج فى أوراقه الخاصة التى لم تر طريقها إلى النشر ان اقتناعه بمذهبى فرويد وماركس لعبا دورا حاسما فى مستقبله كمثقف وناقد ولكن زوجته تذكر انه بحلول عام ١٩٣٩ تخلى عن ايمانه الباكر بالماركسية ، ولم يستسلم تريلنج لاضطهاد الجامعة له بل رعى زملاءه الاساتذة بالتحيز غير أن أموره تحسنت بحلول عام ١٩٣٩ فبعد أن تقدم برسالته المهمة عن ماثيو ارنولد للحصول على درجة الدكتوراه فى جامعة كولومبيا احتفل به رئيس الجامعة نكولاس مري بتلر Nicholas Murray Butler ودعاه الى تناول الغداء معه ثم قام بتعيينه استاذا مساعدا للأدب الانجليزى ، وبذلك اصبح أول يهودى يقوم بالتدريس فى قسم اللغة الانجليزية بجامعة كولومبيا .

فى تلك الفترة تراجع ليونيل تريلنج عن يهوديته دون ان يحاول اخفاها أو التنكر لها .

فقد كتب عام ١٩٤٤ يقول: « لايمكن ابدا ليهودى من جيلى ان



يهرب من يهوديته» . غير انه فى العشرينيات انشغل مع نفر فى كتاب مجلة «المينورا» فى البحث عن هوية علمانية وثقافية تحل محل هويتهم الدينية . تربى تريلنج تربية يهودية يقول عنها : اذا سلمنا بأن وجودى كيهودى هو احد الظروف التى شكلت طبعى فإننى بالتالى افترض ان يهوديتى لابد وانها تركت اثرها فى عقلى» ورغم ذلك فانه لم يعتبر نفسه كاتباً يهودياً لانه - على حد قوله - لم يستطع أن يكتشف أى شىء فى حياته الفكرية أو المهنية يمكن أن يعزوها على وجه الخصوص إلى مولده ونشأته اليهودية ، ولهذا نجده يستنكر الحركات الثقافية المجاهرة بخصوصيتها اليهودية ، وهو يقول ان تحقيق الكاتب اليهودى لذاته اليهودية لا يعلى من شأنه ككاتب كما أن بعض الأدباء اليهود الواعدين قضوا على الكثير من موهبتهم الأدبية بسبب شدة استمساكهم بخصوصيتهم اليهودية . ولكن هذا لم يمنع الكاتب اليهودى المجيد من الاستفادة فيما يكتب بتجربته اليهودية .

وفى المناظرة التى نشرتها مجلة «تعليق» عام ١٩٤٩ بعنوان «الكاتب اليهودى والتقليد الادبى الانجليزى» نراه يقول إن عداوة السامية ليست جوهرية فى هذا التقليد رغم تغلغلها فيه ، ولكن هذا لا يعنى ان عداوة السامية جزء ضرورى فى هذا التقليد . ومعنى هذا انه يمكن رفضها دون الحاق أى ضرر جسيم به .

يقول تريلنج فى هذا الصدد : «من الطبيعى ان أناصب العداء ضد العبارات المعادية لليهود .. ولكن هذا لا يدمر بالضرورة علاقتى بالكاتب الذى تصدر عنه هذه العبارات» . وعندما يعالج هذا الناقد عداوة الشاعر ت . س . اليوت ضد اليهود فى شعره نراه يقول ان هذه العداوة لا تروق له ، ولكنه يخفف من وطأة هذه العداوة بقوله : ان اليوت يستخدم اليهود استخداما رمزيا فى شعره ، ولكنه لا يستطيع إخفاء انزعاجه من العداوة الصريحة لليهود التى يظهرها ت . س . اليوت فى نثره . ويعيب بعض النقاد على تريلنج انه كتب عام ١٩٥٠ مقالا عن الشاعر الرومانسى الانجليزى المعروف جون كيتس ذكر فيه ان والدة كيتس هجرت زوجها الثانى رولنجز Rowlings لتقيم علاقة مع يهودى اسمه ابراهام ووجه الاعتراض هنا هو عبارة (يهودى اسمه) ورغم ان تريلنج يسعى الى التخفيف من وطأة موقف ت . س . اليوت المعادى للسامية (على أقل تقدير فى شعره) فانه يصور عداوة ماثيو أرنولد ضد اليهود على حقيقتها . يقول تريلنج فى مبحثه البالغ الاهمية عن ماثيو أرنولد الذى أجراه عام ١٩٣٩ ان والده توماس أرنولد امن بالمبادئ المسيحية الجامدة والمتزمته لدرجة انه ذهب الى ضرورة حظر التحاق اليهود بالجامعات والتمتع بحق المواطنة . ولابد انه كان متأثرا بأيامه الصعبة الأولى التى عانى فيها من يهوديته عند

التحاقه بجامعة كولومبيا عندما كتب عن توماس أرنولد يقول : إن أخشى ماخشيتة هو الاضطلاع بامتحان طالب يهودى بجامعة لندن فى مادة التاريخ . وبعد أن أدرك العالم الفظائع المروعة التى ارتكبها النازيون لآبادة اليهود اثناء الحرب العالمية الثانية كتب تريلنج عام ١٩٤٨ مقالا يقول فيه ان الهولوكست النازى يثبت بما لايدع مجالا للشك صواب تشاؤم الكاتب الانجليزى الكبير جوناثان سويفت الذى يرى ان الانسانية منحطة انحطاطا لا شفاء منه وان الامل الليبرالى فى تحسن الجنس البشرى ليس له اى نصيب من الصحة . يقول تريلنج فى هذا الشأن ان فظائع الهولوكست تفوق قدرة سويفت على التخييل .

غير أن أعمال ليونيل تريلنج الناضجة تحتوى على ذكر للخصوصية اليهودية . وفى عام ١٩٥٠ القى حديثا نشره فيما بعد بعنوان «الشاعر وردزورث واحبار اليهود Wordsworth and the Rabbis» يقول فيه اننا لانستطيع شعر وردزورث لأنه ينطوى على سمات يهودية خاصة الأمر الذى يوحى بأن تريلنج يعتقد ان مثل هذه السمات تتعارض مع الحداثة . ويبين هذا الناقد التشابه الموجود بين اشعار وردزورث وبين اقوال الآباء اليهود فى الفترة الواقعة بين القرنين الثالث قبل الميلاد، والثالث بعد الميلاد وهى أقوال مجموعة تحت عنوان «بيرك أبوث» Pirke Aboth ويذهب

تريلنج الى وجود وجه شبه بين مفهوم وردزورث عن الطبيعة ومفهوم أحبار اليهود الأوائل عن القانون . فضلاً عن أننا نجد عند وردزورث نفس التواءم بين الفرد والمجتمع الذى نجده عند أحبار اليهود الأوائل . وينتقد هذا الناقد دعوة كل من وردزورث وهؤلاء الأحبار الى الصفاء أو السكينة لأن من شأن هذه الدعوة ان تستبعد الجنس من حياة الانسان فى حين ان تأكيد الجنس يمثل إحدى خصائص الحداثة .

أما مقال تريلنج المهم الثانى عن الهوية اليهودية فيتجلى فى تحليله البديع للقصص القصيرة التى ألفها الكاتب اليهودى الروسى المنشق اسحق بابل . ويرجع تاريخ مقاله عن بابل الى عام ١٩٥٥ . يقول تريلنج انها بمثابة نكتة بائخة ان يجد اليهودى بابل نفسه .. (وهو الضعيف الواهن البدن) ضمن كتيبة قوزاقية من الروس القوزاق الاشداء) خلال الحرب التى اندلعت بين روسيا وبولندا عام ١٩٢٠ حيث كان بابل يعمل فى سلاح الامدادات ، والرأى عند بابل ان اليهودى والقوزاقى على طرفى نقيض فاليهودى مثقف مسالم ذو قلب رحيم فى حين ان القوزاقى يتسم بالعنف والفظاظة والخلو من العقل والسلوك . وتلخصت محنة بابل فى كتيبة القوزاق فى عجزه عن مجاراة القوزاق فى شراستهم واستعدادهم لسفك الدماء . ورغم ان بابل لم يكن

راضيا عن العنف فقد راقى له الجسارة النابعة وراء العواطف  
الهوجاء المحيطة به الى جانب ما فى العنف من بساطة ومباشرة  
ورشاقة . ولم يكن هذا الانبهار بالعنف والانجذاب نحوه تطورا جاء  
متأخرا فى شخصية بابل بل كان استمرارا لانبهاره القديم ايام  
طفولته عندما عرف عن كذب العصابات اليهودية التى تعيث فسادا  
فى ميناء أوديسا الروسى والتى تناولها فى العديد من قصصه .  
ويضيف تريلنج ان بابل أراد ان ينفث عما لقيه والده من اذلال  
وخضوع على ايدى هؤلاء القوزاق ، ولم ينبهر بابل بالقوزاق  
الاشداء المشتركين فى الحملة الروسية ضد بولندا فحسب بل  
انبهر كذلك بيهود بولندا أنفسهم . فقد وجد فيهم نوعية مختلفة  
تماما عن اليهود الذين ألفهم فى أوديسا مسقط رأسه والذين  
تأقلموا مع الحياة فى هذا الميناء الذى يعج بمختلف الجنسيات .  
ويصف بابل اليهودى البولندى بأنه يتميز بالقدرة على مكابدة  
العذاب وهى قدرة مفعمة بالعظمة المحزونة كما ان اليهودى يحمل  
فى صمته احتقارا بلا حدود نحو طبقة الاشراف البولنديين .  
ويبين اسحق بابل ان خصائص اليهودى البولندى التى بهرت  
اسحق بابل لم تكن موجودة فيه شخصيا ، ويرى ان التعارض  
بين ما عبر بابل فى يهود بولندا وافتقاره الشخصى الى الاشياء  
التي بهرتهم كان الركيزة التى اقام عليه فنه القصصى .

ويذهب تريلنج الى ان موهبة بابل الأدبية تتجلى فى قدرته على التعبير عن مثل هذه التناقضات الداخلية فيه .

ورغم أهمية مقالات تريلنج عن اليهود واليهودية فان إهتمامه بهذا الموضوع كان محدودا للغاية وخاصة بعد أن توقف عن نشر مقالاته فى مجلة «المينورا» إذ لم يعد هذا الموضوع يشغل باله وبخاصة فى سنى نضجه التى برز فيها كناقد أدبى يعنى بشئون الثقافة . ومع انغماسه فى شئون الثقافة والأدب وانصرافه الى الكتابة عن ماثيو أرنولد (١٩٢٩) و إى . م . فورستر (١٩٤٣) شعر تريلنج بالحاجة الى ان ينبذ ثوريته وراديكاليته الباكرة ، ويمثل كتابه «الخيال الليبرالى» (١٩٥٠) The Liberal Imagination واحدا من أهم مؤلفاته النقدية على الاطلاق . ويتضمن هذا المقال مجموعة مقالاته الأولى التى ظهرت فى فترة الاربعينات . ويدل كتابه هذا على خيبة أمله فى الفكر الليبرالى والفكر الراديكالى معا . وهى أفكار انهارت امام زحف الفاشية والدكتاتورية الستالينية الكاسح كما اتضح فى أواخر الثلاثينات وخلال فترة الاربعينات . وينحى تريلنج باللائمة على الخيال الليبرالى لأنه فى رأيه خيال قاصر محدد يميل الى تبسيط الأمور فى حين ان التجربة الانسانية تتسم بالتعقيد ومن ثم حرصه على ان يستوعب النقد الليبرالى هذه الحقيقة . يقول تريلنج فى هذا الشأن : «أن وظيفة النقد هى اعادة الليبرالية الى خيالها الجوهرى الأول المتمثل فى

التنوع ومختلف الامكانيات مما يتضمن إدراك (ما فى الحياة) من تعقيد وعسر» .

وفى المقال الذى نشره تريلنج عام ١٩٤٠ بعنوان «الحقيقة فى أمريكا» نراه يطبق نظريته فى الليبرالية عن كتاب ذاع صيته آنذاك من تأليف فيرنون آى فارنجتون Vernon I. Farrington بعنوان «التيارات الرئيسية فى الفكر الأمريكى» (١٩٢٧ - ١٩٣٠ Main Currents in American Thought وأوضح تريلنج أوجه القصور فى هذا الكتاب الذى يكتفى على نحو معيب باعتبار التقليد الأدبى مجرد مجموعة من الأفكار . وكذلك يبين غموض مفهوم بارنجتون للرومانسية . وفى عام ١٩٤٦ سطر تريلنج الجزء الثانى من مقاله «الحقيقة فى أمريكا» وفيه اتهم الخيال الليبرالى بقبول الاعتقاد - دون أدنى تمحيص بان الكاتب الأمريكى ثيودور درايزر خير تجسيد للروح الليبرالية . ويحاول ناقدنا ان يبين تحيز النقاد من أجل درايزر وتعاطفهم المتسامح معه مشيرا الى عيوبه الواضحة مثل جمود عقليته الملزمة بالأفكار القاطعة وعدائه ضد السامية وسوقيته الثقافية . ويرفض تريلنج الرأى النقدى السائد الذى يعتقد ان قدرة درايزر على الملاحظة النافذة العميقة يعوض ما يشوب أسلوبه النثرى من عيوب . والرأى عند تريلنج ان الروائى العظيم لابد وان يتميز بالقدرة على كتابة النثر الجيد ،



واستغل ناقدنا الضعف البادىء فى رواية درايزر «القلعة» (١٩٤٦) ليهاجمها وينال منها ولكن كثيرا من القراء والنقاد يخالفون تريلنج فى رأى ، ويعتبرون درايزر كاتباً عظيماً فضلاً عن ان هجومه على المذهبين الليبرالى والراديكالى لم يرق فى عينى الكثير من الناس ويتهمة أنصار الليبرالية بأنه تجاهل المخاطر الناجمة عن شيوع المكارثية فى الثقافة الأمريكية ورغم هذا فإنه يمكن وصف تريلنج بالليبرالى الكافر بالليبرالية .

وللحق والإنصاف يتعين علينا أن نذكر أنه تصدى أحيانا لأعداء الليبرالية والمدافعين عن المكارثية ، يقول هذا الناقد : «إن مقاومة الفكر الليبرالى قد اتخذت شكلاً قمينة وملتأمة . فضلاً عن رفضه التماثل الفكرى . ولكن لابد من الاعتراف بأنه تجاهل الأبعاد الاجتماعية والسياسية للأدب واقتصر على معالجة البعد الثقافى والصراع الفرويدى الذى يدور رحاه فى نفس الفرد كما نجد فى كتابيه «النفس المعارضة» (١٩٥٢) The Opposing Self وماوراء الثقافة (١٩٦٥) Beyond Culture . ولم يخف تريلنج عدم اهتمامه بالمجتمع فقد كتب يقول صراحة : «إننى أتحدث عن تحقيق الذات من الناحية الثقافية وليس من ناحية المجتمع» . ويذهب الى نفس رأى فى كتابه «ماوراء الثقافة» حيث يرى انه يجب على الناقد ان يقف فوق الثقافة ويتجاوزها حتى يتمكن من نقدها وهو موقف يحمل فى احشائه الازورار عن المجتمع وتحطيم

المذهبين الليبرالي والراديكالى بمناهضته الواضحة للسياسة والاجتماع .

لقد بلغ تريلنج ذروة نفوذه النقدى والثقافى فى الخمسينات ولكن جيل الستينات ما لبث ان انصرف عنه وأثر تلاميذه الانضمام الى حركة «اليسار الجديد» التى بدأ نجمها يبرغ . غير ان عقد السبعينات شاهد تغيرا غريبا . فبعد ان عين تلميذه بودهورتيز مسئولا عن تحرير مجلة «تعليق» ابتعد بمسارها عن اليسار وكرس صفحات هذه المجلة للهجوم على كل الاتجاهات الليبرالية والراديكالية . وتبنت مجلة «تعليق» موقفا محافظا تعاطف معه وتحمس له كثير من المثقفين اليهود فى مدينته نيويورك كرد فعل ضد تطرف «اليسار الجديد» . وعلى الرغم من ان تريلنج وعد بمناصرة الاتجاه المحافظ للمجلة الذى اختاره لها رئيس تحريرها فانه يبدو انه تراجع حتى لا يشترك فى الحملة المسعورة ضد اليسار الجديد . وفيما بعد شكا بود هورتيز رئيس تحرير مجلة «تعليق» من ان تريلنج وجه إليه اتهاما بالمبالغة فى رعبه فعله ضد اليسار الجديد وفى الاعلاء من شأن فضائل المجتمع الأمريكى النابعة من روح وقيم الطبقة المتوسطة سواء اتفق المثقفون أم اختلفوا مع افكار هذا الناقد اليهودى الكبير فما من شك فى انه حفر لنفسه مكانا باقيا فى تاريخ الادب الأمريكى .

## فيليب راهف

يعتبر هذا الناقد اليهودي البارز واحدا من أهم النقاد الذين أفرزتهم النهضة الادبية اليهودية ، وكان يتحاشى الجوانب اليهودية فى الكتابات المعاصرة فلا يخوض فيها الا نادرا . وليس أدل على ذلك من ان أول مجموعة مقالات يهودية ، ظهرت بعنوان «النفاز» (١٩٦٤) Breakthrough اشتملت على مقال لراهف لا تربطه باليهود والكتابات اليهودية ادنى صلة . وعندما كتب راهف تصديره لمجموعة قصصية من تأليف الكاتب اليهودي الكبير كافكا جاءت اشاراته الى انتمائه الى اليهود وموقفهم منهم عابرة . ولكن الامر تغير فيما بعد عندما نشر راهف عام ١٩٦٧ مقالا عن الرواق اليهودي الامريكى برنارد مالامود . فقد عبر عن طائفة من الملاحظات المهمة بشأن الكتابات اليهودية . ويحذرنا راهف فى هذا المقال من مغبة الظن ان الكتابات اليهودية تقدم إلينا نسقا واحدا أو ان الكتاب اليهود ينتمون الى مدرسة ادبية واحدة بل ينبهنا الى شدة تنوعهم واختلافهم عن بعضهم البعض .

فضلا عن تنوع أحاسيسهم ومواقفهم تجاه يهوديتهم ويقول راهف ان كتاباتهم الخلاقة تخلو أحيانا من أية إشارة الى يهوديتهم، فالروائي اليهودي الامريكى نورمان مالر على سبيل

المثال قد يكون على الصعيد الشخصى شديد الوعي بيهوديته دون ان تكون ليهوديته أية أهمية تذكر فيما يسطر من أعمال خلاقية . ويضيف راهف أن معظم الكتاب اليهود فى امريكا يتخذون مواقف متضاربة وغير واضحة من يهوديتهم وهو يصف ملامود بأنه أكثر ايجابية فى يهوديته من سائر اقرانه من الكتاب اليهود وانه يعبر فى كتاباته عما فى المأساة والعذاب من امكانيات كوميدية تبعث على الضحك وان اسلوبه النثرى ، رغم انه مكتوب باللغة الانجليزية - تقليد للغة اليديش الخاصة بيهود شرق اوربا ، ويذهب راهف الى ان يهودية ملامود تتمثل فى شدة حساسيته للعذاب .

ويرى البعض ان اهتمام راهف المحدود للغاية بالشخصية اليهودية فى الأدب لا يعنى انه يرفض الهوية اليهودية لان عدم اهتمامه يرجع فى الاساس بانشغال باله بالمشكلات الادبية والثقافية الاخرى ، ورغم اعجابه الشديد بكتاب غير يهود محدثين مثل ت . . س اليوت وازرا باوند فانه بكل تأكيد لا يعيش فى زاده الثقافى عالة عليهما ، بل إنه ينحى باللائمة على الأدب المسيحى الذى يكتبه ت . س . اليوت . ويدل مقاله الذى اسهم به عام ١٩٤٩ فى المناظرة التى عقدتها مجلة «تعليق» بعنوان «الكاتب

اليهودى والتقليد الأدبى الإنجليزى» أنه يشن هجوما شديدا الوطأة على سعى اليوت وأمثاله إلى إحياء المسيحية من جديد فى عالم الأدب ، وقد سبق أن اتهم ليسلى فيلدر هذا الاتجاه بتوسيع رقعة عداوة السامية ويوافق راهف على المقولة التى تذهب إلى أن معاداة السامية جزء لا يتجزأ من الملحمة المسيحية التى يحاول ت . س . إليوت وأمثاله إنشاعها . وهو يناشد جميع المثقفين أن يقفوا فى وجه هذا التدين الجديد ليس على أسس طائفية بل من منطلق أن مثل هذا التدين لا يخدم مصالح العقل ويسهل التهرب من المشكلات الملحة حقا . كما أنه يعارض اتجاه بعض الكتاب اليهود للتأقلم مع الحماس الأدبى السائد من أجل الأسطورة والتقاليد ويطلب اليهم تكريس أنفسهم لعلمنة وتدويل الثقافة بطريقة جذرية ، أى جعلها ذات طابع علمانى ودولى فى آن واحد .

ويعرب راهف عن رفضه القاطع للحلول الوسطى مع أية جوانب رجعية قد تشوب فكر الأدباء الكبار وعلى رأسها معاداة السامية . غير أنه فى الوقت نفسه يعرب عن سخطه على قيام حركات مسيحية مستحدثة بمقاومة معاداة السامية لأنه يريد من هذه المقاومة أن تتبع من جنور دينية . وهو يتجاهل الدور الذى يلعبه إزرا باوند فى إشاعة عداوة السامية من منظور علمانى

وليس من منظور دينى ، فإزرا باوند يقدم إلينا هذه العداوة لليهود فى شكل علمانى وليس فى شكل مسيحى مثلما يفعل ت . س . اليوت . غير أن دور إزرا باوند كان محدودا فى تأثيره فى مجال الأدب على أية حال . والجدير بالذكر أن راهف لم يعالج مشكلة عداوة السامية من منظور يهودى بل عالجه باعتبارها مدافعا عن اضعاء الصبغة الدولية على الأدب الأمريكى والثقافة الأمريكية . ويعتبر فيليب راهف من أكثر النقاد تأثيرا فى الأدب الأمريكى منذ أواخر الثلاثينات بفضل مقالاته المنشورة فى مجلة بارتيزان ريفيو وكتاباتة عن الروائيين هنرى جيمس وفيودور دوستوفسكى . وهو واحد من المثقفين اليهود القلائل الذين لم يحنوا رؤوسهم أمام طوفان المكارثية وظل يقاومها بكل ما أوتى من قوة . وسخر راهف من زملائه الذين عبروا عن عداوتهم للسامية ولكنهم فى الوقت نفسه اظهروا تخاذلا فى مقاومة المكارثية وإفراطا مخلا فى هجومهم على الستالينية الأمر الذى شوه أحكامهم السياسية والثقافية . وعاب راهف على زملائه المهاجمين على الستالينية بصورة جامدة ومتصلبة جنوحهم إلى المحافظة والتماثل الذى يجعلهم يقفون فى وجه أى شكل من أشكال الانشقاق عن المعايير البورجوازية .

## الفريد كازين

تميز الفريد كازين بأنه أكثر صراحة في التعبير عن يهوديته والتأكيد عليها من كل من الناقدين ليونيل تريلنج وفيليب راهف . ويتضح لنا هذا بجلاء من كتابه المنشور عام ١٩٤٢ بعنوان « على أرض الوطن » ، ولكن كازين ظل حتى ظهور هذا الكتاب سجيناً للفكر والتقليد الأدبي الإنجلو ساكسوني الذي استمر سائداً في تاريخ الأدب الأمريكي منذ بدايته حتى الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية . واللافت للنظر في هذا الكتاب هو خلوه من أى ذكر للأدباء اليهود في أمريكا منذ عام ١٨٩٠ فصاعداً وهي الفترة التي يناقشها الكتاب بين دفتيه . ومن الكتاب اليهود الذين أغفل الكتاب ذكرهم ابراهام كاهان Abraham cahan ودانييل فوتش Daniel Fuchs وماير ليفين Meyer levin وكليفورد أودتس -clif ford odets وهنرى روث Henry Roth وبحلول عام ١٩٦٥ لفت كازين الأنظار إلى أهمية رواية يهودية بعنوان «سمة النوم» It call sleep التي اعتبرها رائعة أدبية منسية . وأيضاً أشار كازين إشارة عابرة إلى رواية يهودية ألفها مايك جولد Mike Gold بعنوان «يهود مفلسون» ولا تزيد معالجة كازين للأديب لودفيج لويسون عن حيز ضئيل للغاية ولكنه يشير إلى تحامل الدوائر



الأدبية ضده بسبب يهوديته . ويغفل كازين فى كتاباته الإشارة إلى رواية يهودية بعنوان «الجزيرة بداخلنا» The Island Within . ويرجع السبب فى اهتمام كازين النسبى بلودفيج لويسون إلى أن لويسون كان أسبق منه فى تاريخ الأدب الأمريكى ، فقد سبقه لويسون عام ١٩٢٢ فى إصدار كتاب قبله بعنوان « التعبير فى الأدب الأمريكى » . والجدير بالذكر أن مؤلفات لويسون النقدية كانت لها أهمية فى العقدين الأول والثانى من القرن العشرين . والرأى عند كازين أن لويسون كان قوة تحفز على التقدم رغم ما شاب كتاباته من مبالغات معيبة.

وعلى أية حال فإن كتاب كازين « على أرض الوطن» يفوق فى حيويته وأهميته النقدية كتاب لويسون . ولا غرو فهو واحد من كوكبة النقاد والأدباء اليهود الذين تفجرت موهبتهم فى العقد الثالث من القرن العشرين ، ومعظمهم أبناء أو أحفاد مهاجرين نزحوا من أحياء اليهود فى شرق أوروبا إلى الولايات المتحدة واستطاعت هذه الكوكبة بموهبتها الأدبية الفذة أن تكذب الادعاء الذى ظل سائدا حتى الثلاثينات بعجز اليهود عن استيعاب وتمثل الثقافة الغربية . ورغم تنوع هذه الكوكبة وعدم انتمائهم إلى مدرسة أدبية واحدة فقد جمعت الحداثة شملهم وانتهجوا نهج

المحدثين الغربيين أمثال هنرى جيمس وجيمس جويس ومارسيل بروسست وت . س . اليوت وازرا باوند وفرانز كافكا وفيودور دوستيوفسكى ، ولكنهم رفضوا الاقتداء بالمذهب الجمالى والشكلى الذى اتبعته المدرسة النقدية الجديدة ، وكما أسلفنا دأب هؤلاء الأدباء واليهود المبرزون على النظر إلى الأدب فى سياقه التاريخى والسياسى والاجتماعى . ورغم أنهم جميعا نبذوا المذهب الماركسى الذى تشربوه فى مبدأ حياتهم فإنهم ظلوا متأثرين باهتمام هذا المذهب باستجلاء الجوانب الاجتماعية فى الدراسات الأدبية .

كان كازين فى السابعة والعشرين من عمره عندما أصدر كتابه النقدى المهم «عن أرض الوطن» الذى كان سببا فى رسوخ قدمه فى مجال الكتابات النقدية . ولا غرو فالكتاب قمة فى النقد التاريخى الأمريكى لم يسبقه سوى فان ويك بروكس Van Wyck Brooks ونقد بارنجتون الاجتماعى للفكر الأمريكى . ويبين اسهامه فى المناظرة التى تحمل عنوان «أقل من أربعين سنة» موقفه من التراث اليهودى ، وهو موقف غير رافض لهذا التراث رغم إغفال كازين الإشارة إلى المؤلفات اليهودية التى ظهرت على أيامه . ويرجع هذا الإغفال إلى تجاهله العام للعناصر العرقية الموجودة فى الثقافة الأمريكية . وفى موقفه من الأدب اليهودى نراه

يؤكد إعجابه بجوانب كثيرة فى التراث اليهودى مثل كتابات شوليم  
التشيم وآى . ل . بيرتز المكتوبة بلغة اليبديش إلى جانب الكتاب  
اليهود الاشتراكيين وأيضاً روزا لوكسمبورج وبناء الثقافة العبرية  
فى فلسطين وطائفة من الكتاب اليهود والفنانين المعاصرين أمثال  
حاييم ناخمان بياليك Hayim Nochman Bialik ومارك شاجال  
Marc Chagall وارنست بلوخ Ernest Bloch ، والذي يثير  
اعجابه بالشخصية اليهودية على حد تعبيره هو «نسيج الثقافة  
العبرية الأصيلة والمتوارثة والإيمان الذى لا يعنى بالأسس الروحية  
للحياة الإنسانية وعشق الكتب وحب الاستطلاع العام» . ولكنه  
رفض تلك المحاولات التى بذلها الكتاب اليهود لاستحداث ثقافة  
أمريكية يهودية لأنه اعتقد أن مثل هذه الثقافة ليس أمامها أمل  
للنمو والازدهار . ويعيب بعض النقاد عليه عدم قدرته على ادراك  
الفروق العرقية التى تميز المهاجر من شرق أوروبا عن قرينه المهاجر  
فى أوروبا الغربية ، وعلى أية حال أسهم كازين بكل طاقته وكامل  
وعيه بنصيب وافر فى الثقافة الأمريكية دون اهتمام أو اسهام ذى  
بال من جانبه فى الحياة العرقية اليهودية سواء كانت هذه الحياة  
علمانية أو دينية .

لقد حالت فظاعة الهولوكست الكتاب اليهود المشتركين في تحرير مجلة «تعليق» الذين راقبوا عن كثب إنشاء دولة إسرائيل، وأزعجهم أن يكتشفوا أن الغالبية العظمى من كبار الكتاب الانجليز عبر القرون من ألد أعداء السامية الأمر الذى تجلى بوضوح فى أعمالهم الخلاقة مما أصاب ناقدنا كازين وغيره من اليهود بالمرارة وملاً قلوبهم بالغصّة والألم . ولهذا نرى الفريد كازين يشكو فى «المناظرة التى عقدتها مجلة «تعليق» بعنوان «الكاتب اليهودى والتقليد الأدبى الانجليزى» من عداوة كبار الأدباء المحدثين لليهود أمثال ت . س . اليوت وازرا باوند وهنرى جيمس ودستيوفسكى الخ . يقول كازين فى غضب : « لشد ما نكن لهم الحب فى حين أنهم لا يحبوننا » . ثم أضاف قائلاً : إن ثمة أوجه شبه موجودة بين هؤلاء الكتاب العظام واليهود فهم يشاركون اليهود الشعور بالاعتزاز عن غالبية المجتمع . ورغم ذلك فإنهم «مغفلون على الدوام ويلحقون بنا الإهانات» . ويستمر كازين فى شكواه منهم قائلاً : « يجب علينا أن نطالع أعمالهم ونتحمل سخافاتهم بطبيعة الحال دون أن نصبح أذلاء خاضعين لهم ودون أن نخشى أن نسمى جهلهم وقسوتهم التى لا ترحم باسمائها الحقيقية حتى لو جاءتنا من أباطرة الأدب الذين يتحكمون فينا » .

ورغم انشغال كازين بالتدريس فى الجامعة وعرض الكتب فى  
المجلات وتأليف الكتب النقدية عكف كازين بعد انتهاء الحرب  
العالمية الثانية على تسجيل ذكرياته مع والديه الفقيرين وظهر أول  
مجلد من هذه الذكريات بعنوان «الماشى فى المدينة» (١٩٥١) ولا  
غرو فقد كان كاتبنا يهوى المشى . والمجلد يسجل طفولته التى  
عاشها فى مدينة برونزفيل حتى بلوغه السادسة عشرة من عمره  
ويسيطر على هذا الكتاب حنين قوى إلى الماضى ، وفيه يصف  
كازين البيئة اليهودية المنغلقة على ذاتها التى عاشها فى صباه  
وهو يرنو بشدة إلى المجتمع الخارجى غير اليهودى الذى يلوح له  
من بعيد . ويعتبر هذا الكتاب بمثابة توثيق صادق ومهم لتأقلم  
اليهود الثقافى مع الفكر الأمريكى كما أنه يصور الجو العاطفى  
المشحون الذى عاشه كازين كطفل شديد الحساسية يتلمس طريقه  
على نحو غامض للوصول إلى حياة أرحب وأوسع من تلك الحياة  
التى عاشها كابين مهاجر يعانى من الفقر وشظف العيش . كان  
كازين وهو طفل لا يكف عن التساؤل لماذا كتب عليه كيهودى أن  
يعيش فى حاجة وعوز فى حين عاش الآخرون فى بحبوحة . ولماذا  
يوجد دائما فرق بين عالمين : عالم اليهود وعالم غير اليهود ، يقول  
كازين فى هذا الشأن : «لاح لى من بعيد عالم غير اليهود الغريب

الذين يعلو الشعر الكتانى رؤوسهم والذين يضمرون الكراهية لليهود وخاصة الفقراء منهم ويحملون أسماء قبيحة لا يمكننى قراءتها أو سماعها دون أن أرى مدى تقترب من رقابنا ؟ إن اليهودية معناها الشك فى حق اليهود فى الحياة ولكن إحساس كازين القوى بالاغتراب لم يمنعه من ارتياد المكتبة العامة والنهل مما تحتويه من كتب . وقد لعبت المكتبة العامة دورا حيويا فى عملية تأقلمه وتأقلم غيره من اليهود مع الحياة الثقافية الأمريكية .

ويسجل كازين فى ذكرياته غلالة العذوبة والرقّة والحنين التى أحاطت بتنشئته الباكّة . كما يذكر فيها أن أبويه اليهوديين كانا رغم بعدهما عن الدين يحرصان على ممارسة الطقوس اليهودية فكانت أمه كل يوم جمعة عند غروب الشمس تشعل الشموع ابتهاجا بقدوم يوم السبت المقدس ، فضلا عن أن أسرته اعتنقت الفكر الاشتراكى وتناقشت فيه حول مائدة المطبخ ، ويذكر كازين بكل العاطفة والشجن الجهود المضنية التى بذلتها أمه فى عملها كخياطة والسهر على خدمة أسرتها . ويذكر كازين عن والده تضامنه القوى مع أقرانه من اليهود الأمر الذى عمق فى كازين الاحساس بأنه ينتمى حقّا إلى شعب وأنه لا يعيش بمفرده بمعزل عن هذا الشعب ، ومن ثم يستحيل عليه الهروب من يهوديته . وازداد هذا الشعور قوة ورسوخا نتيجة إقدام النازيين على الإبادة الجماعية لليهود .

إن كازين لم يكتب الرواية ولكنه كتب ذكرياته عن طفولته وشبابه في قالب روائى يدور حول تأقلم اليهودى الأمريكى مع الثقافة الأمريكية ، ثم واصل وصف عملية التأقلم هذه فى رواية أخرى بعنوان «البداية فى الثلاثينات» (Starting Out in the Thirties) روى فيها قصة انفتاحه على عالم أوسع وأرحب من عالمه اليهودى ، وهذا العالم الأرحب هو عالم الأدب والسياسة الراديكالية الشائعة آنذاك . يقول كازين عام ١٩٢٥ عند اكتشافه لهذا العالم الجديد الرحب أنه تمثل أباه وأمه وذويه اليهود كما لو كانوا شخصيات مأساوية شكسبيرية مثل شخصيتى هاملت والملك لير الأمر الذى جعله يدرك أن الفن والحق والأمل شئ واحد .

وفى عام ١٩٧٨ واصل كازين حكايته كيهودى تحت عنوان «يهودى نيويورك» New york Jew ويتضمن هذا الكتاب الجديد تأكيدا لهويته اليهودية أكثر من أى وقت مضى فضلا عن إيمانه بأن اليهودى المهاجر إلى أمريكا خير من يرفع لواء الأدب الأمريكى فى مجالات الرواية والشعر والنقد والدراسات الأدبية . وغنى عن الذكر أن كتابه «على أرض الوطن» الذى يدور حول تجاربه أثناء فترة الحرب العالمية الثانية وفى العقدين التاليين لهما يتناول تلك الكوكبة اللامعة من الأدباء اليهود الذين التفوا حول المجلة اليهودية «تعليق» . ويحدثنا فى هذا الكتاب عن الهوية



اليهودية معبرا عن شديد احترامه عن البيئة اليهودية الباكورة المتحدثة بلغة اليبديش التي تربى فيها فى شرق أوربا غير أن اشاراته إلى ثقافة يهود اليبديش الأدبية محدودة للغاية بسبب إنغماسه الكامل فى الثقافة الأمريكية باللغة الانجليزية ، فضلا عن أنه يهاجم موقف كثير من زملائه المذبذب وغير الواضح من الرجعية المكارثية كما أنه يعبر عن عظيم احتقاره وعدائه للمذهب الشيوعى .

وفى عام ١٩٦٦ جمع كازين طائفة مختارة من المقالات المنشورة فى مجلة «تعليق» تحت عنوان «قارئ مجلة تعليق» The Commentary Reader وقدم لها بمقال ناقش فيه موضوع «اليهودى ككاتب حديث . موضحا الدور الرائد الذى اضطلعت به هذه المجلة فى تعميق مفهوم الحداثة الأدبية . ويذهب كازين فى تقديمه لهذه المقالات إلى أن الجمهور الأمريكى أصبح مستعدا فى السنوات الأولى من القرن العشرين لتقبل اليهودى ككاتب أمريكى حديث ليس فى صحون الجامعات ولا فى الصحافة ولكن فى مسارح الفودفيل واللهو والضحك الرخيص وصلات الموسيقى والغناء ومسارح المهرجين وكتاب الأغانى اليهود . ومعنى هذا أن اعتراف الأمريكان بحداثة اليهود فى مطلع القرن العشرين جاء أول ما جاء فى مجال الرخص والابتذال ، ولكن هذا الوضع

سرعان ما تبدل وتغير وذلك بعد أن هاجر عدد من اليهود المستنيرين الذين عانوا من الاضطهاد فى الأحياء اليهودية فى شرق أوربا إلى الأراضى الأمريكية حيث عاش الكاتب اليهودى المهاجر فى مفترق الطرق الثقافية متأرجحا بين الحياة والموت . ولهذا كان من الطبيعى أن يشوب التوتر نظرة الرعيل من المهاجرين إلى الحياة . ولكن بحلول الثلاثينات من القرن العشرين أنجب جيل الآباء عددا من الكتاب اليهود الموهوبين الذين انتجوا أدبا دراميا وروائيا باقيا ، هؤلاء اليهود الموهوبون ساعدوا على خروج يهود أمريكا من شرنقة المحلية المحدودة الضيقة وعلى احتضانهم نظرة أرحب وأوسع تتجاوز يهوديتهم . وقد خرج جميع هؤلاء الموهوبين من عباءة مجلتى «بارتيزان ريفيو» و «تعليق» ليسيطروا بعد نبذهم للأفكار الماركسية (التي اعتنقوها فى بواكير حياتهم) على الجو الثقافى الأمريكى تاركين بصماتهم الواضحة فيه . يقول كازين فى هذا الشأن : « يوجد الآن روائيون يهود استطاعوا أن يتقنوا أدوات الرواية الحديثة المعقدة ، وأن يكتبوا بلغة انجليزية حبيبة إلى القلب وهم يتمتعون بالقدرة الفائقة على امتلاك العواطف لدرجة أن اللغة والشكل والذكاء الفنى أصبحت أشياء طبيعية بالنسبة لهم تماما كما كان ناموس موسى شيئا طبيعيا بالنسبة لأجدادهم » .

## ليسلى فيلدر

على الرغم من أن الناقد اليهودى ليسلى فيلدر قد يكون أقل موهبة من أقرانه تريلنج وراهف وكازين فإن الفضل يرجع إليه فى إبراز دور المثقف اليهودى فى الحياة الأمريكية وهو يشبه زميله إرفنج هاو فى كثرة ما كتبه عن دور اليهود فى الأدب . وعندما نشر فيلدر مقالاته المجموعة Collected Essays فى جزءين عام ١٩٧١ نراه يخصص ثلث أحد هذين الجزءين لمناقشة الموضوعات اليهودية .

ولد فيلدر فى نيوجيرسى عام ١٩١٧ واعتنق المذهب الشيعى بتحمس شديد فى شبابه . ولكنه ما لبث أن نبذه بسبب محاكمات التطهير التى أجراها ستالين فى موسكو ، وأيضاً بسبب معاهدة عدم الاعتداء التى عقدها هذا الديكتاتور مع الطاغية النازى أدولف هتلر عام ١٩٣٩ . ويبدو أن نبذه للشيعوية مرده حرصه على الاحتفاظ بجذورها مشتعلة بون أن تصل إليها يد العطب أو الفساد . وهذا على أية حال ما يقوله الناقد الفريد كازين عندما قام بنقد كتاب فيلدر الصادر عام ١٩٥٥ بعنوان «نهاية البراءة» An End to Innocence.

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية كتب فيلدر فى مجلة «الكونجرس الأسبوعى» Congress Weekly عن الصعوبات التى تعترض طريق المثقف اليهودى الذى يبغى العودة إلى حظيرة دينه، ويشكو فيلدر من أن اليهودية الأمريكية بوجه عام تركز كل شئ فى الله مما لا يتفق مع مشارب اليهودى العائد إلى دينه والذى يرنو إلى الخلاص ويشتاق إلى «مجى المسيح» اللذين يعتبرهما فيلدر أجمل شئ فى الديانة اليهودية على الإطلاق . ورغم أن رأى فيلدر هذا لا يتماشى مع الدين اليهودى التقليدى فإن فيلدر أقام علاقة طيبة مع المؤسسات اليهودية التقليدية بدليل ما سطره من مقالات فى عقد الستينات فى مجلة «اليهودية الأمريكية» American Judaism.

وليس أن شك أن كتابات فيلدر الكثيرة عن وضع اليهود فى الأدب الأمريكى أثارت اهتمام الأدباء فى محافظهم وندواتهم ، وفى عام ١٩٤٨ أسهم فيلدر فى المناظرة التى عقدتها مجلة «البارتيزان ريفيو» بعنوان «حالة الكتابة الأمريكية» . وكان فى مقالته الوحيدة الذى دعا إلى ضرورة التوفر على مناقشة اسهام اليهود فى الأدب مبرزاً أهمية كتابات كافكا . يقول فيلدر عن يهودية كافكا « إنها ليست مجرد صدفة عابرة ، فكلا اليهودى الحقيقى واليهودى المصنوع فى نسج الخيال (أى اليهودى الذى يظهر فى الأدب مثما

يظهر على سبيل المثال فى رواية «يوليسيس» لجيمس جويس) يعطى الفترة الحالية مذاقها الخاص . ويشير فيلدر إلى جيل كامل من الكتاب اليهود فى سن الثلاثين تقريبا أمثال ديلمور شوارتز والفريد كازين وايزاك روزنفيلد وبول جودمان وشاؤول بيلو الذين يضربون المثل فى وقتنا الراهن على أن اليهودية شرط من شروط الفنان . فضلا عن أن ناقدا كتب فى عام ١٩٤٩ مقالا مثيرا فى مجلة تعليق بعنوان : « ما الذى يمكن عمله بالنسبة لفاجين» . وفاجين كما نذكر هو رئيس العصابة اليهودى فى رواية ديكنز الشهيرة أوليفر تويست سلط فيه الضوء على ظاهرة العداء السافر للسامية الموجود فى التقليد الأدبى الانجليزى بل أيضا عند الكثيرين من كبار الأدباء المحدثين أمثال تى . س . اليوت وازرا باوند وشجعت هذه المقالة مجلة «تعليق» لعقد مناظرة خصصتها لمناقشة موضوع «الكتاب اليهودى والتقليد الأدبى الانجليزى» .

لن نجد من هو أكثر من فيلدر قلبا وتغيرا فى أفكاره . ونحن نراه فى مقاله المنشور فى مجلة تعليق يتشبه باستحداث أسطورة جديدة كى يحارب بها الأسطورة القديمة المعادية لليهود والمتمثلة فى صورة اليهودى فى الأدب الانجليزى أى أنه اتبع المثل القائل : «وداوها بالتى كانت هى الداء» ومن ثم سعى إلى القضاء على الأسطورة التى تصور اليهودى كشيطان رجيم ليستبدلها فى لغة

واضحة باسطورة نمطية جديدة مضادة ترسم لنا صورة اليهودى كفتان يعانى من الاغتراب مثلما فعل كافكا عندما صور اليهودى (ك) كفتان إلى جانب تصوير جيمس جويس لشخصية يلوم فى رواية يوليسيس .

وأىضا أولى فيلدر اهتمامه بفكرة Archetype أى النموذج الأول الذى لا يعتريه تبديل أو تغيير عبر العصور المتعاقبة . هذا النموذج لا ينتمى إلى أية حقبة تاريخية معينة بل إلى كل الأحقاب ومن ثم فهو يتجاوز التاريخ . ويتجلى مفهوم فيلدر عن هذا النموذج الأول فى كتابه المهم « الحب والموت فى الرواية الأمريكية » الصادر عام ١٩٦٠. الأمر الذى دعا الناقد والمؤرخ الأدبى روبرت أولتر Robert Alter المتخصص فى دراسة شخصية اليهودى فى الأدب إلى التعليق بقوله إن فيلدر بعدم اكترائه بالتاريخ يتورط فى مجموعة من الأخطاء واساءة التفسير مثل اعتقاده أن شخصية يوسف التى ورد ذكرها فى الكتاب المقدس لها ما يقابلها فى العصر الحديث فى أعمال كل من فرويد وكافكا . ويفسر فيلدر تاريخ الرواية الأمريكية بأنه مجموعة من النماذج الباقية على مر الدهور والأزمنة يشوبها عيب خطير يتمثل فى أنها تتحاشى الخوض فى الجنس وتولى الموت شديد عنايتها ، وهكذا يطبق هذا الناقد على الرواية الأمريكية فكرتين جذريتين مستمدتين من علم النفس الفرويدى وهما الايروسى Eros أى شهوة الجنس والثانتوس Thanatos أى

الخوف المرضى من الموت . وقد كتب فيلدر كتابه الهام «اليهودى فى الرواية الامريكية» (١٩٥٩) فى ضوء هاتين الفكرتين .

ولم تقتصر كتابات فيلدر عن اليهود على الرواية بل امتدت إلى النقد الأدبى ، ورسم لنا فى هذا النقد سمة عامة تجمع بين جميع اليهود فى مشارق الأرض ومغاربها مفادها أن اليهودى بالضرورة انسان مغترب وفى عام ١٩٦٣ اشترك مع ثلاثة من الأدباء هم دافيد بوروف David Boroff وماكس ليرنر Max lerner وفيليب روث philip Roth فى حوار أمريكى إسرائيلى نظمه المؤتمر اليهودى الأمريكى حول معنى الهوية اليهودية من وجهة نظر المثقفين الغربيين ، وقدم فيلدر مفهومه لهذه الهوية فقال إنها بكل بساطة تتمثل فى شعور اليهودى بالاغتراب وأنه فى منفى فضلا عن أنه سوف يجد نفسه فى كل لحظة غريبا فى أى مكان يوجد فيه . ووافق فيلدر على تفسير روث القائل بأن اليهودى منشق بالضرورة ولكنه أثر القول إنه واجب اليهودى هو الشهادة الحق (ضد الجهل والخمول والتمييز العنصرى وانتهاك المثل وضد الرشوة والفساد . وينتقد بعض النقاد هذا المفهوم للهوية اليهودية ويرون أنه مفهوم دينى وأخلاقى وليس مفهوما عرقيا فهو لا يقيم وزنا للاختلاف العرقى الذى يتسم به اليهود عبر الزمن عن سواهم من البشر ، فضلا عن أنهم يرون أن الانشقاق ليس مقصوداً على



اليهود لأن فيهم من ينزع إلى الانشقاق وفيهم من ينزع إلى التماثل ، وهناك بطبيعة الحال وشائج من القربى تربط بين تحريض اليهودى بأنه الشاهد على الحق وبين انشقاقه البطولى عن البنية التى يعيش فيها ، ولهذا يقبل فيلدر الفكرة القائلة بأن اليهود شعب الله المختار ولكنه يستطرد قائلاً إن المختار لا يتمتع بحق الاختيار لأنه محكوم عليه الادلاء بالشهادة الحق تحت كل الظروف ، والذي يعزز نزعة اليهودى إلى احقاق الحق هو أنه دائماً أبدا مضطهد فى كل العصور ، والغريب أن ينسب شهادة الحق إلى اليهودى فقط دون خلق الله جميعاً ويقول فيلدر إن شهادة الحق تقتضى من اليهودى الوقوف فى وجه تحيز الرجل الأبيض ضد الزنوج واعتبارهم مواطنين من الدرجة الثانية . ويبدو أن شغل فيلدر الشاغل كان تحسين صورة اليهودى فى ذهن الأمريكان وتحبيبهم فى خصاله ، الأمر الذى دعا روبرت أولتر عام ١٩٦٨ إلى القول : « هناك مؤامرة مسكوت عليها تحاك فى السنوات الأخيرة من أجل زرع خصال يهودية متنوعة تدعو إلى الإعجاب بين الجمهور الأمريكى فى حين أن هذه الخصال الحميدة هى فى واقع الأمر سمات إنسانية عامة يتسم بها كل البشر » .

والجدير بالذكر أن اهتمام فيلدر الشديد بالدور الذى يلعبه اليهودى فى الأدب أخذ يخبو ويضمحل بانتهاء عقد الستينات .

## إرفنج هاو

بالرغم من أن إرفنج هاو كان أصغر النقاد والأدباء اليهود سنا فقد كان نفوذه فى الحياة الثقافية الأمريكية عميقا إذ أن الفضل يرجع إليه أكثر من غيره فى إبراز الدور الذى لعبه اليهودى فى الأدب الأمريكى الحديث ، فضلا عن أنه مسئول عن زيادة وعى الأمريكان بالتقاليد اليهودية الاجتماعية والثقافية .

ولد هاو فى مدينة برونكس بالولايات المتحدة عام ١٩٢٠ من أبوين مهاجرين فقيرين ، وذلك بعد مولد تريلنج بخمسة عشر عاما وكازين بخمسة أعوام وفيلدر بثلاثة أعوام . وقد جاءت كتاباته عن اليهود كرد فعل للهولوكست أو الإبادة النازية الجماعية لليهود مما زاده اقتناعا بفكرة إنشاء دولة لليهود ، وهو لم يكتف باستجلاء كتابات اليهود المعاصرين له بل كرس وقته كى ينقل إلى الجمهور الأمريكى جانبا من التراث الثقافى المكتوب بلغة اليديش التى يستخدمها اليهود فى روسيا وشرق أوربا ، الأمر الذى دعاه إلى الاشتراك مع شاعر اليديش اليزر جرينبرج Eliezer Greenberg فى نشر عدة مجلدات تحتوى على ترجمات انجليزية لأدب اليديش فى قصص وشعر ومقالات ومذكرات ويوميات الخ .. وفى عام ١٩٧٦ ظهر عشقه لأدب اليديش فى شكل كتاب ذائع

الصيت ألفه إرفنج هاو عام ١٩٧٦ بعنوان « عالم أجدادنا »

The World of Our Fathers.

قلنا إن رد فعل هاو ضد الهولوكست تمثل فى عمله الدائب على إشاعة أدب اليبديش بين اليهود وغير اليهود على حد سواء ، فى حين انصرف غيره من الصهاينة فى نشر الوعى بالأدب العبرى ومصير الشعب اليهودى مثلما فعل روبرت أولتر الذى دفعه الإيمان بالمذهب الصهيونى إلى الاهتمام البالغ بنشأة دولة إسرائيل ، والفرق بين أولتر وهاو أن الأول كان يدين بالصهيونية الخالصة فى حين كان الثانى رغم يساريته ورفضه للصهيونية مدافعا قويا عن وجود الدولة الإسرائيلية .

وبسبب اهتماماته السياسية القوية تنوعت الموضوعات التى كتب فيها ارفنج مثل «تاريخ الحزب الشيوعى الأمريكى» (الذى ألفه بالاشتراك مع لويس كوزر Lewis Coser ) وعلم الاجتماع والنظريات الاشتراكية إلى جانب سيرة حياة بعض الأدباء ، وفى عام ١٩٥٤ أسس مجلة «الانشقاق» Dissent اليسارية الليبرالية وكتب سيلا من المقالات الصحفية ذات الصبغة السياسية والاجتماعية إلى جانب طائفة من سير حياة الأدباء مثل «شيرود أندرسون» (١٩٥١) و«وليم فوكنر» (١٩٥٢) و«توماس هاردى» (١٩٦٧) ونبذة عن حياة تروتسكى (١٩٧٨) وحتى فى أيام الطلب

بكلية بروكلين الامريكية اهتم إرفنج هاو بتحليل عقلية المثقفين اليهود المعاصرين له . وفى شهر سبتمبر ١٩٤٧ نشرت له مجلة «تعليق» مقالا مهما بعنوان: «المثقف الشاب الضائع: رجل مهمش يعانى من غربتين» ، يقول هاو فى هذا المقال : «من الصعب أن يكون المرء يهوديا ومن الصعب أيضا ألا يكون كذلك. » ويضيف أن اليهودى فقد إحساسه بالاستمرارية التى كان أجداده يستمدون كيانهم منه. «هذا اليهودى يختلف عن جيل الآباء والأجداد الذين اقتصر طموحهم على إصابة النجاح المهنى فاليهودى الجديد تائر وراديكالى يناهض الحياة البورجوازية . ثم أن اهتمامات اليهود الثقافية المتنوعة متفرقة الأمر الذى يعترض سبيل التواصل مع غيرهم. ومن المفارقة أن جيل المهاجرين الآباء أنفسهم يتغير بمضى الزمن فعندما يكبر الأولاد يكون الآباء قد بدأوا فى التأقلم على حياة المهجر والاندماج فيه. وهنا تظهر المفارقة فى أن أبناءهم التأثيرين هم الذين يصبحون غرباء جدد. وقد رفض هاو اقتراح بعض اليهود الصهيونية كحل ومطالبتهم بالعودة إلى التقاليد اليهودية كبديل لهذه الغربة. فضلا عن أن نزعة هاو اليسارية تجعله يرفض فكرة التعليم اليهودى وإعادة بناء المجتمع اليهودى

والثقافة اليهودية باعتبارها أفكارا انغلاقية أو انعزالية تزيد من اتساع الفجوة التى تفصل بين اليهود والمجتمعات التى يعيشون فيها.

ويذهب هاو - دون أن يقول هذا صراحة - أن الحل لمشكلة الأقليات اليهودية يكمن فى المذهب الاشتراكى أى إقامة مجتمع أمريكى يندمج فيه اليهودى ، وعلى أية حال انتشرت هذه النزعة الثورية والراديكالية بين يهود أمريكا فى أعقاب الحرب العالمية الثانية مباشرة. وكما أسلفنا انتهى الأمر بهؤلاء اليهود الراديكاليين والثوريين إلى التصالح مع المجتمع الأمريكى عندما أتاح لهم هذا المجتمع الفرص الاجتماعية والمهنية والاقتصادية التى كانوا يتطلعون إليها. غير أن هاو ظل يستمسك بالمذهب الاشتراكى على عكس معظم زملائه الذين نبذوه من جماعة مثقفى نيويورك التى التفت حول مجلتى «بارتيزان ريفيو» و«تعليق» . وهما المجلتان اللتان أسهم هاو فيهما بمقالاته.

ويتضح لنا اهتمام هاو الشديد بموضوع اليهودى فى الأدب فى مقال آخر نشره فى أغسطس ١٩٤٩ فى مجلة «تعليق» تحت عنوان «الغريب والضحية هما نمطا الرواية الأمريكية» . ويتناول هذا المقال طريقة معالجة الكتاب اليهود على أيدى الكتاب اليهود

أمثال ابراهام كاهان Abraham Cahan وهنرى روث Henry Roth إلى جانب الكتاب غير اليهود المنتمين إلى عقد العشرينات. ويلاحظ هاو أن معظم الروائيين الأمريكيين ينكرون فى رواياتهم على اليهودى «الحق الوحيد الذى يحتاج إليه اليهودى وهو وجوده كإنسان متكرر له فرديته الخاصة به». وفى عدد مجلة «تعليق» الصادر فى أكتوبر ١٩٤٩ أسهم هاو بمقال حول الموضوع الذى طرحته للمناقشة هذه المجلة بعنوان: «الكاتب والتقليد الأدبى والإنجليزى». ويتضح من مقاله أنه لا يتسامح بالمرّة مع معاداة السامية أيا كان مصدرها. ولكنه يرى أن عداوة الشاعر الانجليزى تشوسر للسامية لها بعض التبرير لأن تشوسر الذى عاش فى القرن الرابع عشر كتب فى جو تسيطر عليه المفاهيم المسيحية التى تناصب اليهودية العدااء فى حين أنه ليس هناك مبرر على الإطلاق للعداوة التى يظهرها فى العصر الحديث درايزر وإليوت وباوند نحو السامية. ويعبر هاو عن ضيقه بالتقليد الأدبى الانجليزى الذى يقدم إلينا اليهودى بصورة كاريكاتورية. ويختتم هاو مقاله قائلاً: «لا ينبغى أن تؤثر فىنا أية أفكار عن سمو الأدب أو قداسة الفن فتمنعنا من التعبير عن مشاعرنا التلقائية المتأججة نحو الكتاب

المعاصرين الذين يسلمون أنفسهم بإرادتهم أو بغير إرادتهم  
لمعادة السابقة».

أشرنا فيما سبق إلى أن هاو كان يتخذ مواقف فكرية  
وسياسية تختلف عن المواقف التي اتخذها عدد كبير من المثقفين  
في مدينة نيويورك الذين هلّوا مرحبين بفترة الرخاء والازدهار في  
أمريكا عقب الحرب العالمية الثانية كما رحبوا بسياسة الحرب  
الباردة التي اتبعتها الحكومة الأمريكية آنذاك مع الكتلة الشيوعية  
الشرقية. وكما أشرنا من قبل تخطى معظم المثقفين اليهود الملتفين  
حول مجلتي بارتيزان ريفيو وتعلق عن إيمانهم الباكر بالاشتراكية  
وأصبحوا يضمرون العداء المتأجج للدكتاتورية الستالينية . ولكن  
هاو رفض أن يحزنو حزنوهم وظل يحتفظ بإيمانه بضرورة  
الاشتراكية منتقدا المكارثية بسبب اثارها للديماغوجية والغوغائية  
في عداء الأمريكان ضد الشيوعية. فلا غرو إذا رأيناه يعبر عن  
رفضه للسياسة الأمريكية القائمة على الحرب الباردة، ويعبر عن  
هذا الرفض في المناظرة التي عقدتها مجلة «بارتيزان ريفيو» عام  
١٩٥٢ بعنوان «بلدنا وثقافتنا» وأولى غالبية زملائه من المثقفين  
ممن أسهموا بأقلامهم في تحرير البارتيزان ريفيو ظهورهم  
للالاشتراكية وندبوا بها مكرسين كل طاقتهم للهجوم على أخطار



الثقافة الجماهيرية التجارية. وأنحى هاو باللوم عليهم واتهمهم بأن مقتهم للاستالينية فاق مقتهم لنشوب حرب ثالثة. وأكد هاو استمساكه بالماركسية: «إن الماركسية تبدو لي أفضل الطرق لصنع التاريخ وفهمه». كما أنه هاجم المكارثية لما تنطوى عليه من خطر على الحريات المدنية على عكس معظم أقرانه الذين ارتضوا بها. وفي العدد الصادر في يناير - فبراير ١٩٥٤ في مجلة «البارتيزان ريفيو» شن هاو هجوما عاتيا على المثقفين الأمريكيين الذين يقبلون المجتمع الأمريكي على علاته. وقد ضمن هاو نقده هذا في مقال بعنوان «عصر التماثل» The Age of Conformity. ثم أنشأ فيما بعد مجلة «انشقاق» التي دافع فيها عن المذهب الاشتراكي الذي فهمه على نحو يكتنفه الغموض.

استمر أرفنج هاو في تأليف الكتب والمقالات الأدبية إلى جانب اهتمامه بالموضوعات ذات الطابع الاجتماعي والسياسي وبالدور الذي يلعبه اليهودي في الحياة العصرية وخاصة في الأدب الأمريكي الحديث. ولم يقم هاو وزنا للمعايير الشكلية والجمالية التي وضعتها مدرسة النقد الجديد والتي تتناول الأعمال الأدبية في سياق اجتماعي وتاريخي مما يذكرنا بالأسلوب الماركسي في

معالجة الأدب ، ولكن تحليله للظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التى نشأت فيها الأعمال الأدبية لم يكن بعمق واتساع ودقة وتفصيل النهج الماركسى التاريخى والاجتماعى للمصادر التى تستمد الأعمال الأربعة جذورها. ويعتبر كتابه «السياسة والرواية» (١٩٥٧) Politics and the Novel من أبرز مؤلفاته النقدية. ويبدو أن عقد الستينات شاهد تغيرا فى موقفه الراديكالى وفى مشاعره المائلة إلى اليسار الجديد. فهو لم يعد يحمل له نفس حماسه السابق لهذا اليسار. ومعنى هذا أن عداوته للطبقة الوسطى بقيمها المادية ورضائها عن النفس خفت حدتها عن ذى قبل. ويتضح لنا تغيره هذا من المقال الطويل الذى كتبه فى مجلة «انشقاق» بعنوان أساليب جديدة فى المذهب اليسارى» New Styles in Leftism ، وقد لاحظ الناقد البريطانى اليسارى الكبير راموند وليامز Raymond Williams هذا التغير أثناء عرضه لكتاب هاو «العمل الجاد الدؤب» Steady Work فى مقال كتبه بعنوان «مقالات حول السياسة الراديكالية الديمقراطية منذ عام ١٩٥٣ حتى عام ١٩٦٦ .. يقول راموند وليامز إنه كان يتوقع من كتاب هاو أن يدافع عن المذهب الاشتراكى والراديكالى الذى ينتقد عيوب

المجتمع الأمريكي. ولكن اتضح له أن مساحة مثل هذا النقد الوارد في الكتاب محدودة للغاية وأن المؤلف يخصص صفحاته للهجوم على جماعة اليسار الجديد.

ويتضمن كتاب هاو «عالم آبائنا» المنشور عام ١٩٧٦ (الذي يدل على تمكنه من انتهاج المنهج الاجتماعي في النقد الأدبي) تحية تقدير وولاء لأجداده يهود أمريكا الذين انحدر من صلبهم . ومما زاد من شعوره بأن الواجب يحتم عليه مثل هذا الولاء اعتقاده بأن مجتمع اليبديش ولغته ليس لهما أي مستقبل يبشر بالخير. ولكن يبدو أن اعتقاده هذا ليس له نصيب من الصحة فقد استمر الاهتمام بلغة اليبديش لعدة أجيال لاحقة. والجدير بالذكر أن هاو استعان بزميل له يدعى كنيث ليبو Kenneth Libo وبثلاثة عشر معاونا له في كتابه هذا السفر الضخم الذي يبلغ سبعمائة صفحة. وأصاب هذا الكتاب نجاحا عظيما ففاز بجائزة بولتزر في التاريخ وطبقت شهرته الآفاق الأمريكية. ويتتبع هاو في كتابه اضمحلال ثقافة اليبديش في الولايات المتحدة الأمريكية بسبب طغيان الثقافة الأمريكية عليها. والكتاب مكتوب من منظور اشتراكي وعلماني ومن وجهة نظر اليهود المهاجرين إلى أمريكا.

يقول هاو في مقاله «الروائيون اليهود الأمريكيان» إن الانتاج

الأدبي اليهودى منذ عقد الثلاثينات اتسم بالمحلية شأنه فى ذلك شأن الكتابات التى دمجها كتاب الجنوب الأمريكى وأن نفس الشيء كان مصير ثقافة الجنوب الأمريكى التى تفككت وتحللت بسبب انتشار التصنيع فيه. ويذهب هاو إلى أن التطور اليهودى أثرى اللغة الانجليزية بفضل تأثير أساليب اليبديش فيها، وتأثر لغة اليبديش بالانجليزية خلقا وأسلوبا نثريا أمريكيا جديدا ومدهشا» وقد عالج هاو هذا الموضوع باستفاضة فى مقال بعنوان «غرباء» Strangers صدر به كتاب «احتفالات وهجمات! ثلاثون عاما من التعليق الأدبي الثقافى» (١٩٧٩). ويضم هذا الكتاب بين دفتيه طائفة من المقالات القصيرة التى سطرها هاو فى الفترة بين الأربعينات والسبعينات. ويذكر أن الكاتب اليهودى الحديث يشعر بأن فحول الأدب الروسى أمثال ليو تولستوى وإيفان تورجنيف وتشيكوف أقرب إلى قلبه من التقليد الأدبي الأمريكى الفردى الذى أرساه رالف والده إمرسون Ralph Waldo Emerson ووالث ويطمان Walt Whitman ويقول إن الكاتب اليهودى الأمريكى استمد كتاباته من ماضيه لأن هذا الماضى هو الشيء الوحيد فى أمريكا الذى يعرفه عن كُتب معرفة وثيقة ويمكنه أن يسبر أغواره. ويرى أن الكاتب اليهودى الأمريكى يفتقر إلى معرفة ثقافة اليبديش

معرفة جيدة . بل أن صلته بلغة اليديش التى كان أسلافه يستخدمونها فى بلادهم الأصلية اعتراها الضعف والوهن . ولهذا بدأت أنظارهم تتجه شطر البنية الأمريكية والمجتمع الأمريكى بوجه عام . وأيضا اقتصرت تجاربهم وخبرتهم على الحياة فى الحضر الأمريكى وليس فى الريف الأمريكى وعلى معرفتهم الوثيقة بظروف بيئتهم الأمريكية وما ورثوا عن آبائهم وأجدادهم المهاجرين من عادات وتقاليد . وهكذا استطاع الكتاب اليهود بموهبتهم الأدبية أن يدخلوا صوتا جديدا على لغة الرواية وتعميق عنصر السخرية الفذة فيها . ومن ثم استحدث هؤلاء الكتاب اليهود الأمريكان أسلوبا أمريكيا جديدا فى الكتابة تمتزج فيه السخرية الروعة بالعواطف المفرطة بدون ضابط أو رابط وبالحكمة النابعة من قاع المجتمع ، وأيضا بآثار التعليم الجامعى العالى الذى حظى به جيل اليهود الأبناء . ويذهب هاو إلى أن التجديدات الأسلوبية التى استحدثتها فى الأدب الأمريكى كل من الكاتبين الأمريكين همنجواى وفوكنر ترتبط ارتباطا وثيقا بالكتاب والمؤلفين اليهود والأمريكان . والرأى عنده أن أسلوب الروائى اليهودى شاول بيلو أفضل مثل يمكن أن يساق على عمق الأثر اليهودى فى الأدب الأمريكى .

## ٤ - أدب الاغتراب

### ديلمور شوارتز

تعتبر القصة التي نشرها ديلمور شوارتز في أول عدد صادر من مجلة بارتيزان ريفيو في شهر ديسمبر عام ١٩٣٧ بعنوان «في الأحلام تبدأ بالمسئوليات In Dreams Begin Responsibilites رمزا يشير إلى ظهور الجانب الخلاق الذي مارسه يهود أمريكا في تأليف القصص وقرض الشعر. أصبح شوارتز بين ليلة وضحاها الرائد الذي مهد الطريق لبزوغ عقلية جديدة وأدب جديد. مزج شوارتز في أدبه بين نفخ الأوهام والاستيقاظ إلى الحقيقة السياسية من ناحية وبين مذهب الحداثة الوجودي من ناحية أخرى. فضلا عن أنه أفضل من عبر عن روح الجيل الثاني من اليهود المهاجرين إلى أمريكا. ذلك الجيل الذي تأرجح وتذبذب بين أصوله العائلية اليهودية وبين بيئته الجديدة في أرض المهجر ، ومهما قيل عنه فليس هناك أدنى شك في ريادته للأدب اليهودي الأمريكي الذي دار حول اليهودي كشخصية محورية.

ولد شوارتز في بروكلين بأمريكا عام ١٩١٣ من الطبقة الوسطى. ولم يعرف أبواه طعم السعادة في حياتهما الزوجية. وكان والده وهو زير نساء رجل أعمال ناجح انفصل عن عائلته عندما كان ابنه في الثامنة من عمره . وترك الشقاق بين والديه

ندوبا عميقة فى نفسه لم تنجح الأيام فى شفائه منها. ويتضح لنا هذا بجلاء فى قصته «فى الأحلام تبدأ المسئوليات». ورغم أن الروح العامة التى شاعت فى مجلة بارتيزان ريفيو فى فترة الثلاثينات اتسمت بالتفاؤل والاستبشار خيرا بالمستقبل فإن الأدب المتشائم الذى أنتجه ديلمور شوارتز كان نغمة نشارا فى هذا الجو المتفائل. وهو على أية حال لم يكن الكاتب الوحيد آنذاك الذى غمر التشاؤم كتاباته. فقد ألف روبرت م. آدمز Robert M. Adams عام ١٩٦٦ كتابا عن العبث الوجودى واليأس من الحياة وفراغها بعنوان «العدم: حكايات عن انتصار الفراغ فى ميدان الأدب فى القرن التاسع عشر».

Nil : Episodes in the Literary Conquest Of Void in the  
Nineteenth Century

يقول آدم فى كتابه «إن الفراغ أصبح يسكتنا - كما تسكتنا الأرواح والعفاريت فى مجالات الفن والأدب والعلم والثقافة بوجه عام. ويتتبع المؤلف وجود هذا الفراغ فى كثير من الكتاب أمثال نوفاليس Novalis ودى كوينس De Quincey وفلوبرت وبودلير ومالارميه وعند رواد الحداثة فى أمريكا أمثال ادجار آلان بو Edgar Allen Poe وهيرمان ميلفيل Melville. ومن نافلة القول أن تحليل آدمز يمكن أن ينطبق على الكثير من أعلام الحداثة فى

أوروبا في القرن العشرين أمثال كافكا وبييتس و ت. س. إليوت وإزرا باوند وفاليري. ولا ريب أن شوارتز مزج الظروف التعسة الخاصة التي نشأ فيها بظروف المجتمع الأمريكي العامة وعدم ارتياحه عن نشأته اليهودية في مجتمع لا يحمل الود لليهود ، حيث خالط جماعة من المثقفين اليهود الراديكاليين النابهن الناقدین للمجتمع الأمريكي في فترة الكساد العظيم. وتنبه شوارتز الذي تأثر بالفكر الماركسي إلى تمرغ التجربة السوفيتية في وحل الطفیان الستالینی الأمر الذي أفضى به إلى مكابدة الاغتراب. ومن المؤكد أن شعرت. س. إليوت وخاصة قصيدته المعروفة «الأرض الخراب» عمقت فيه الشعور بالاغتراب . فلا غرو إذ أصبح نبی الاغتراب في عالم الأدب الأمريكي.

احتضت جماعة البارتيزان ريفيو - التي كان شوارتز أحد أعمدتها - فكرة الاغتراب كمظهر من مظاهر الحداثة فقد أحس بهذا الاغتراب كل من اليهوديين فرانز كافكا ومارسيل بروست إلى جانب شخصية بلوم التي رسمها جيمس جويس في روايته «يوليسيس». وقد عبر شوارتز بجلاء عن فكرة الاغتراب في مسرحيته القصيرة «شندوه Shenendoah» التي تدور أحداثها حول طقس مهم للغاية عند اليهود هو طقس الختان الذي اعتبره



شوارتز بمثابة علامة تدل على أن اليهود هم شعب الله المختار وأن الله قد اصطفاهم من أجل التجوال والغربة.

وقد عبر الشاعر شوارتز عن أفكاره عن الاغتراب في قالب نثرى عام ١٩٤٤ في المقال الذى أسهم به فى المناظرة التى تحمل عنوان «تحت سن الأربعين» وهو فى ذروة مجده الأدبى وريادته للحدثاء فى أمريكا حيث استقبل الأمريكان مجموعته القصصية «فى الأحلام تبدأ المسئوليات» (١٩٣٨) بالتهليل والتكبير وحظى بتقريظ لم يحظ به شاعر آخر منذ ظهور الشاعر الانجليزى المعروف أودين. وفى عام ١٩٤٢ ألف شوارتز قصيدة طويلة ضمنها سيرته الذاتية اعتبرها بعض النقاد أهم أعماله. وعندما كان شوارتز يحاضر فى الأدب الانجليزى بجامعة هارفارد عام ١٩٤٤ مزج بحسم وقوة يهوديته بالاحساس بالاغتراب الذى أسهم به فى المناظرة المشار إليها. يقول شوارتز فى هذا الشأن: «شاهدت فى يهوديتى رمزا رئيسيا للاغتراب .. كدلالة على الحياة الحديثة».

ويذهب شوارتز إلى أن احساس اليهودى بالاغتراب يعود إلى تأرجحه بين عالمين: العالم اليهودى الذى ينحدر منه والعالم غير اليهودى الذى يعيش فيه. فرغم أن اليهودى يتأقلم بمرور الوقت

على العالم غير اليهودى الغريب عنه فإنه يستحيل عليه الانصهار فيه مائة فى المائة. ومن ثم فإن انتماءه إلى كلا العالمين انتماء هامشى على حد تعبير علماء النفس. والكتاب اليهود فى أمريكا دون سواهم مؤهلون للتعبير عن هذه الغربة بفضل وجودهم الهامشى فى المجتمع الأمريكى وتأرجحهم بين مجتمع المولد ومجتمع التربية والنشأة والتعليم. فهؤلاء اليهود يفوقون غيرهم فى شدة حساسيتهم إلى انتمائهم الهامشى إلى كل من هذين العالمين. وهذه التجربة اليهودية القائمة على الاغتراب لها ما يقابلها على الصعيد الفلسفى فى المذهب الوجودى الذى شاع فى اتجاه أوروبا عقب الحرب العالمية الثانية وهو المذهب الذى دعا إليه كل من الفيلسوفين كير كجارد وجان بول سارتر. وهكذا تألفت واجتمعت عدة عناصر بعد الحرب العالمية الثانية من أجل العمل على انضاج الأدباء اليهود من الجيل الثانى أمثال ديلمور شوارتز الذى سطعت موهبته ليحمل لواء الوجودية فى الحياة الثقافية الأمريكية.

إن شوارتز لم ينس يهوديته فى أى يوم من الأيام ويبدو أنه لم يتعرض إلى أى اضطهاد أو سوء معاملة بسببها فى مدينة نيويورك حيث أمضى شبابه. ويبدو أيضا أن استمساكه بيهوديته آنذاك كان بالنسبة له مسألة كرامة لا أكثر ولا أقل. ومع ذلك فهو

يخبرنا في «تكوين» Genesis أنه تعرض لمضايقات في طفولته بسبب يهوديته. وعلى أية حال يمكن القول إن حساسيته إلى جذوره اليهودية تعود إلى الفترة التي أعقبت مغادرته لمدينة نيويورك لاستكمال دراسته وخاصة في فترة التحاقه بجامعة هارفارد التي تخرج منها ليعمل مدرسا في عقد الثلاثينات. وفي عام ١٩٣٩ عاد شوارتز إلى جامعة هارفارد لتدريس الانجليزية فيها.. وهناك ساء ما لاحظته من مظاهر معاداة السامية وبالف في تضخيمها . ومما عمق شعوره بالغربة في جامعة هارفارد ضالة أعداد الطلبة اليهود الملتحقين بها. ويذكر جيمس أتلاس James Atlas كاتب سيرة حياته أنه تعذب كثيرا في جامعة هارفارد بسبب يهوديته.

ورغم شدة إعجابه بشعر ت. س. إليوت فإنه استشاط غضبا بسبب ما تضمنه هذا الشعر من عداة سافر لليهود. ووصف شوارتز هذا العداة بأنه شيء مروع وفظيع. يؤكد جيمس أتلاس أن شوارتز ظل يذكر على الدوام كراهية إليوت ضد اليهود. وهو ما يقرره بكل صراحة في كتابه الذي لم ير طريقه إلى النشر عن إليوت. ولم يغفر شوارتز لـ إليوت أنه قال في كتابه «بحثا عن آلهة غريبة» After Strange Gods ونحن نجد في المجتمع الصالح أن

العقل والدين يسعيان إلى القول بأن الزيادة الكبيرة في أعداد اليهود الملاحدة شيء شاذ وغير مرغوب فيه على الإطلاق. «ورغبة منه في الثأر من ت. س. إليوت لهجومه على اليهود نراه يشدد النكير على طائفة الكاثوليك الانجليكان التي تحول إليها إليوت بعد أن اهتدى إلى المسيحية الحقة . وأيضاً ضاق شوارتز ذرعاً بالصورة النمطية الكريهة لليهود كما رسمتها كل من أديث وارتون Wharton Edith في كتابها «منزل من المرح» House of Mirth والروائي الكبير هنري جيمس في كتابه «المنظر الأمريكي» The American Scene بل أنه اعتبر هجوم هنري جيمس على الأمريكان بمثابة قذف وسب شخصي ضد والديه اليهوديين اللذين عاشا آنذاك في نفس المنطقة التي كتب عنها هنري جيمس. زد على ذلك أن الغضب العام اجتاحه بسبب اشارات الشاعر إزرا باوند المعادية لليهود التي ضمنها كتابه «المرشد عن كلثور» (١٩٣٨) Guide to Kulcher لدرجة أنه كتب رسالة إلى إزرا باوند يقول فيها إنه تراجع عن الإعجاب به ولم يعد يعترف بأستاذيته عليه.

ورغم كل هذا فلا مناص من الاعتراف بأن شوارتز استطاع أن يتذوق الأعمال الخلاقة رغم ما تتضمنه من هجوم على اليهود. وشوارتز على أية حال لم يستخدم بوضوح موضع معاداة السامية

فى مؤلفاته القصصىة باستثناء قصة واحدة هى قصته التى تحمل عنوان «مهزلة مريرة» A Bitter Farce. وفىها ىشىر المؤلف إلى تفشى معاداة السامىة بشكل واضح بىن طلبة جامعة هارفارد وأنهم عبروا عن هذا العداء بون مداراة فىما سطره من مقالات وموضوعات الانشاء أثناء الحرب العالمىة الثانية.

وىدرك شوارتز أن كل قصصه وشعره ىتضمن عنصر اليهودىة بصورة حىوىة على نحو ما . وهو لا ىفتأ ىردد أن وضع اليهود جعل منه رمزا جاهزا للاغتراب فى المجتمع الحديث. وفى عام ١٩٥١ نشر شوارتز فى مجلة الشعر Poetry مقالا بعنوان «حرفة الشاعر فى العالم الحديث». The Vocation of the Poet in the Modern World اعترف فىه بالأثر الكبىر الذى تركه صدىقه المؤرخ الناقد ماىر شابىرو Meyer Schapiro على مفهومه للشعر. وشوارتز شدىد الاقتناع باغتراب الشخصىة اليهودىة وعدم امكانىة تحطىمها. فهى صلبة كالحجر الصوان والىهودى مغترب عن بلده وعن نفسه. ورغم هذا فهو ىظل على قىد الحىاة فى مواجهة قوى التاريخ العاتىة الجبارة المدمرة. ومن ثم ىجب أن ىكون الشاعر مستعدا للاغتراب والصمود أمام قوى الفناء فى مستقبل مروع لا ىمكن التنبؤ به. ونحن نراه ىدرك كابة هذا

المستقبل فى وقت ياكى يرجع إلى عام ١٩٣٨ وهو العام الذى يشهد اكتساح النازية الألمانية لما عداها من قوى سياسية. وتتضمن قصته القصيرة «ليلة رأس السنة» هذا الإدراك المبكر لكآبة المستقبل ، وتروى لنا هذه القصة وضعا للاحتفال الذى تقيمه مجموعة من محررى مجلة «بارتيزان ريفيو» بمناسبة قدوم عام ١٩٣٨ التى قال المؤلف عنها متشائما: «لم يكن أحد يعرف أنه فى تلك السنة سوف تعقد معاهدة ميونيخ المستسلمة المخزية. ولكن كل الناس كانوا يدركون أن حربا جديدة سوف تندلع عن قريب بسبب إيمان جماعة من البشر العزل وغير المهتمين بالله ، وأيضا بضرورة إقامة مجتمع عادل لدرجة أنهم كانوا على استعداد لأن يدفعوا من أجل إقامته الثمن غاليا» . ولم يخف شوارتز فى قصته السبب المزبوج فى اغترابه فهو نهبة شعورين: شعور بما يتهدد العالم من مخاطر الفناء وشعور بأن أحلامه فى الاتحاد الاشتراكى كقوة اشتراكية قد تبددت.

ولعلنا نتساءل ماذا تعنى اليهودية بالنسبة لديمور شوارتز وبالنسبة لمعظم أبناء الجيل الثانى من اليهود المهاجرين إلى أمريكا. هذه الهوية اليهودية قامت فى الأغلب الأعم على عدم تأقلم اليهود الكافى مع بيئة بلاد المهجر. فضلا عن عدم التزامهم بديانة

المولد اليهودية إلى جانب عدم اهتمام الجيل الثانى من اليهود بمعرفة حقيقة الدين اليهودى والتاريخ اليهودى. وبمعنى آخر إن يهوديتهم أقرب ما تكون إلى الشكل منها إلى الجوهر والمضمون. فهى يهودية قائمة على مجرد مراعاة العادات والتقاليد والطقوس اليهودية. هذه هى يهودية ديلمور شوارتز ولكن الشيء البارز الذى أثار اهتمام أديبنا فى حياة اليهودى الأمريكى هو أنه يستخدم اللغة الانجليزية على نحو خاص. ويتضح لنا هذا الاهتمام اللغوى بجلاء من قصته «أمريكا أمريكا» America America التى تعالج صعود عائلة يهودية السلم الاجتماعى وطريقة استخدامها للغة الأمريكية. ونلاحظ فى هذه القصة أن مشاعر مؤلفها تتأرجح بين نقيضين هما الشعور بغربته عن عالم اليهود وشعور مضاد بأن عرى التلاحم التى تنفصم تربطه بهم فهو يشاركهم نفس الهواء الذى يتنفسونه والعصر الذى يعيشون فيه والعذاب الذى يكابدونه. وهكذا يجد المؤلف نفسه نهبا مقسما بين ثقافتين. ثقافته اليهودية المولود فيها وهى ثقافة موروثة ليس له أى يد فيها وثقافة أخرى فى اختياره هى ثقافة الحداثة الأثريرة إلى فكره ووجدانه . ويمكن القول إنه قبل يهوديته فى سلبية فى حين أنه بذل جهداً إيجابيا من أجل توسيع رقعة الثقافة الحديثة الوافدة عليه.

وتتميز قصص ديلمور شوارتز بقدرته على تصوير خصيصتين

يهوديتين يتصف بها اليهود المنتمون إلى الطبقة الوسطى. وهاتان الخصيصتان هما بيئة اليهودية نصف المتأقلمة مع الحياة الأمريكية وثقافة الجيل الثانى من اليهود الشبان المغترب عن المجتمع الأمريكى. وكما أسلفنا تعكس قصته التى ألفها عام ١٩٢٥ بعنوان «فى الأحلام تبدأ المسئوليات» إحساسه العميق بالاغتراب فى حين أن قصته «أمريكا أمريكا» تعكس التناقض أو التضاد فى موقف المثقف اليهودى المنتمى إلى الجيل الثانى من روابطه اليهودية وتأرجح هذا الجيل بين الانتماء ليهوديته وعدم الانتماء إليها . فضلا عن أن قصته «الطفل هو المعنى فى هذا الحياة» The Child is the Meaning of this life ترسم صورة بلا رتوش تنتقد عددا من أسرة المؤلف وعلى رأسها عمه. وهكذا يتضح لنا أن شوارتز استمد مادة أفضل قصصه من تجاربه الشخصية كشاب يهودى صغير السن. والجدير بالذكر أن قصته «العالم زفاف» The World is a wedding تتسم بالتهكم والسخرية وتحتوى على احساس عميق بالاغتراب . ولهذا اعتبر المثقفون المغتربون فى أمريكا ديلمور شوارتز لسان حالهم وممثلاً لهم فى ميدان الأدب. وقد ظل مؤلفنا يشعر بالضيق من اسمه الأول «ديلمور» ويشعر بالتناقض بين هذا الاسم الأنجلو ساكسونى واسم عائلته اليهودى القح شوارتز.



ولا ينبغي أن تغيب عن أذهاننا أهمية ديلمور شوارتز كشاعر إلى جانب أهميته كناثر فقد استطاع أن يقف في صدارة الشعر الأمريكي وهو لا يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره. ويلقى ديوانه المنشور إبان الحرب العالمية الثانية بعنوان «التكوين: الكتاب الأول» الضوء على حياة عائلته منذ أن كان جده يعيش في روسيا حتى هجرته إلى أمريكا حيث تلقى مؤلفنا حتى سن السابعة العلم في إحدى المدارس الإلزامية الأمريكية ، ونحن نرى الشاعر شوارتز في قصيدة بعنوان «القلب الذي يكرر» (١٩٣٨) The Re- petite Heart تستلهم أصله اليهودي بقدر ما تستلهم أساطير الأغريق. والقصيدة لا تشير كثيرا إلى يهوديته كطفل في حين أن تكثر من الاشارات إلى يهودية جده وأبويه . وعلى أية حال يذكر أدينا أن زملاء تلاميذ الحضانة، تكاثروا عليه وصاحوا في وجهه «يهودي.. يهودي» ولكنه استطاع في حياته اللاحقة أن يتجاوز هذه المضايقات الشخصية ليعبر عن الاغتراب الأمريكي كله وليس فقط الاغتراب اليهودي . والقصيدة مزيج من الشعر الحر والفقرات النثرية القصيرة . ويردد أبيات الشعر في هذه القصيدة كورس من الأشباح التي تعلق على الأحداث مثلما يفعل الكورس في الدراما الأغريقية ومثلما يفعل الشاعر والروائي الكبير توماس هاردي في قصيدته المعروفة «العائلات المالكة» The Dynasts.

ويشير النقاد إلى أن موهبة شوارتز الأدبية قد تخطت عنه وأن طاقاته الابداعية جفت ينابيعها في حياته اللاحقة. فبعد أن حمل مشعل الشعر في عقد الثلاثينات جف الهامه الفني بشكل واضح في عقد الخمسينات إلى أن توفاه الله عام ١٩٦٦ وهو في الثالثة والخمسين من عمره . وينسب الدارسون جفاف موهبته إلى انكفائه على ذاته واستغراقه منها إلى جانب الاهتزاز الذي أصاب عقله. ويذكر كاتب سيرة حياته جيمس أتلاس أنه رغم قلة إنتاجه المنشور فقد خلف وراءه بعد مماته عددا كبيرا غير منشور وغير مستكمل من المؤلفات: ورغم أن مؤلفاته الأدبية الباقية على مر الزمن قد تكون محدودة فإنه يعتبر بحق رائد «النهضة اليهودية» فقد فتح الطريق أمام الكتاب اليهود في أمريكا كي يحتلوا مركز الصدارة في الثقافة الأمريكية. وفي عام ١٩٥٠ نشرت مجلة «تعليق» مقالا افتتاحيا عنه وهو في ذروة مجده الأدبي يلقي الضوء على الدور المهم الذي اضطلع به في صياغة الثقافة الأمريكية. يقول المقال: «إن ديلمور شوارتز يعتبر أهم أديب يمثل جيل المثقفين اليهود في عقد الثلاثينات . فلا يوجد شاعر أو روائي آخر يتفوق عليه في رسم صورة الصراعات الداخلية التي ابتلى بها هذا الجيل ضد أمريكا وضد ذاته».

## إيزاك روزنفيلد

بالرغم من أن الأديب إيزاك روزنفيلد Isaac Rosenfeld لم يتمتع بنفس شهرة ديلمور شوارتز فإنه اضطلع بدور مهم في قيادة الأدب الأمريكي . لم يكن روزنفيلد أصلا من مدينة نيويورك التي لعبت دورا طليعيا في قيادة الأدب الأمريكي فقد جاء إليها في عام ١٩٤١ وهو في الثالثة والعشرين من عمره ، مما يؤكد أن الحداثة الأدبية التي جاءت على أيدي الأدباء اليهود بعد الحرب العالمية الثانية انبثقت من الحضر وليس من الريف الأمريكي . توفي روزنفيلد في وقت باكر لا يتجاوز الثامنة والثلاثين . وبمجرد وصوله إلى نيويورك باثر الأدباء بالاعتراف به ممثلا لجماعة المثقفين اليهود الشبان الذين ترعرعوا في مدينة نيويورك .

اتصف روزنفيلد بالجاذبية واعترف بجاذبيته صديقه الحميم الروائي اليهودي شاول بيلو على مدى خمسة وعشرين عاما كما اعترف بقدرته على التأثير فيمن حوله إذ كان يتمتع بقوة هائلة على التأثير في الناس . ويبدو أن انصرافه الى كتابة الافتتاحيات الصحفية منعه من تكريس كل وقته للكتابة الأدبية عن محنة البشر . جاء روزنفيلد الى نيويورك لأن جامعتها أعطته منحة علمية لدراسة الفلسفة وبعد مضي عام واحد في نيويورك تم تعيينه محررا لمجلة

«الجمهورية الجديدة» New Republic حيث بقى فى وظيفته لمدة سنة واحدة فقط . وفى عام ١٩٥٢ غادر مدينة نيويورك ليعيش فى قرية جرينتش ويؤلف القصص القصيرة ومراجعة الكتب . وقد ألف عام ١٩٤٦ روايته الناجحة «رحلة بعيدا عن البيت» Passage From Home . وبعد أن أمضى عامين فى التدريس بجامعة منيسوتا عاد إلى شيكاغو حيث توفى عام ١٩٥٦ . وبعد وفاته ظهرت فى الأسواق مختارات من مقالاته ومراجعاته للكتب تحت عنوان «عصر الفظائع» «١٩٦٢» Enormity An Age of ثم مجموعته القصصية «البداية والنهاية» «١٩٦٦» Alpha and Omega . . .

تميزت جميع مؤلفات روزنفيلد بتحليل مشاعر الإنسان وأنشطته الداخلية سواء كانت من النواحي الفكرية أو العاطفية أو الأخلاقية . ولم تكن هذه الأعمال تخلو من السخرية والفكاهة . ورغم أنه لم يلتجئ للدين اليهودى فإنه كان شديد الإدراك له والوعى به . وتنم قصصه القصيرة عن حساسية شبيهة بما يظهره أدب كافكا من حساسية . ولهذا لقبه الشاعر ديلمور شوارتز بكافكا أمريكا . وهو يشبه كافكا فى تعبيره عن محنة الإنسان الحديث فى عصر التصنيع . ويذكر شاول بيلو أنه لم يكن يفهم

السياسة بمعناها الضيق أى فى شكل أحداث جارية . ولكن هذا لم يمنع من أن تكون له توجهات سياسية بالمعنى العام والعريض ولا غرو فقد اضطرت ظروف الكساد العظيم الذى اجتاح العالم فى الثلاثينات أن يهتم بالسياسة ويتبنى الأفكار التروتسكية . غير أنه مالبث أن تخلص عنها . وقد ساهم الشتات الذى عانى منه الشعب اليهودى على مدار ألفى عام والإبادة الجماعية لليهود على أيدي النازيين وأحداث الحرب العالمية الثانية إلى اقتناعه باغتراب الإنسان الحديث وخاصة اغتراب اليهود .

عبر روزنفيلد - شأنه فى ذلك شأن شوارتز - عن احساسه العميق بالاغتراب فى المناظرة التى عقدت عام ١٩٤٤ تحت عنوان «دون سن الأربعين» . ويشير روزنفيلد فى هذه المناظرة الى شدة وعى اليهودى بيهوديته بسبب حزنه على وجود فروق عرقية ودينية تعزله عن الآخرين الأمر الذى يشكل صعوبة أمام الفنان اليهودى الذى يحس بأن الآخرين يطالبونه بتقديم تفسير ليهوديته . ولكنه يرى أن هناك ميزة يتحلى بها الكاتب اليهودى دون سواه وتتلخص هذه الميزة فى قدرته - بسبب وجوده الهامشى فى مجتمعات يهودية - أن يلاحظ الأشياء الخفية الخبيثة فى مثل هذه المجتمعات . وبالنظر إلى إحساس اليهودى العام فى كل أرجاء

العالم بانتفاء الأمان فى حياته نراه أقدر من غيره على ملاحظة مظاهر عدم الأمان فى شتى أنواع الأدب الحديث ، وهو ما تنبه اليه الكاتب آدمز فى كتابه عن العدم . ويعبر كارل ماركس عن هذا الإحساس الخاص بالاغتراب وعدم الأمان بقوله : «إن الإنتاج الرأسمالى يناصر العداء بعض جوانب الانتاج الفكرى مثل الفن والشعر» ، ويؤكد المثقفون اليهود أن الكاتب اليهودى - بحكم الغربة التى كابدها عبر التاريخ - أكثر تأهيلا من غيره فى التعبير عن هذه الغربة . بل انه يمكن اعتبار اليهودى رمزا للتفكك الذى أصاب الذات الإنسانية الحديثة فى المجتمعات الغربية . وبالنظر الى المعاناة التى يكابدها اليهودى من جراء غريبته فإنه يشارك المطحونين والضحايا معاناتهم . ويذهب روزنفيلد الى أن العذاب الذى تلظى بناره اليهود على أيدي جلدتهم النازيين يؤهلهم لاكتشاف بعض حقائق الحياة الأخلاقية التى عجزت البشرية جمعاء عن اكتشافها .

جسد روزنفيلد احساسه بالاغتراب فى روايته التى نشرها بعنوان «رحلة بعيدا عن البيت» . وتدور أحداثها حول غلام شديد الحساسية فى الرابعة عشرة من عمره يدعى برنارد ميلر - Ber-nard Miller وتصور هذه القصة شعور مؤلفها الجارف

بالاغتراب المتمثل فى عنوان القصة نفسها . كما أن القصة تعالج موضوع عقدة أوديب المتمثلة فى كراهية الابن لأبيه . ويغمر قلب الصبى احساس دفين بالغربة حتى عن أبيه الذى يعيش معه تحت سقف واحد . ولا يقتصر احساسه بالغربة على علاقته بوالده بل يمتد الى كل المحيطين به . حتى الشخصيات التى يشعر بالاغتراب عنها يعانى كل منها بالاغتراب عن الآخرين . ومعنى هذا أن اغتراب الإنسان الحديث اغتراب عام وشامل .

ابتعد روزنفيلد عن عالم السياسة ليقترّب من عالم الجنس الفرويدى . ويرجع إيمانه بأن الطاقة الكامنة فى الجنس والحركة للكون الى تأثره الواضح بأفكار ويلهلم راىخ Wilhelm Reich الذى رأى فى عدم تحقق الرغبة الجنسية تشويها للشخصية الإنسانية وجعلها شخصية غير سوية . ولهذا حذا مؤلفنا حذو ويلهلم راىخ فى المناداة بضرورة قيام علاقة حميمة وسوية بالجنس الآخر . ويرى روزنفيلد أن الحب هو الشئ الوحيد الذى يمكن الإنسان من التغلب على غريته فهو قادر عن طريق الحب والوجد الصوفى أن يتجاوز غريته . فضلا عن أن روزنفيلد لا يقصر الاغتراب على اليهودى فحسب بل يرى مثل شوارتز أن ظاهرة الاغتراب أشمل وأعم فى عصرنا الحديث . وينحى بعض النقاد

على أدب روزنفيلد الروائي باللائمة لانصرافه الى التحليل وعدم عنايته بالسرد القصصى نفسه . وقد أظهر روزنفيلد اهتماما بكتاب اليبديش الكلاسيكيين أمثال أ.د. بيرتز وشوليم ألتشيم فكتب عنهما . وتدل روايته «رحلة بعيدا عن البيت» على تأثره بالأفكار الصوفية المعروفة بالهاسيدية Hesidism . وأصابت هذه الرواية نجاحا كبيرا فأعيد نشرها عام ١٩٦١ . ويذهب النقاد الى أن روزنفيلد لا يتمتع بعقلية تحليلية فحسب بل بفكر عميق ليس له نظير في أدب شوارتز . ويضيف هؤلاء النقاد ان اغتراب كل من شوارتز وروزنفيلد اغتراب سياسى فى نهاية الأمر ليس بالمعنى الضيق ولكن بالمعنى الواسع لكلمة السياسة . فاغترابهما ترجع جذوره إلى حالة المجتمع الأمريكى . هذا الفهم للاغتراب من منطلق اجتماعى هو الذى دفع شوارتز الى الكتابة عن الحرب الأهلية فى قصيدة «لينكولن» Lincoln التى يقول فيها إن هذه الحرب انتهت بانتصار النظام الرأسمالى . ويتضمن المقال الذى كتبه روزنفيلد بعنوان «عصر الفظاعات» اصدار أحكام سياسية على المجتمع مثل القول إنه مجتمع مفترب وعار عن الإنسانية . ونحن نرى روزنفيلد يتورط فى التناقض عندما أسهم فى المناظرة التى عقدتها مجلة «تعليق» تحت عنوان «الكاتب اليهودى والتقليد



الأدبي الانجليزى» حيث يقول إنه يجب الحكم على عداء الكتاب العظام أمثال تشوسر وشكسبير ومارلو ضد اليهود من منظور الظروف التاريخية التى كتبوا فى ظلها لأن الأدب يعكس بالضرورة الظروف الاجتماعية والتاريخية التى نشأ فيها. ولكن روزنفيلد يتناقض مع نفسه عندما اعتبر عداء السامية عرضا من أعراض مرض نفسى جنسى أصاب المجتمع . غير أنه رأى على أية حال أن معاداة السامية التى نطالعتها فى كتب الأدب أقل فى خطرها من معاداة السامية التى تمارسها الحكومات والجيران . وليس من شك أن تأثره بعلم النفس الفرويدى وبأفكار ويلهلم راىخ بالذات حدا به الى اعتبار معاداة السامية نوعا من المرض النفسى .

وأىضا تحت تأثير علم النفس الفرويدى كتب روزنفيلد عام ١٩٤٩ مقالا بعنوان «آدم وحواء فى شارع ديلايسى» Adam and Eve on Delancey Street فى مجلة تعليق تناول فيه هذا المؤلف العلاقة الوثيقة التى رأى أنها تربط بين نوعية الأطعمة المحرمة شرعا من وجهة نظر الدين اليهودى والعجز عن ممارسة الجنس ممارسة طبيعية وسليمة وما يتركه مثل هذا الطعام من آثار وخيمة وضارة على المتدينين من اليهود . غير أن اللجنة اليهودية الأمريكية التى تولت الانفاق على مجلة «تعليق» استاعت من مثل هذه الآراء .

ورغم سياسة الحياد التي اتبعتها في إدارة المجلة فإنها أثرت التدخل فأرسل رئيسها جاكوب بلوشتين Jacob Blaustein خطابا الى المجلة في شهر نوفمبر ١٩٤٩ ينبهها الى أن مقال روزنفيلد المشار اليه أساء إلى مشاعر عدد كبير من اليهود ودفع المقال بأنه يجافى الذوق السليم ويسىء استخدام الحرية التي توفرها المجلة لكتابتها . وعبر بلوشتين عن أمله في عدم تكرار مثل هذه الاساءات في المستقبل .

وبوجه عام تتم معظم قصص روزنفيلد عن تأثيره الواضح بالروائي اليهودي كافكا . وإذا كانت روايته «الرحلة بعيدا عن البيت» تفتقر الى روح الدعابة فإننا نلاحظ كثرة ورود هذه الدعابة في اثنين من أفضل قصصه هما «اليد التي أطعمتني» ١٩٥٢ The Hand THAT Fed Me و«الملك سليمان» ١٩٥٦ Solomon King . وتتكون القصة الأولى من سلسلة خطابات سطرها رجل يدعى جوزيف فيجنباوم Joseph Feigenbaum في ليلة الكريسماس عام ١٩٤٢ الى فتاة غير يهودية كان قد تعرف بها عام ١٩٢٩ في فترة بحثهما معا عن عمل . وفي الحال وقع فيجنباوم في غرام هذه الفتاة ولكنها رفضت اللقاء به والاستجابة إليه فيضطر العاشق الولهان إلى التعبير عن حبه من جانب واحد دون أن يتلقى من

حبيبته أى رد . ولا غرو اذا رأيناه يعانى من الوحدة والاغتراب والحب بلا أمل . وتشير قصة «الملك سليمان» الى ما يعانى منه هذا الملك من اغتراب يعيد الى الأذهان اغتراب المؤلف . حتى ملكة سبأ التى كان الجمال يتوجها عجزت عن أن تثير اهتمامه بها أو رغبته فيها .

ونحن أيضا نطالع موضوع الاغتراب فيما كتبه روزنفيلد من نقد أدبى . وتتضمن كتاباته النقدية مقالا معروفا سطره عام ١٩٥٢ وناقش فيه رواية من تأليف كاهان Cahan بعنوان صعود دافيد ليفنسكى The Rise of David Levinsky . ويخلص روزنفيلد فى هذا المقال إلى أن ليفنسكى يمثل الأمريكى الذى ينشد النجاح وتحقيق الثراء ولكنه يشعر رغم تحقيقهما بأنه يعيش وحيدا وغريبا مثل المليونير الأمريكى الذى تعجز ملايينه عن ملء حياته وتبديد فراغه . يقول كاهان فى نهاية روايته ان الأمريكى ينظر الى النجاح على أنه إله قادر على كل شىء . ويذهب روزنفيلد الى أن مشكلة ليفنسكى أعوص من مجرد اصابة الثراء فهو فى رأيه يتأرجح بين نازعين لا يستطيع التخلص منهما هما الرغبة فى الثراء والرغبة فى العلم . وهونهم الى كليهما فلا المال وحده أو العلم وحده يكفيه . والرأى عند مؤلفنا أن هذا الظمأ الدائم هو

السمة التي تميز اليهودى عن غير اليهودى الأمر الذى يملأ قلب ليفنسكى بالاغتراب والوحدة ، ويعتقد روزنفيلد أن قصة ليفنسكى القادر على تحقيق النجاح هى قصة كل الأمريكان واليهود . ومن المؤكد أن روزنفيلد يفوق زميله شوارتز فى قدرته على دمج الخصائص الأمريكية بالخصائص اليهودية . ويدل المقال الذى كتبه عام ١٩٤٩ بعنوان «معنى الرعب» The Meaning of Terror على عمق تأثره بالهولوكست اى إبادة النازية الجماعية لليهود . ولهذا نراه فى نقده لكتاب «الرماد والنار» Ashes and Fire الذى ألفه جاكوب بات Jacobs Pat عام ١٩٤٨ يتساءل كيف سمح الغرب بوقوع أحداث الهولوكست البشعة . ويرى روزنفيلد أن ثمة علاقة تربط بين الهولوكست وانهيار الأخلاق واستخدام القنبلة الذرية وفضاعات المعسكرات السوفييتية . ورغم أن الأجل لم يمهل أديبنا لتطوير إنتاجه وخلف كتابات باقية على مر الزمن «فقد مات وهو فى الثامنة والثلاثين من عمره» فإنه الى جانب شوارتز يعتبران رائدين من رواد التقريب بين الأدب اليهودى والثقافة الأمريكية.

## ٥ - شاول بيلو

كتب شاول بيلو فى عقد الخمسينات يحتج على الذين يعتبرون اليهود كما مهملا بقوله : « لا أستطيع الموافقة على رأى الكتاب المحدثين الذين يخبروننا أننا لا شىء . صحيح أننا فى واقع الأمر لسنا كما كان يحلو للعصر الذهبى مزهوا أن يصورنا به . ولكننا نمثل شيئا . وبالرغم مما تعرض له اليهود من عمليات إبادة جماعية فى فترة الحرب العالمية الثانية فقد ظل يحتفظ بتأكيد اليهود على أهمية الحياة . وليس هناك ما يدل على إيمان بيلو بالدين اليهودى ولكن هناك ما يدل على إيمانه على نحو ما بوجود إله يتجاوز الكون المادى . فضلا عن أن بيلو يتمتع أكثر من غيره من الكتاب اليهود ببصيرة نافذة وفهم عميق للقيم الثقافية اليهودية . كما أنه جمع بطريقة نادرة بين الحساسية الفنية والموهبة اللغوية والثقافة الحقة .

ولكن عقد الستينات شاهد تغييرا فى مواقف بيلو الفكرية . فمع اقتراب نهاية الستينات ومجىء عقد السبعينات سادت المثقفين نزعة الاتجار بالفن وانتشر الفقراء المطحونون السود العاطلون عن العمل وزادت معدلات الجريمة الأمر الذى ترك بصماته على إنتاج بيلو الأدبى وأثر فيه . وظهرت أولى دلائل التغير فى روايته «كوكب

مستر ساملر» ١٩٧٠ Mr. Sammler's Planet و «عميد شهر ديسمبر» ١٩٨٢ The Deam's December فقد اختفت في هاتين الروايتين عنوية الحياة ونكهتها اللطيفة . وبدا من الواضح أن بيلو أخذ يشعر بمدى عمق ما فى هذا العالم من شر . ولهذا ضعفت فى أعماله اللاحقة نفمة تأكيده القوى للحياة التى ميزت أعماله الباكرة وخاصة تعبيره عن التأكيد اليهودى التقليدى لقيمة الحياة ليحل محله ما يشبه اليأس من مستقبل البشرية . والجدير بالذكر أن بيلو أنتج ما لا يقل عن سبع روايات تستبشر خيرا للحياة قبل أن يدب اليأس الى قلبه .

ورغم أن بيلو أعلن فى كتاباته الباكرة أنه لا ينتمى الى كتاب العدم والاغتراب المحدثين فإن ثمة صلة ربطت بينه وبينهم . فقد ربطته الصداقة بكاتبى الاغتراب شوارتز وروزنفيلد اللذين توقفوا عن الانتاج الأدبى فى عقد الخمسينات اذ أصيب شوارتز بمرض عقلى وتوفى روزنفيلد فى باكورة عمره . وكما اسلفنا كانت الصداقة التى تربط بين بيلو وروزنفيلد بالذات صداقة حميمة دامت مدة خمسة وعشرين عاما تاركة أثرها فى شخصية بيلو وكتاباته . يقول بيلو فى هذا الشأن: «فى الغالب الأعم حنوت حنوه فى بعض معتقداته الغريبة بسبب حبى له وعدم رغبتى فى أن أفقد صلتى به

، وعندما ترك بيلو شيكاغو ليعيش في نيويورك في فترة الخمسينات توطدت علاقته بشوارتز . وفي عام ١٩٥٢ باشر التدريس لمدة عام في جامعة برنستون الأمريكية كمساعد لشوارتز . ويلقى بيلو في روايته «هدية همبولدت» Humboldt's Gift ١٩٧٥ - التي تتحرى في كثير من جوانبها وجه الدقة التاريخية - الضوء على الصداقة التي ربطت بين الرجلين ، وبطبيعة الحال أسهمت هذه الرواية في تخليد اسم شوارتز .

والجدير بالذكر أن الاغتراب موجود في أدب بيلو رغم نبذه له واحتضانه للحياة والاقبال عليها . وتدور رواية «هدية همبولدت» حول فحص طبيعة الملل الذي تصطلى الإنسانية بعذابه ويقوم المؤلف بتطبيقه على ما يعرف بالاغتراب في الأزمنة الحديثة . ويرد بيلو هذا الاغتراب الى استغلال النظام الرأسمالى لعرق العمال وكدحهم وإلى اندثار المعتقدات الدينية والزيادة فى العقلانية فى المجتمع التكنولوجى . ولا غرو اذا رأينا روايات بيلو تعالج موضوع الاغتراب ولكن مع فرق واحد هو أن الشخصيات الروائية عنده تقاوم هذا الاغتراب ولا تستسلم له بل تسعى الى الانتصار عليه فى حين أن الشخصيات الروائية عند معاصريه تقع فريسة هذا الاغتراب وتسمح له بالسيطرة عليها .

إن بيلو الذى رفض الاستسلام للاغتراب لم يخامره أدنى شك فى هويته اليهودية . وقد ذكر هذا صراحة فى اجتماع عام عقد عام ١٩٧٠ فى تل أبيب بإسرائيل . قال بيلو بالحرف الواحد «إننى لم أشعر بالانزعاج ولو للحظة واحدة حول هويتى ، فقد كنت أعرف على الدوام هويتى » . وهو قول تسانده جميع رواياته باستثناء روايتين هما «هندرسون ملك المطر» ١٩٥٩ Henderson The Rain King و«شهر ديسمبر» ١٩٨٢ . فجميع رواياته منغمسة فى بيئة يهودية علمانية يقبلها المؤلف على علاتها . غير أنه كفنان يستمد مادته الروائية من تجاربه الشخصية التى تشكل اليهودية عنصرا جوهريا فيها ولكن فى اطار أمريكى أوسع وأشمل .

ورغم أن بيلو ولد عام ١٩١٥ بالقرب من مونتريال فى كندا فقد أحضره والده الى شيكاغو وهو صبى فى التاسعة من عمره حيث تلقى العلم فى مدارسها وجامعتها ، وفى منتصف الستينات عاد اليها بعد أن أمضى بعض السنوات فى كل من نيويورك وباريس . وليس من شك أن يهوديته شكلت شخصيته ووجدانه من الألف الى الياء وأنه ضمنها فى أدبه الروائى الذى ينضج بالغربة ولكن يسعى فى الوقت نفسه الى تجاوزها والتغلب عليها .



ويؤكد لنا الناقد ابراهام تشابمان هذا المعنى عندما يناقش أدب بيلو قائلا : «تبدو كثير من الكلمات المتكررة في أعمال بيلو - وهي الضيق والوجيع وخيبة الأمل والكفاح المرير وكأنها تبحث عن المقابل الصحيح باللغة الانجليزية عن كلمة اليبديش المناظرة لها . ويستحدث بيلو - بوصفه كاتباً يهودياً - أمريكياً - في فترة ما بعد الحرب الثانية رؤية للحياة تشتمل على التراث اليهودي والتجربة التاريخية الطويلة مع العذاب والاحتقار والرفض وترويض الروح لمجابهة العذاب والضيق الملازمين للوجود الإنساني وأيضاً التعايش معهما وتجاوزهما .

لقد تشبع بيلو بعيشة اليهود الأمريكان في الحضر واستطاع عن طريق هذه البنية الحضرية استحداث لغة مثقفة ومتميزة اتسمت بأسلوب لغوي جديد بعيد عن التوتر وعدم التواءم . وتعتبر لغة اليبديتش أحد مكونات هذا الأسلوب المتميز . ويشرح ارفنج هاو شدة تأثير هذا الأسلوب بلغة اليبديش فيقول إنه لا يستعير من هذه اللغة بعض ألفاظها ولكنه يستعير منها النبرة والايقاع . ويضيف هاو إن بيلو أوضح في تأثره بلغة اليبديش من الكتاب اليهود الأمريكان الآخرين حيث إن لغته تحمل نفس ما تتسم به لغة اليبديش من ايماءات ساخرة وقبح حميم الى جانب ذلك المزيج

الغريب من العواطف المتدفقة على نحو رخيص ومبتذل وتلك القتامة التي يتميز بها أسلوب اليبديش في التحادث الأمر الذي مكن بيلو من استحداث تحول ثقافي ولفوي نابض بالحياة في اللغة الانجليزية . ويذهب كثير من النقاد الى أن روايته «هيرزوج» Herzog هي أكثر أعماله تأثيرا بلغة اليبديش فهي تحتوى على عبارات بأكملها مأخوذة عن هذه اللغة الأمر الذي يرى هؤلاء النقاد أنه يضيف نكهة خاصة أو مذاقا خاصا الى اللغة الانجليزية التي زاد من ثرائها ادخال هذه العبارات فيها .

ورغم أن بيلو يعرب عن ضيقه بتسميته بالكاتب اليهودى الأمريكى لأنها تسمية غير دقيقة فقد اضطر الى الاعتراف بأن الكاتب اليهودى شىء مختلف عن سائر الكتاب الآخرين . وجاء ذلك الاعتراف فى الخطاب الذى ألقاه عام ١٩٦٨ بمناسبة حصوله على جائزة التراث اليهودى . والجدير بالذكر أن الناقد اليهودى ماير ليفين Mayer Levin انتقده لخلقه أبطالاً يهودا يعانون من الاغتراب الكامل كما أنه اتهمه بكتابة روايات تدعو الى ضرورة استيعاب اليهود للثقافة الأمريكية . ومضى ليفين فى اتهاماته يقول إن بيلو لا يسجل فى أدبه الروائى أى رد فعل من جانبه ضد الهولوكست وأنه يتحاشى أن يتبع ما للهولوكست من أثر مدمر فى

نفسية اليهودى الحساسة . ونحن نرى فى الخطاب الذى ألقاه بيلو عام ١٩٧٦ بمناسبة حصوله على جائزة نوبل للأدب يعترف بأنه لم يلتفت فى بادئ الأمر الى فظاعة الهولوكست وأنه يخجل من نفسه ويشعر بالعار لأن تنبئه الى بشاعات الهولوكست جاء متأخراً .

ولكن هذا الادراك المتأخر لقطاعات الهولوكست لا يعنى بحال من الاحوال أن بيلو لم يكن كاتباً يهودياً . وليس أدل على يهوديته من أنه قال أمام مستمعيه من الإسرائيليين إنه الكاتب اليهودى الأمريكى الوحيد الذى يعرف لغة اليديش باستثناء ماير ليقتن الذى ينتمى الى جيل أكبر منه سناً . يقول بيلو إن كتاب اليديش تركوا أعمق الأثر فى صباه ولكنه يعترف بأن تأثيره بكاتب اليديش جيمس فينيمور كوبر James Fenimore Cooper أكثر من تأثيره بالكاتب شوليم أليتسيم . وحفره اتقانه للغة اليديش وتأثره بأدبها الى قيامه بترجمة انجليزية للرواية التى ألفها ايزاك باشيفس سنجر Isaac Bashevis Singer بعنوان «جبل المغفل» ثم قام بنشرها عام ١٩٥٢ فى مجلة البارتيزان ريفيو . وكانت هذه الترجمة الانجليزية سبباً فى اهتمام الكثيرين بأدب سنجر . وفى الستينات نشر بيلو مجموعة قصصية مترجمة الى الانجليزية من اللغات العبرية والألمانية والروسية تتضمن مقدمة تعالج القصة

اليهودية . وفى عام ١٩٧١ صرح بيلو : «لم أكن صهيونيا فى أى يوم من الأيام » ولكن مثل هذه التصريح لا ينقى يهوديته أو يقلل منها .

زار شأؤول بيلو اسرائيل عدة مرات . وعند نشوب حرب ١٩٦٧ شعر بضرورة الذهاب الى اسرائيل حيث أرسلته جريدة «نيوزداى» Newsday كمراسل حربي . ثم زار فى نفس هذا العام اسرائيل للمرة الثانية . ونشر عقب هذه الزيارة كتابه «الى القدس والعودة منها» ١٩٧٦ . To Jerusalem and Back . ويتضمن هذا الكتاب أفكاره عن الكتاب والمثقفين اليهود الذين التقى بهم فى اسرائيل . غير أن هذا الكتاب لا يشير بالمرّة الى التقائه بأى من المثقفين أو الكتاب العرب . وتدل لغة الكتاب على شدة قلقه على مستقبل اسرائيل وشعب اسرائيل .

وتعبر أولى روايات بيلو وهى بعنوان «الرجل المتدلى» ١٩٤٤ Dangling Man عن توجهه الروائى والرواية مكتوبة على شكل يهيميات تبدأ من ١٥ ديسمبر ١٩٤٢ حتى ٨ ابريل ١٩٤٢ وتدور أحداثها حول شاب اسمه جوزيف ينتظر انخراطه فى الجيش . ويصرح المؤلف منذ بداية روايته أنه تخلص عن أسلوب همنجواى الذى ساد السرد الروائى آنذاك مما يشير الى أن الرواية

الأمريكية أخذت في الابتعاد عن طريقة همنجواي . فضلا عن أن جوزيف أعلن نبذه "كاراثرية" من الحزب الشيوعي واشمئزازه من تحمسه السابق له . يقول جوزيف عن تخليه عن الماركسية : «لقد غيرت فحري حول إعادة تشكيل العالم من القمة الى السفح على طريقة كارل ماركس» .. ويمثل نخليه عن الفكر الراديكالي موقف جيل بأكمله من المثقفين اليهود الأمريكان في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية فقد نبذ هذا الجيل أحلامه بشأن اقامة مدينة فاضلة واكتفى بمرارة الغربة وانتفاء اليقين . ويشير الدارسون الى شدة تأثر رواية «الرجل المتسدلي» برواية دستيوفسكى الشهيرة «مذكرات من العالم السفلي» Notes From the Underground التي تعبر بقوة عن فكرة الاغتراب والاقتلاع من الجذور . ولكن رواية بيلو تختلف عن رواية ديستيوفسكى في إنها على عكس الرواية الروسية ترفض القنوع بالاغتراب بل إنها تسعى الى قهره ، والتغلب عليه . وتنتهى رواية بيلو بدخول جوزيف الجيش وخضوعه للأوامر العسكرية التي يقبلها عن طيب خاطر لأن النظام الصارم الذى يفرضه الجيش عليه يعفيه من النضال ضد احساسه بالاغتراب . والجدير بالذكر أن بيلو لم يظهر أية ايجابية أو حماس لحرب الحلفاء ضد النازية التى اجتثت اليهود

وأبادتهم . وتنتهى رواية «الرجل المتدلى» برفض الاغتراب وعدم الاستسلام له وقبول جوزيف التخلي عن حريته الشخصية نتيجة انضمامه الى صفوف الجيش . ومن الواضح أن جوزيف شخصية يهودية شأنها فى ذلك شأن الكثيرين من شخصيات هذه الرواية ، ولكن المؤلف لا يذكر هذا بصراحة .

وتدور رواية بيلو التالية «الضحية» ١٩٤٧ The Victim فى ظاهرها على معاداة السامية . ولكنها فى حقيقة الأمر تعالج الغموض والتعقيد الذى يكتنف مسئولية الفرد عن سلوكه وتصرفاته . فالمؤلف يطرح سؤالاً شائكاً حول هذه المسئولية ويتساءل من الضحية : اليهودى المجنى عليه فى حوادث معاداة السامية أم الجانى نفسه الذى يمارس الفظائع العنصرية ؟ ويبدو أن بيلو يعتبر كلا المجنى عليه والجانى ضحية . وهكذا يعرض المؤلف مشكلة معاداة السامية من منطلق التعقيدات الأخلاقية والنفسية .

وتدور رواية «الضحية» حول محرر فى جريدة تجارية اسمه أسا ليفنثال Asa Leventhal بدعوة صاحب الجريدة الى احتفال مقام فى بيته حيث نجد نفراً من اليهود ينشدون أغانى البالاد القديمة . ولا يروق هذا فى عين سكران اسمه ألبى Albee فيقاطع غناهم . ويحتج بقوله أنه لا يليق بهؤلاء اليهود أن يرددوا مثل هذه

الأغنيات التي لم يتشربوها منذ ولادتهم . وهي اشارة واضحة إلى أن اليهود غرباء عن هذه الأغنيات ، وتحاول زوجة الرجل السكران تهوين الأمر على المنشدين اليهود وناشدتهم ألا يلتفتوا إليه وأن يستمروا في الغناء . وبالفعل استجاب المنشدون اليهود الى طلبها غير أن زوجها عاد إلى مقاطعتهم وطلب اليهم بوصفهم يهودا أن ينشدوا مزمورا من العهد القديم ، أو يغنوا أغنية يهودية يمكن لجوارحهم أن تحس بها الأمر الذي أخرج كل الحاضرين . واغتاظ المحرر الصحفي ليقنثال لهذا الوضع واستاء للاهانة التي لحقت بأصدقائه من اليهود فيعمد فيما يبدو الى الانتقام من السكران الموقع . ويطلب هذا الرجل من هذا السكران أن يعرفه برئيسه في العمل وهو صاحب دار نشر لا يقل في صلفه ووقاحته عن مرفوسه . ويكيل ليقنثال الاهانات للناسر الذي يقوم بطرده من مكتبه ثم يطرد مرفوسه من العمل . ولكن المؤلف يتروك قارئه في حيرة ولبلة فهو يصور ليقنثال على أنه لا يعرف على وجه اليقين اذا كان بالفعل مسئولولا عن طرد ألبى من عمله . وتطرح الرواية هذا التساؤل المعقد من الجاني ومن الضحية . هل الجاني هو ألبى المعادي للسامية أم أنه ليقنثال الذي أراد الانتقام بسبب اهانتة للمغنين اليهود ؟

أصاب بيلو قدرا كبيرا من الشهرة بفضل روايتيه الأوليين «الرجل المتدلى» و«الضحية» وأثبتت هاتان الروايتان اتقان مؤلفهما لحرفته وعمق تفكيره الى جانب استخدامهما الكثيف والدقيق للغة الانجليزية الأمر الذى يذكرنا باستخدام الروائى فلويرت للغة الفرنسية . وعندما بدا يتلو حياته الأدبية كانت الفكرة القائلة بعجز اليهود عن استيعاب اللغة الانجليزية والأدب الانجليزى سائدة بين الناس . يقول بيلو فى حديث له «أوضحوا لى بجلاء عندما كنت أدرس فى الجامعة أنه يحتمل أنه لن يكون بمقدورى أن أحس احساسا سليما بالتقاليد الأدبية الانجلو ساكسونية وبالكلمات الانجليزية بسبب كونى يهوديا وابنا لعائلة يهودية روسية» . ولهذا نراه يسعى جاهدا فى روايتيه الأوليين الى التحرر من هذا التحيز . وما أن أكدت روايتاه الأوليان موهبته الأدبية حتى تمكن من التخلص من اقتفاء أسلوب الروائى فلويرت فى الكتابة .

وأدى تحرره من أسلوب فلويرت الى تأليف رواية ثالثة عام ١٩٥٢ بعنوان «مغامرات أوجى مارش» The Adventures Of Augie March التى فازت بالجائزة القومية للكتاب والتى تسببت فى ذبوع صيت مؤلفها . وبهذه الرواية استحدث شافول بيلو لنفسه أسلوبا جديدا من نوعه يجمع بين الديموطيقية ولغة البيديش واللغة الانجليزية البديعة . والرواية تنتمى إلى الجنس الأدبى المعروف



برواية المغامرة والشطارة The Picaresque Novel وهي تصف بالتفصيل الدقيق أماكن وتجارب إنسانية متنوعة يمر بها بطلها باعتباره ابن عائلة مهاجرة . ورأى بيلو أن أسلوب فلوبييرت وما يفرضه عليه من قيود عاجز عن التعبير عن مثل هذه الأماكن والتجارب . ويستمد بيلو الجزء الأول من هذه الرواية من تجاربه وهو يعيش في بيئة يهودية في شيكاغو . وإلى جانب استخدام هذه الرواية المتكرر للغة البيديش نراها تصف العادات والتقاليد اليهودية على نحو واقعي وليس من باب الحنين إلى الماضي . والرواية تزخر بالشخصيات والعائلات اليهودية . وتتجلى السمات اليهودية في شخصية أوجة وموقفها من الحياة أكثر مما تتجلى في غيرها من الشخصيات .

والملاحظ أن أدب بيلو الروائي ينصرف إلى البحث عن المعنى الإيجابي الكامن في الحياة . ولكن هذا البحث الدائب لا يعنى بالضرورة أن الشخصيات الروائية عثرت عليه ، ورغم يقينها من أنه موجود فليس هناك ما يؤكد أن هذه الشخصيات وجدت المفتاح للقيمة النهائية للحياة التي لا تكف عن البحث عنها . صحيح إن بيلو عاش في عصر فرض عليه وعلى شخصياته الروائية الاغتراب، ولكنه لا ينفك يسعى كما أسلفنا على محق هذا

الاغتراب والتغلب عليه . وهو يحقر كل من يقبل على نفسه الاستسلام له . وشخصية أوجى خير دليل على ذلك . فبالرغم من التنوع المحير والغريب فى أعمال أبطاله وفى خبراتهم وتجاربهم فإنهم يرفضون الالتزام بأى شىء سوى بحثهم الدائب عن القيمة الإيجابية فى الحياة أو ما يسميه المؤلف «خطوط الحياة المحورية» . صحيح أن أوجى لا يعثر على خطوط الحياة المحورية هذه، ولكنه على أقل تقدير يعرف الشىء الذى يبحث عنه .

ونحن نراه فى وقت لاحق فى مغامراته يعترف بأنه يحس بوجود «خطوط الحياة المحورية» التى يركز عليها الوجود الإنسانى . ويتلخص هذا الاحساس فى البحث عن قيم الحقيقة والحب والسلام والكرم والفائدة والانسجام ، فمثل هذه القيم هى التى تعطى للحياة الانسانية معنى، فحيث توجد خطوط الحياة المحورية يتبلور وجود الانسان ويعيش فى فرح حقيقى.. حتى آلامه سوف تتحول إلى فرح طالما أنها آلام صادقة، وفى هذه الحالة سوف يعجز يأسه عن انتزاع قوته. ومهما ابتعد عن نفسه واغترب عنها فلن يضيع منها أو يتوه فى زحمة الغربة.

وإذا أصابته خيبة الأمل فلن تقتل الحب فيه ، وهكذا يصبح الهدف من وراء الحياة السعى إلى العثور على مرفأ يبعث على

الدفء والطمأنينة وسط لطمات الحياة وإحن الواقع الذى لا مفر منه وليس السعى الى تحقيق طوييات . ويجرى هذا البحث وفقا لطبيعة كل انسان حتى يتمكن من تحقيق الانسجام والتواءم مع خطوط الحياة المحورية. والاخوة الانسانية هي احدى مظاهر البحث عن هذا التواءم والانسجام، وهو ما نجده فى روايته التالية «امسك بزمام اليوم» (٩٥٦) Seige the Day التى يعتبرها بعض النقاد أبداع ما سطره قلمه. وتطور احداث هذه الرواية حول شخص اسمه تومى ويلهلم Tommy Wilhelm كتب عليه الفشل والاختفاق فى كل ما يقوم به من افعال ويضطلع به من علاقات شخصية، ونحن نراه يعيش بمفرده فى احد فنادق «نيويورك» بعد انفصاله عن زوجته وطفليه، حتى ابوه وهو جراح ثرى متقاعد يعامله بدون رحمة ويزدرية ويرفض تقديم العون له وانتشاله من ورطته المالية . ويكابد تومى الغربية من جراء ذلك وهى غربة ترجع اساسا الى سوء تقديره وحكمه على الاشياء وايضا إلى المعايير الزائفة التى تنتهجها المجتمعات الحديثة . ويقع تومى الغلبان والمغلوب على أمره فريسه خداع محلل نفسى دعى اسمه الدكتور تاىكن يستولى على كل ما يمتلك فى هذه الدنيا من متاع قليل، ورغم ان تومى يكتشف انه ضحية هذا

النصاب فإن هذا النصاب لقنه درسا بالغ الأهمية مفاده انه يتعين على الانسان ان يعيش الحياة لحظة بلحظة . يقول هذا المحلل النفسى : «اننى اسعى إلى جعل الناس يعيشون الحاضر فى هذه الدنيا ويتشبهون باللحظة الراهنة». وتنطوى هذه النصيحة على احتضان الحياة ورفض الزواج من العذاب على حد تعبيره. وفى ذروة بؤسه وعذابه يدخل تومى الكنيسة ليحضر جنازة أحد المتوفين ، وعندما يبدأ صوت الأرغن يجلجل تقوص موسيقاه فى قلب تومى الذى يجهد بالبكاء بحرق شديدة . وتتلخص أهمية هذه التجربة فى انها اقامت جسرا يصل بينه وبين الآخرين ، الامر الذى أزاح الاغتراب عن كاهله وجعله يحس بالتوحد مع الآخرين. ويشعر تومى بنفسه تتطهر كما ان هذه التجربة تعمق فيه احساسه بضرورة تأكيد الحياة . واللافت للنظر فى هذه الرواية أن معظم شخصياتها من اليهود الذين يتحركون فى بيئة يهودية من الطبقة العليا، ولكن هذا الجو اليهودى ليست له أية دلالات جوهرية أو محورية فهو مجرد أحد معطيات الرواية لا أكثر ولا اقل مما يدل على أن بيلو لم يكن فى أى يوم من الايام سجين يهوديته . فلو غرو إذا رأينا ان روايته التالية «مدرسون ملك المطر» تخلو

تماما من اليهود . ورغم ذلك فإن الرواية تنضح بالفكرة السائدة بين المثقفين اليهود الامريكان آنذاك والمتمثلة فى ضرورة تأكيد الحياة . فضلا عن ان هذه الرواية تنتهى بسحق الاغتراب والانتصار عليه . فالرواية تحكى لنا قصة ثرى يهجر زوجته وأولاده ويرحل الى افريقيا ليعيش بين قبائلها ويدرس ظروفها الانثروبولوجية. ولكن هذا الرجل يتغير فى نهاية الرواية وتدفعه السمة اليهودية الخاصة بتأكيد الحياة إلى العودة إلى أسرته التى سبق ان تخلى عنها.

وإذا كانت رواية «هندرسون ملك المطر» تفتقر إلى الشخصيات اليهودية فإن روايته التالية «هيرزوج» تزخر بالعناصر اليهودية لدرجة أن الناقد ملتون هندوس Milton Hindus يصفها بأنها أكثر أعماله الروائية يهودية. فضلا عن أن كثيرا من النقاد يرون أنها أفضل ما أنتجه يراع بيلو من أدب روائى على الإطلاق. صحيح انها رواية يهودية ولكن يهوديتها لا تحول دون تلقائيتها ، والرواية إلى جانب هذا تحتوى على قدر هائل من الفكر والثقافة مما جعل بعض النقاد يصفونها بأنها «وليمة ساحرة وخلاصة تقدم إلى العقل» ويشبهونها برواية ميدل

مارش Middlemarch للروائية الانجليزية المعروفة جورج اليوت  
ن عاشت فى القرن التاسع عشر.

ويتمثل أهم وانجح تجديد تكتيكى استحدثه بيلو فى رواية  
«هيرزوج» فى طريقته فى استخدام الرسائل التى يكتبها كاتبها  
ويحتفظ بها دون أن يرسلها إلى المرسل إليهم ودمج هذه الرسائل  
فى متن الرواية . وتقليد كتابة الرسائل فى الرواية الانجليزية قديم  
وراسخ ولكن الجديد أن الرسائل عند بيلو لا ترسل أصلا إلى  
المرسل إليهم . وبطبيعة الحال مكنت هذه الرسائل الشخصيات  
الروائية من التعبير عن افكارها مثل قول احدي هذه الشخصيات  
أن ممرضة تحمل قصرية بول وبراز للمرضى تقدم خدمة إلى  
الناس تفوق خدمة الحزب الشيوعى لهم وعلى أية حال أستطاعت  
هذه الشخصيات الروائية عن طريق الرسائل غير المرسلة مخاطبة  
عظماء المفكرين فى الحاضر والماضى كما مكنت المؤلف من صهر  
الأفكار فى بوتقة الحياة اليومية فى وحدة عضوية.

وتشبه شخصية هيرزوج بقية شخصيات شاول بيلو الباكورة  
من حيث أنها تبدأ باليأس ثم تنتهى بالهدوء والصفاء وقبول  
الحياة. وهيرزوج أستاذ اللغة والأدب الانجليزى تهجره زوجته

وتطلب منه الطلاق لتتزوج بأعز أصدقائه . وفى بحثه عن هدوء النفس وصفائها وقبول الحياة على علاتها نراه يسترجع الماضى ويعايشه من جديد منذ أن كان صبياً وإبناً لعائلة مهاجرة يكثر من استخدام اللغة العبرية أو اليبديش فضلاً عن انه مزواج ومطلق إلخ.. و«هيرزوج» يؤمن بالله ولكنه لا يعترف بذلك أمام الناس. وهو يتساعل عما اصاب ركائز الحضارة الدينية من تفتت ويعرض لما يكابده المثقفون من شعور بالاغتراب ولكنه فى نهاية الأمر يتغلب على إحساسه بالغربة والعدم، ومن الواضح انه يرفض اية حلول اجتماعية للمشاكل الانسانية مثل الايمان بالاشتراكية كحل لهذه المشاكل ، بل هو يريد حل هذه المشاكل عن طريق السلوك الفردى.

قلنا ان شاول بيلونبذ إيمانه الباكر بالافكار الماركسية وانه كفر بكل من الشيوعية والاشتراكية ولم يعد يؤمن بأية حلول جماعية للمجتمع بل آمن بأهمية السلوك الفردى . وأيضاً كفر بيلو بإقامة يوتوبيا على الأرض ، وأثر ان تجيء تصرفات الانسان من منطلق الواقع والحدود المتاحة فلا يبدد طاقاته فى الاوهام والمثاليات الجوفاء، ولا يعنى هذا ان بيلو دعا إلى الرضا باليأس بالنفس، ولكنه أراد مجابهة العدم من أجل التغلب عليه.

وهو مايتناوله المؤلف فى روايته التالية: «كوكب المستر ساملر (١٩٧٠)».

ولا يجد القارئ اكثر من «كوكب المستر ساملر» تأكيداً لقيمة الحياة واستمساكاً بها، فبطل هذه الرواية آرثر ساملر نجا بأعجوبة من الهولوكست النازى . عمل ساملر مراسلاً صحفياً فى لندن لجريدة صادرة فى بولندا. ويمضى الوقت تطبع هذا الرجل بطباع الانجليز وعاداتهم، وقبل نشوب الحرب العالمية الثانية مباشرة يقوم بزيارة إلى بلده بولندا برفقة زوجته فيقع فى أسر الجيش النازى الذى اجتاح بولندا. ويقوم النازيون بتطويق عدد كبير من اليهود ويصدرون إليهم الأمر بتعرية اجسادهم وحفر خندق حتى يكون مقبرتهم التى يدفنون فيها بعد اطلاق النازيين النار عليهم . ولكن ساملر ينجو من الموت، بأعجوبة ويزحف على بطنه بين جيف اليهود . والعجيب انه يفقد ايمانه بالحياة وبالانسان رغم البشاعات والفظاعات التى يقترفها .

ولا غرو فقد تشرب من بنى جلده اليهود بقيمة الحياة وضرورة التاكيد عليها. ورغم التجارب المروعة التى مر بها وانه رأى الموت بعينه ، فقد ظل محباً وبوداً نحو الآخرين. وساملر يعبر عن وجهة نظر المؤلف فى نبذ الأفكار الثورية والراديكالية



كحل لمشكلات البشر. وتنتهى الرواية بأن نرى المؤلف يطرح مشكلة الايمان بالدين فى عصر يسوده العلم والمادية والوحشية. ويطالع ساملر الكتاب المقدس بانتظام كما يطلع أعمال المتصوف الألمانى ايكاردت Eckhardt. وساملر على اقتناع بأن ابن عمه المتوفى عرف أكثر منه ومن غيره كيف يعيش، ثم يقدم إلينا المؤلف الفكرة الواردة فى التلمود الخاصة بمسئولية الانسان أمام الله بموجب عقد مبرم بينهما. ويختتم المؤلف الرواية بقوله إن الحقيقة التى نعرفها تفيد بوجود الله، ونحن نعرف ذلك.. نعرف ذلك.. نعرف ذلك.. ويرى بعض النقاد فى هذا التكرار تأكيداً من جانبه لوجود الله فى حين يرى البعض انه محاولة لاقتناع نفسه بوجوده.

وبعد ان نبذ بيلو ايمانه الباكر بالافكار الثورية بدا من الواضح أنه لم يطلق فوضى الستينات وحرب فيتنام التى تمخضت عن هذه الفوضى والمظاهرات الطلابية التى اندلعت آنذاك. وتعكس رواية «كوكب المستر ساملر» تحول مؤلفها من الراديكالية إلى المحافظة. ومن دلائل محافظته قوله فى هذه الرواية عن كارل ماركس إن حشيشه الايدولوجى قوى وفعال للغاية. وفى يوليو ١٩٧٠ ألقى شاول بيلو خطاباً فى تل أبيب أظهر

شيئا من التفهم والتعاطف مع تمرد الشباب ، فقد ذكر ان الاتهام الذى يوجهه الشباب إلى الطبقة المتوسطة اتهام سليم وله ما يبرره لأن هذه الطبقة فشلت فى خلق أية قيم يهتدى بها الشباب . ومع ذلك فإنه عاب عليهم هجومهم على الجامعات لأن هذه الجامعات، تمثل فى نظره المكان الوحيد ولعله الأخير فى أمريكا الذى يسمح بتبادل الآراء بحرية. وأيضا عاب بيلو على الآباء اليهود سعيهم الى العيش فى الارياف عيشة مغلقة كما لامهم على العمل على احياء الدين اليهودى والافكار الدينية الراسخة إلى جانب ابتعادهم عن الانخراط فى مجرى الحياة الأمريكية . ولكنه امتدح أبناءهم لانهم أثروا الانخراط فى هذه الحياة، ومعنى هذا أن موقف بيلو من الشباب فى رواية «كوكب مستر ساملر» موقف يتسم بالملامة والتقريع فى حين أن المحاضرة التى ألقاها المؤلف عام ١٩٧٠ فى إسرائيل تدل على انه اصبح أكثر تقديرا لتمرد الشباب فى الستينات وادراكا لما ينطوى عليه هذا التمرد من إيجابية.

وفى العقد الاخير من حياة بيلو نراه يعود على نحو متكرر الى معالجة موضوع القيم . يقول بيلو بمناسبة حصول روايته «هيرزوج» عام ١٩٦٥ على الجائزة القومية للكتاب انه من

الواضح ان الاستغراق في الممارسات الجنسية والتصريح بقوة عن الاغتراب لن ينتجا أعمالا «فنية عظيمة» ، ويعبر بيلو عن طائفة من الآراء غير المتسقة، فهو- مثلما رأينا - لم يعبر عن تفهم اكبر لتمرد الشباب فحسب بل انه لا يستبعد الحلول الاجتماعية والسياسية للمشكلات الانسانية. ففي معرض الحديث الذى ألقاه امام الكتاب البولنديين فى وارسو عام ١٩٦٦ نراه يقر انه امر سيىء أن يعجز الناس عن التغلب على قيودهم السياسية والأيدولوجية لان هناك كثيرا من المشاكل فى العالم التى تنتظر الحل.

ثم يضيف إلى ذلك قوله إن الايدولوجية السياسية لم تندثر. وعندما تسلم عام ١٩٧١ الجائزة القومية للكتاب عن روايته «ساملر» نراه يقول لزملائه من الكتاب: «هناك إيمان قديم بأن الفن يقدم علاجاً لفساد الوعى الانسانى.. وإذا نحن معشر الكتاب لم نفعل شيئا من أجل هذا العلاج فلن يكون هناك اى معنى فى ان نكتب الكتب».. ومهما كانت هناك تحفظات على عدم انسجام آرائه احيانا فما من شك أنه كرس أعماله الخلاقة لتأكيد قيمة الحياة أمام الافكار العدمية.

وبعد أن توارت الفضائح التى أقترفها النازيون ضد اليهود

بدأ اهتمام مؤلفنا بالهولوكست يتجدد بسبب ما اعتبره تهديدا للوجود الاسرائيلي نتيجة الحروب المتكررة التي اشتعلت بين العرب واسرائيل . والجدير بالذكر ان بيلوزار اسرائيل عدة مرات، ورغم عدم إقتناعه بالافكار الصهيونية فإن زيارته الكثيرة لاسرائيل زادت من وعيه بيهوديته.. ونحن نراه حتى في روايته الاخيرة التي نشرها عام ١٩٨٢ بعنوان «عميد شهر ديسمبر» يؤكد قيمة الحياة وضرورة انتصارها على العدم. يقول بيلوفى هذا الشأن:

«إن افضل البشر وانقاهم يؤمنون بقداسة الحياة».. ورواية «عميد شهر ديسمبر» لا تتناقض مع الإيمان بقداسة الحياة ولكنها ترسم صورة قاتمة لانحطاط العلاقات الانسانية ليس في المجتمعات الشيوعية وحدها بل في المجتمعات الرأسمالية ايضا رغم ما فيها من ميزة التمتع بالحرية.

مثل هذه القتامة قمينه بأن تلقى الظلال على مستقبل البشرية، فضلا عن اختفاء روح الدعابة وخفة الظل التي اتسمت بها اعماله الروائية السابقة.

وتدور رواية «عميد شهر ديسمبر» حول عميد بجامعة شيكاغو اسمه ألبرت كورد Albert Corde . ويكاد هذا الرجل

الاييرلندى البروتستانتى ان يكون البطل الوحيد فى روايات بيلو الذى لا ينتمى الى اليهود، فضلاً عن خلو الرواية من أية شخصيات أخرى واضحة اليهودية . والرواية تتضمن جانباً من سيرة حياة مؤلفها فهذا العميد متزوج من امرأة مهاجرة من رومانيا تعمل استاذة فى علم الفلك، وتذهب هذه المرأة برفقة زوجها إلى رومانيا حتى تكون بجوار أمها التى تحتضر. ونفس الشيء حدث فى حياة المؤلف فقد كان متزوجاً من عالمة فلك رومانية كما انه رافقها إلى رومانيا حتى يكونا بجوار حماته المحتضرة . وفى رومانيا يستغرق بطل الرواية وعميد الكلية ألبرت كورد فى تأمل الانحطاط الموجود فى كل من الشرق الشيوعى والغرب الرأسمالى.

وتكاد رواية «عميد شهر ديسمبر» تصل الى حافة اليأس والقنوط. والرواية تطرح سؤالاً دون ان تجيب عنه بشكل حاسم . والسؤال هل هناك امل فى حدوث أى تقدم اجتماعى؟ ومن الواضح ان الرواية تزخر بصور الفساد الامر الذى يجعل من العسير ان نتصور وجود مثل هذا الامل . غير أن الرواية فى نفس الوقت لا تجزم بعدم وجوده . واللافت للنظر فى هذه

الرواية أن الوهن والضعف يعتريان شعور المؤلف القوى وإيمانه الشديد بقيمة الحياة، وهو إيمان ورثه عن أسلافه من اليهود.

وإذا كانت الحيوية والفكاهة قد فارقته في هذه الرواية فإنهما لم تفارقا روايته التالية التي نشرها عام ١٩٨٤ بعنوان «قدمه في فمه» . Him With His Foot in his Mouth وهي مجموعة قصصية ترسم فيما ترسم صوراً لبعض أصدقاء شاول بيلو من الأدباء والنقاد أمثال هارولد روزنبرج - Harold Rosen- berg روزنبرج واسحق روزنفيلد . وأهم ما يميز هذه المجموعة اختفاء النغمة القاتمة المتشائمة والعودة بقوة إلى الدعابة والحيوية الدافقة . ولكن هذه الرواية الأخيرة تفتقر إلى تأكيد المؤلف السابق للحياة فالموت يظلها والردى يرفرف عليها.

## ٦ - برنارد مالمود

يؤكد الروائي اليهودي الأمريكي برنارد مالمود انتماءه إلى الثقافة الأمريكية وليس إلى الثقافة اليهودية الأمريكية كما يؤكد شافول بيلو نفس الشيء .

ويقاوم هذان الكاتبان اليهوديان المرموقان على خلاف معاصريهم من غير اليهود الاتجاه نحو الايمان بالعدم . وقد اوضحنا بجلاء نبذ بيلو للأفكار العدمية وتمسكه بالايمان اليهودي التقليدي الراسخ بقيمة الحياة، ونفس الشيء ينطبق على برنارد مالمود الذي قاوم العدمية في استقلال تام عن قرينه بيلو فقد نادى مالمود بإزالة كل اسباب الانتقاص من انسانية الانسان. قال مالمود بمناسبة حصول روايته «البرميل السحري» (١٩٥٨) The Magic Barrel على الجائزة القومية للكتاب «لقد ضقت ذرعا تماما بالانتقاص المخادع الهائل لقيمة الانسان في يومنا الراهن».. وترجع أسباب الانتقاص من قيمة الانسان الى نشوب الحروب وطغيان الانظمة الشمولية والتهديد بفناء الجنس البشري برمته الأمر الذي جعل الإنسان ضحية» . ويرد مالمود هذا الانتقاص إلى قبول الانسان لهذا الوضع الشائن دون أى احتجاج .

ولهذا كرس مالمود أدبه لرد الاعتبار والكرامة الى الانسان والاعلاء من شأنه ، وهو نفس ما يدعو شاول بيلو اليه فى روايته بأسلوب مختلف، ومعنى هذا ان كلا الكاتبين اليهوديين يتسمان بخصوصية يهودية واحدة هى تكريم الانسان والاعلاء من شأن الحياة، غير ان اسلوب مالمود يفاير أسلوب بيلو فى الكتابة فبيلو يتبع التقليد الواقعى فى حين ان أسلوب مالمود يشيع فيه الخيال.

ولد مالمود فى بروكلين عام ١٩١٤ من والدين يهوديين روسيين هاجرا الى الولايات المتحدة. وكان والده صاحب محل بقالة صغير يظهر فى احد اعماله وهو «صبى البقال»، the Assistant وتلقى الغلام تعليمه فى مدرسة ايرازموس العالى Erasmus Han High School حيث اشترك فى تحرير وإصدار مجلة المدرسة . وفى عام ١٩٣٦ تخرج مالمود فى كلية مدينة نيويورك ثم تزوج من امرأة تنحدر من أبوين إيطاليين ، وبعد تخرجه قام بالتدريس فى مدرسة ايرازموس العالىة ثم فى كلية ولاية أوريجون فى الفترة بين عامى ١٩٤٩ و ١٩٦١ التى اطلق عليها اسم كلية كاسكاديا Cascadia College فى روايته «حياة جديدة» A New Life ، وبعد ذلك باشر التدريس فى كلية بنجتون



Bennington فى فيرمونت Vermont وفى عام ١٩٤٩ نشرت له  
مجلة هاربرز بازار Harper's Bazaar أول قصة له مدفوعة  
الأجر. ثم ظهرت روايته «الطبيعى» the Natural عام ١٩٥٢،  
وبالرغم من شدة حساسيته وتعاطفه مع العاطلين بسبب الكساد  
العظيم وتأله من الحرب بين الحلفاء والمحور ومن الهولوكست  
النازى فإنه يكاد الا يذكر هذه الأحداث الجسام والأليمة فى  
أعماله الأدبية الباكرة. يقول جرانفيل هيكس Granville Hicks  
فى هذا الصدر إن مالمود فى صدر حياته «كان يختلف مع  
الكثيرين من معاصريه فى انه لم يهتم مطلقاً بالقضايا الراديكالية  
أو الثورية، فقد كانت لديه مشاكله الخاصة، فضلاً عن أنه فقد  
الثقة بالشيوعيين وخاصة بعد محاكمات التطهير فى موسكو».

اتسمت كتابات مالمود بالعصرية وهى تكشف عن تأثرها  
بأعمال دستيوفسكى وتشيكوف وجوجول وجيمس جويس إلى  
جانب تأثره بكل من الكاتين الأمريكين ماكسويل أندرسون  
Maxwell Anderson و ت . س . إليوت. وفى عام ١٩٦٣ اعترف  
مالمود للناقد الأمريكى إيهاب حسن أنه لم يهتم بالمشاكل  
الإجتماعية إلا فى حدود كتاباته.. يقول مالمود بصراحة: «إن  
انخراط المؤلف فى الكتابة يقتضى منه عدم الانخراط فى المشاكل

الإجتماعية فهو ليس بحاجة إلى الإنخراط فى السياسة» ..  
وعندما سأله إيهاب حسن عن موقف الكاتب بوجه عام من  
القضايا الإجتماعية أجاب مالمود بأنه يتعين على الكاتب أن  
يعالج هذه القضايا بطريقة فريدة وعلى نحو خيالى بحيث تتحول  
إلى فن ، فالقضايا الإجتماعية فى حد ذاتها لا تثير اهتمام الكاتب  
أو الفنان.

ورغم ازودار مالمود عن التصدى للمشاكل الإجتماعية بوجه  
عام فإن هذا لا يمنع من معالجته لبعض منها فيما أنتجه من  
أدب فى وقت لاحق مثل معاداة السامية، والإبادة النازية  
الجماعية لليهود والعلاقة بين البيض والسود ، كما نرى فى رواية  
«المستأجرون» The Tenants وبعض قصصه. فضلاً عن أن  
المشكلات الإجتماعية تحتل مركزاً محورياً فى روايته «المثبت»،  
The Fixer وتتصف بعض إشاراتة إلى المشاكل الإجتماعية  
بالاستفاضة مثل الفقرة التى تصف حال سيمور ليفين Sey-  
mour Levin. فى الرواية التى نشرها عام ١٩٦١ بعنوان «حياة  
جديدة» فقد ورد فى هذه الرواية أن أمريكا العاصفة قد حلت  
محل أمريكا الهادئة بسبب عدة عوامل منها التوتر الناجم عن  
الحرب الباردة بين الاتحاد السوفيتى والغرب وتهديد السيناتور

مكارثى لحرية وأمن المواطن الأمريكى الذى يجرؤ على التفكير بحرية. ومع ذلك يمكن القول إن مثل هذه الاشارات المستفيضة نادرة فى مجمل أعماله باستثناء رواية «المثبت» والجدير بالذكر أن مالامود فى فترة رئاسته لنادى القلم الأمريكى كثيرا ما بادر بتوقيع الالتماسات المطالبة بحرية الكتاب والمثقفين المسجونين والمضطهدين فى جميع بقاع العالم.

قلنا إن أسلوب مالامود يختلف عن أسلوب بيلو ومع ذلك فإن سمة اليهودية تجمع بين الكاتبين. والقارئ لأدب مالامود لا يخطئ يهوديته بسبب كثرة إشاراتة إلى اليهود ورسمه للشخصيات اليهودية وقد سئل مالامود عن السبب الذى يدعو به إلى إظهار كل هذا الاهتمام باليهود رغم أن تربيته وتعليمه أبعد ما يكونان عن البيئة اليهودية فأجاب بأن اهتمامه بهم يرجع فى الأساس الى عطفه عليهم بسبب ما كابدوه من ويلات وأهوال على أيدي النازيين. وأضاف أنه يكتب عن اليهود لأنه يعرف حياتهم عن كثب أكثر مما يعرفه عن سواهم.

وذكر مالامود سببا ثالثا هو أنه يعتبر اليهودى رمزا للانسان الوجودى فى كل مكان ذلك الانسان الوحيد الذى يكابد العذاب ويتحملة. أما السبب الرابع لاهتمامه باليهود فيرجع على حد قوله

إلى زواجه من امرأة إيطالية غير يهودية الأمر الذى حفره إلى  
فحص وتمحيص علاقته بينى جلدته اليهود ومعنى هذا أن زواجه  
من غير يهودية لم يضعف وعيه باليهود بل زاد من وعيه بهم على  
عكس ما هو متوقع. ولعل أكثر هذه الأسباب لفتا للنظر هو اعتبار  
اليهودى رمزا للانسان الوجودى مما حدا ببعض النقاد الى القول  
إن مالمود يستخدم يهوديته بمثابة استعارة أو بمثابة رمز أخلاقى  
على حد قول روبرت أولتر. ويشرح الناقد ثيودور سولوتاروف

Theodore Solotaroff دلالة هذه الاستعارة فيقول انها تشير  
الى البعد المأساوى فى حياة اى انسان كما انها تمثل معيارا  
أخلاقيا شخصياً.

ويعتبر مالمود اليهود رمزا لكل وجودى على وجه هذه الأرض  
من حيث أنه يؤكد الكرامة الانسانية ويرفض الخضوع للقيم  
الاجتماعية الزائفة. ولهذا السبب نجد أن المؤلف يضيف على  
شخصياته اليهودية خصائص الشخصية اليهودية كما يصورها  
الأدب الشعبى اليهودى وهى شخصية مهيضة الجناح ومحبة  
يزدريها المجتمع ولا يلقى إليها بالا. ويذهب مالمود أن اليهودى  
يمكن أن يكون جانبا بقدر ما هو مجنى عليه ويستخدم الأدب  
اليهودى الشعبى أسلوب السخرية والهزاء فى رسم صورة

اليهودى المضطهده ويقول مالامود فى تفسيره لاهتمامه بصورة اليهودى إنتا نعيش فى زمن انحطت فيه قيمة الانسان وإنه رأى فى تقديم صورة اليهودى فى أدبه الروائى دعما ومؤازرة للكرامة الانسانية.

والموضوع الرئيسى الذى تدور حوله روايات مالامود يتلخص فى مكابدة العذاب وتجاوزه. وهو موضوع روايته الأولى و«الطبيعى» (١٩٥٢) التى تخطو من كل إشارة إلى اليهود وإستخدامهم كاستعارة ويسعى بطل هذه الرواية واسمه روى هوبز Roy Hobbs إلى الانتصار على العذاب. والرواية تهدف شأنها فى ذلك شأن سائر أعمال مالامود الروائية الى تصوير العذاب كوسيلة لتحقيق السعادة. ويقول سيدنى ريتشمان Sidney Rich-man ان العذاب فى أدبه يمثل الطريق الى الخلاص. وهى فكرة يألّفها اليهود لكثرة ما ابتلوا به من نازلات. ويربط مالامود فى روايته التالية «صبي البقال» (١٩٥٧) بين فكرة الخلاص عن طريق العذاب وبين ما مر به اليهود فى تاريخهم من تجارب مريرة. ونحن نرى المؤلف يستخدم فيها اليهودية كاستعارة ترمز الى محنة الجنس البشرى بأسره.

وتروى رواية «صبي البقال» قصة شاب يدعى فرنك أولباين

يعمل كصبي في محل بقالة صغير يمتلكه رجل يهودى اسمه موريس بوبر ورغم أن فرانك ليس بالشخص الشرير في أعماقة فإنه يتفق مع شريك له في سرقة محل مخدمه ولكن وخز ضميره يوجهه ويقع هذا الشاب في غرام ابنة مخدمه اليهودية وتظهر له الفتاة شيئاً من الود غير أنها تنفر منه عندما يحاول اغتصابها وتشتمه الفتاة قائلة: أيها الكلب غير المختون. ويسعى فرانك من جانبه الى التكفير عن خطئه فيكرس كل جهده بعد وفاة مخدمه لخدمة أبنته وأرملته وأمام اخلاصه وتفانيه يبدأ قلبها فى الخفقان له، ويسبب تعذيب الضمير يتحول هذا الشاب إلى انسان مهذب ويكتسب الحكمة من تجاربه. ومن دلائل نضجه وحكمته تخلصه من مشاعره المعادية لليهود فضلا عن انه اقتنع بسلامه أخلاق مخدمه اليهودى. ويلاحظ فرانك أن اليهود يعيشون من أجل العذاب. وفى حديث يتبادله البقال وصبيه حول التوراة والدين اليهودى نراه يقول لصبيه إن البشر ليسوا حيوانات ومن ثم حاجتهم إلى الناموس وهذا ما يؤمن به كل يهودى . عندئذ يقول فرانك لمخدمه إن كل الأديان تؤمن بالناموس فلماذا إذن يتميز اليهود على بقية اتباع الأديان الأخرى بشدة حساسيتهم للعذاب؟ ويتساءل إذا كانت طبيعة اليهود تجعلهم يستعذبون الألم ويتلذذون بالعذاب؟

فيجيبه مخدمه بقوله إن اليهودى يتعذب من أجل الناموس وإنهم إن لم يفعلوا هذا قلن يكون وراء عذابهم أى طائل. وتنتهى الرواية باقتناع صبي البقال بوجهة نظر مخدمه اليهودى ومن ثم نراه يتوجه إلى المستشفى كى تجرى له عملية الختان . وهو لا يكتفى بذلك بل إنه يتحول إلى الدين اليهودى.

ورغم حماس مالامود لليهودية فإنه لا يتجاهل أن الأديان الأخرى تدعو إلى الصلاح. وتلقى الكلمة التى ألقاها الحبر اليهودى فى جنازة البقال اليهودى الضوء على مفهوم اليهودية الحق. صحيح أن هذا البقال لم يراع الطقوس والعادات اليهودية أى أنه لم يعن بالحفاظ على الشكل اليهودى التقليدى ولكن الحبر الذى يؤبنه يعتبره يهوديا حقا فى روحه وقلبه ويكفى للدلالة على يهوديته أنه كابد العذاب وتحمله ولكنه احتفظ بالأمل رغم ذلك.

ويدور عدد كبير من روايات «مالامود» حول صورة اليهودى كما يصورها ذلك الرمز الذى يشير الى عذاب الانسان وقدرته على تحمل هذا العذاب ولكن العوائق والصعوبات تعترض طريق تحقيق هذه الصورة. ويستخدم المؤلف صورة السجن للتعبير عن هذه العقبات. ونحن نرى أن هذه الصورة تتكرر فى رواية «صبي البقال» فضلا عن تكرار ورود صورة الكفن كبديل لصورة السجن.

وصبى البقال واسمه فرانك يعتقد أن مخدمه عبد محل البقالة الصغير الذى يملكه وأن هذا المحل بمثابة السجن الذى يحيط به من كل جانب. والرأى عند فرانك أن اليهود ولدوا كى يكونوا سجناء. وعندما شرع صبى البقال فى دراسة تاريخ اليهود توافر على دراسة اليهود الخارجين من غياهب السجون والساكنين فى حارات اليهود الأمر الذى يجعلهم يتعجبون من أن التوراة تصفهم بشعب الله المختار.

وتتكرر صورة السجن أيضاً فى روايته التالية «حياة جديدة». ورغم أن الرواية لا تحتوى سوى إشارة واحدة إلى يهودية بطلها سيمور ليفين فإن هذه الإشارة تلعب دوراً مهماً فى حبكةها التى تدور كالعادة حول فكرة الخلاص عن طريق العذاب . ويمثل سيمور ليفين شخصية اليهودى الذى يكابد العذاب. ولكنه فى نهاية الأمر يتجاوزه ويتغلب عليه. يقول الناقد روبرت أولز عن مغزى رمز السجن فى روايات مالامود (الذى قد يكون سجن النفس كما هو الحال مع بطل رواية «حياة جديدة») ان انسانية الانسان الكاملة لا تتحقق إلا إذا عرف هذا الانسان حدوده وقبلها عن طيب خاطر مهما كانت هذه الحدود أليمة على نفسه.

وتتضمن قصص مالامود القصيرة نفس فكرة الخلاص عن



طريق العذاب والقدرة اليهودية على تجاوزه. وتعتبر قصته «البرميل السحري» من أروع انتاجه. والجدير بالذكر أن جو أدب اليديش الشعبى يشيع فى طائفة كبيرة من قصصه القصيرة التى تفوق الأدب الشعبى اليهودى فى نعومتها وغموضها ومن ثم فى حدائتها. ويصور معظم هذه القصص عذاب الشخصيات وتجاوزها لهذا العذاب عن طريق الحب.

ويدور معظم انتاج مالاورد الروائى والقصصى حول اليهود والطلّيان فهو يعرف اليهود عن كثب لأنه واحد منهم ويعرف الطليان جيدا لأنه تزوج منهم ولأن مجلة بارتيزان ريفيو منحته منحة لدراسة أحوالهم والتجوال فى بلادهم . وتعالج قصصه ايضا بعض الموضوعات الأخرى مثل كراهية اليهودى لنفسه مثلما نجد فى قصة «سيدة البحيرة» Lady of the Lake وهذه القصة تدور حول شاب يهودى أمريكى يدعى هنرى ليفين يخفى يهوديته طمعا فى الزواج من فتاة يظن أنها غير يهودية وتتأصب اليهود العدا، وتتعترف له الفتاة بيهوديتها وترفض الزواج منه لأنها ترغب فى الزواج من يهودى أمريكى. وكذلك نطالع فى مجموعته القصصية (١٩٦٣) «البلهاء أولا» Idiots First قصة بعنوان «الطائر اليهودى» The Jewbird تدور حول كراهية اليهودى لنفسه وكراهية اليهودى لليهودى.

حصل مالامود على جائزة بوليتزر عن روايته «المثبت» التي تتميز بإضافة بعد جديد لم يكن له وجود واضح في مؤلفاته من قبل وهو البعد السياسى والاجتماعى. ولكن هذا البعد الجديد لم يكن مفاجأة إذ كان موجودا فى غير وضوح فى بعض أعماله القصصية الباكرة مثل «السواد هو اللون المفضل لدى» Black is my Favourite Colour وأنجيل ليفين Angel Levine وكان موجودا بوضوح فى قصته «اللاجئ الألمانى» The German Refugee وتروى لنا هذه القصة حكاية لاجئ ألمانى إلى الولايات المتحدة اسمه جاسنر Gassner أثر أن يترك زوجته غير اليهودية ظنا منه أن حماته تعادى اليهود. وتنتهى القصة بتحول هذه الزوجة الى الدين اليهودى. ولكن اكتشاف هذا التحول يجيء متأخرا بعد أن يكون اليأس قد دفع جاسنر الى الانتحار.

كان مالامود يدرك ان روايته «المثبت» ايدان ببدء مرحلة جديدة فى تاريخه الأدبى. وفى عام ١٩٦٧ أدلى بحديث قال فيه ربما تكون هذه المرحلة الجديدة قد بدأت قبل «المثبت» بنشره قصته «اللاجئ الألمانى». ويدل وعيه الاجتماعى فى عقد الخمسينات على أنه بدأ ينشغل مؤخرا باضطهاد اليهود وفضاعات الهولوكست بوجه خاص ولكن الجدير بالذكر أنه عالج هذه المشاكل الاجتماعية على نحو

فريد وخيالى وجعل منهما فنا له قيمته. وتتضارب آراء النقاد فى القيمة الأدبية لرواية «المثبت» منها من امتدحها ورفعها إلى عنان السماء ومنهم من أنزلها إلى أسفل السافلين. ونحن على أية حال نشاهد هنا استخدام المؤلف لاستعارة السجن بالمعنيين الرمزي والواقعي. فضلا عن أن هذه الرواية تعالج الموضوع الذى تكاد ألا تخلو منه كتابات مالاמוד وهى مكابدة العذاب والسعى إلى الانتصار عليه. وتصور رواية «المثبت» حول واقعة اضطهاد لليهود حدثت بالفعل فى روسيا وتحديدا فى كييف عام ١٩١١. فقد اتهم الروس يهوديا بسيطا اسمه مندل بيليس Mendel Beiliss بسفك دم طفل غير يهودى لاستخدامه فى اجراء بعض الطقوس اليهودية.

وانتشرت شائعة بين الروس مفادها أن اليهود اعتادوا قتل الأطفال غير اليهود لاستخدام دمائهم فى اقامة الفصح. ورغم شراسة مثل هذا الهجوم على اليهود فإن هيئة المحلفين التى نظرت القضية وفحصتها بدقة برأت مندل بيليس من التهمة الموجهة إليه. والغريب أن قيصر روسيا نفسه كان ضالعا فى مؤامرة كبرى ضد اليهود الروس. وقد تصادف ظهور رواية

«المتثبت» فى غضون أسابيع قلائل من صدور كتاب ألفه موريس صامويل Maurice Samuel توفر فيه على دراسة هذه القضية وتحليل عناصرها تحليلًا دقيقًا. ويحمل هذا الكتاب العنوان التالى: الاتهام الدموى: التاريخ العجيب لقضية بيليس Bloody

Accusations : the Strange History of the Beiliss Case

ورغم أن مالمود استعاد فى روايته رسم الخطوط العريضة لهذه القضية فإنه أضاف إليها من خياله وأعطى الضحية اليهودى اسم ياكوف. يقول المؤلف عن انتصار اليهودى المضطهد على عذابه فى روايته «المتثبت»:

«قصتى تدور حول السجن والمحاولة المبذولة من أجل تحقيق الحرية من خلال نمو الإنسان الروحى، ويمكن لهذا الإنسان أن ينتصر على سجنه بأن يصبح ما كان عليه قبل دخول السجن».

وتصور الرواية الخسف والاضطهاد الذى لحق بياكوف شخصية الرواية المحورية فحراس السجن يعذبونه ويمارسون ضغطًا هائلًا عليه كى يعترف باشتراكه فى مؤامرة ضخمة تهدف إلى الإضرار بالشعب الروسى. بل انهم يغرونه بإطلاق سراحه اذا هو اعترف بوجود هذه المؤامرة. ولكن اليهودى ياكوف يظل صامدًا كالصخرة لا يخيفه ترهيب ولا يغريه ترغيب ويصر على براءته.

وبذلك يتصدى فى بطولة لأعداء السامية فاديا بنى جلده بعذابه  
مخلصا إياهم بالآله رافضا خذلانهم والتعاون مع جلاديهـم. وبعد  
أن كان ياكوف فيما مضى لا يهتم بهويته اليهودية أصبح الآن  
شديد الحرص عليها والاستمسـاك بها وشديد الاحساس  
بمسئوليته نحو بنى جلده من اليهود الذين يتعرضون دوما  
للخسـف والاضطهاد طيلة أيام حياتهم. وإلى جانب هذا البعد  
الاجتماعى فى الرواية يظهر بعد آخر هو البعد السياسى. وبعد أن  
كان المؤلف يولى ظهره للاجتماع والسياسة أصبحنا نراه يقول أنه  
لا يمكن لليهود تجنبهما. والجدير بالذكر أن روايته «الساكنون»  
(١٩٧١) تدور حول علاقة اليهود بالزنوج. وفى عام ١٩٧٩ أصدر  
مالامود رواية «حيوان دوبيـن» Dubins Lives ورغم أن دوبيـن  
شخصيتها المحورية يهودى فإن الرواية تكاد تخلو من كل أثر  
لليهودية فيها.

## ٧ - فيليب روث وأدب الاعتراف

كان الأديب اليهودى المرموق فيليب روث من ألمع نجوم الثقافة الأمريكية فى فترة الخمسينات ، ويزخر أدبه شأن أدب كل من بيلو ومالامود بالشخصيات اليهودية سواء كانت محورية أو هامشية. فضلا عن اشتراكه معهما فى الحداثة وخيبة الأمل فى حال العالم فى أعقاب الحرب العالمية الثانية. ورغم التشابه الموجود بين روث وزميليه بيلو ومالامود فإنه يختلف عنهما فى النظرة والأسلوب ، فضلا عن أنه أصغر سنا منهما.

لفت روث أنظار جمهور القراء الأمريكان فى عام ١٩٥٩ عندما نشر قصته القصيرة بعنوان «المدافع عن الايمان» Defender of the Faith فى جريدة النيويوركر New Yorker الصادرة فى ١٤ مارس من هذا العام. وانحى معظم الناس وبخاصة اليهود باللائمة على هذه القصة القصيرة ورموها بالعداء ضد السامية وعابوا عليها تركيزها على الجوانب الكريهة فى حياة اليهودى وشخصيته . وبمجرد ظهور هذه القصة عام ١٩٥٩ فى المجموعة القصصية التى تحمل عنوان «وداعا ياكولبوس» Good bye Columbus انهار التجريح على مؤلفها الذى شاء أن يسخر قلمه من القيم الزائفة والفارغة التى استمسكت بها الطبقة المتوسطة

اليهودية، واعتقد الكثيرون أن هذه السخرية من جانب المؤلف لليهود تعنى انه يقف منهم موقفا عدائيا كما ذهب البعض إلى أن الرواية تمثل كراهية بعض اليهود لنواتهم. ومع هذا فقد منحه مجلس الكتاب اليهودي جائزة عن «وداعا ياكولبوس» الأمر الذى أثار حنق الكثيرين من معارضيه ومنتقديه ومن بينهم صامويل مارجوش Samuel Margoshe - وهو صحفى يهودى - الذى اتهم روث بمعاداة السامية ووصم الكتاب بأنه وثيقة تزخر بكراهية اليهود لأنفسهم. وأضاف مارجوش أن رسم صورة لليهودى بمثل هذه القتامة لا يصنع أدبا أو نقدا اجتماعيا جيدا بل ينم عن أن اليهود قوم سيئون لا يرجى منهم أى خير.

ومهما قيل ضد هذه المجموعة القصصية فقد بشرت ببزوغ موهبة يهودية جديدة تتميز بالقدرة على السخرية اللاذعة وتستمد مادتها من حياة اليهود. وترجع جذور هذه السخرية إلى احساس المؤلف الباكر بالادعابة وهو احساس لازم تطوره الأدبى. وكما اسلفنا تنصب سخريته اللاذعة على القيم التى استمسك بها اليهود الأمريكان المنتمون إلى الطبقة الوسطى فى أعقاب الحرب العالمية الثانية .

ويتضمن كتابه «وداعا ياكولبوس» قصة أخرى بعنوان «الهداية

اليهودية» The Corversion of the Jews التي تدور حول تمرد غلام في الثالثة عشرة من عمره يتلقى العلم في مدرسة يهودية ضد ما يراه مظاهر التعصب الديني اليهودي، وتكشف هذه القصة ايضا عن شدة هوس مؤلفها بالجنس، وفي حديث أدلى به روث الى بعض الاسرائيليين نراه يعترف بأن سبب تأليفه لهذه القصة قد يكون ما رآه من تعصب من جانب اليهود ورفض كل ما يخالفهم في الرأي، ويضيف المؤلف ان القصة تدور حول غلام يصيبه الفزع من إله يستحل لنفسه فعل ما لا يمكن مغفرته مثلما يفعل المسيحيون على الأرض عندما يسمحون لامرأة بانجاب طفل دون أن تشعر بلذة المضاجعة الجنسية. والجدير بالذكر أن الكاثوليك يرون أن الهدف من الزواج هو الانجاب وليس الاستمتاع بالجنس. وأيضاً تحتوى هذه المجموعة القصصية على قصة ثالثة بعنوان «إبشتين» Epstein التي تدور حول فشل الزيجات اليهودية بين العائلات البورجوازية الصغيرة وتمرد أبناء هذه الطبقة وانغماسهم في علاقات جنسية دون ضابط أو رابط. ويموت إبشتين وهو يزنى بامرأة. وهاج اليهود وماجوا على المؤلف الذي يتحدث عن ممارسة اليهود للجنس الحرام. اما قصة «إليا المتعصب» Eli the Fanatic فتعبر عن زراية فيليب روث بالتماثل الفكرى والسلوكى الذى تتسم



به الطبقة اليهودية التي تستقر في الريف الأمريكي. فهي لا تطبق أن يجاورها في السكن بعض اليهود المغايرين لهم في العقيدة، والمنتسبين الى طائفة الهاديسيين اليهودية. والجدير بالذكر ان الهجوم على زيف قيم الطبقة الوسطى الريفية سواء كانت يهودية او غير يهودية لم يقتصر على الكتاب اليهود وحدهم ، كما هو الحال مع فيليب روث بل امتد الى الكتاب الامريكان. ولأن روث نبذ الأفكار الراديكالية والثورية فإنه لم يجد أمامه حلاً سوى الأمانة الشخصية بمجدها في أدبه ويعلى من شأنها.

ويختلف روث عن كل من بيلو ومالامود في جانب مهم. ففي حين أقام بيلو ومالامود وزناً كبيراً للخصائص اليهودية رأى روث انها عديمة الأهمية في أدبه ونظرتة للحياة. وفي حين أكد بيلو ومالامود أهمية الحياة اليهودية (التي اعتبرها مالامود رمزاً لقدرة اليهودى على تجاوز عذابه) لم ير روث مثل هذه التداعيات المهمة في يهوديته التي لم تعد في نظره غير أن تكون معطى من معطيات الحقيقة او الواقع ، ولهذا تشكك بنو جلده في نواياه واتهموه كما ذكرنا بمعاداة السامية. وفي اسرائيل أثناء اشتراكه في المناظرة التي نظمها المؤتمر اليهودى الأمريكى في صيف عام ١٩٦٢ بعنوان «الثقف اليهودى والهوية اليهودية» تصدى له بغلظة

أحد الكتاب الاسرائيليين إذ قال له بلا مواربة انه لايعتبر اليهود  
الأمريكان المشاركين فى المناظرة مثقفين يهودا بل هم مجرد  
مثقفين تصادف انهم ينتمون الى العرق اليهودى. ثم أردف مؤكدا  
انه لايعتبر فيليب روث ومن كان على شاكلته مثقفين يهودا على  
الإطلاق. عندئذ رد عليه روث بنفس الخشونة انه لايمانع فيما قيل  
عنه ثم أضاف قائلا: «لست كاتباً يهودياً ولكنى كاتب ينتمى الى  
العرق اليهودى». وحين تساعل البعض عن أهمية يهوديته فى  
كتاباتة قال روث بكل أمانة إنه لايعترف بالناموس اليهودى او  
بالتعليم اليهودى بل إنه لا يلم بالكتاب المقدس على الإطلاق. فضلا  
عن أنه انكر اللغة اليهودية وتشكك فى وجود الله نفسه. ورغم هذا  
فإنه اعترف بوعيه بيهوديته لأن هناك ما يذكره باستمرار بها. وقال  
إنه يعتقد أن الذى يتبقى من اليهودية فى نهاية الأمر هو تركيبة  
نفسية يهودية، وليست ثقافة يهودية أو تاريخا كاملا لليهود. وتربى  
روث على حقيقة تشربها منذ نعومة أظفاره مفادها أن اليهود  
أفضل من غيرهم الأمر الذى حفزه الى خلق شخصيات روائية  
أخلاقية، ولهذا ذهب روث إلى أنه يتعين على المرء اليهودى أن  
يخترع اليهود فكل ما ورثه عن أسلافه اليهود لايعدو أن يكون  
تركيبة نفسية خالية من المضمون أو تتضمن فقط بقايا مضمون

ولى واندثر، ومن ثم تعين عليه كمؤلف يهودى أن يعرض هذا الوضع المنهار والمتهاك باختراع اليهودية. غير أنه يقول فى وقت لاحق فى هذه المناظرة: «قد يبدو أن بعض قصصى تعالج الحياة اليهودية. وهذا ماتفعله بطرائق معينة، ولكنه يتحفظ قائلاً إن الكثير من رواياته لا يتسم بالصبغة اليهودية بالذات بل هى موضوعات لها صفة العموم وتنطبق على اليهود بقدر ما تنطبق على غير اليهود. ويقرر روث أنه لم يعتمد أن يبدأ حياته بكتابة القصص اليهودية. بل كل ما هناك أنه عرف الحياة اليهودية عن كُتب أكثر مما عرف غيرها. فحفزه هذا للكتابة عنها. وهذا طبيعى ومتوقع من شخص عاشر اليهود وعرف الأماكن التى يترددون عليها والأشياء التى يشعرون بها فى جوارحهم. غير أن دائرة تحركاته اتسعت بمضى الوقت لتشمل أماكن جديدة وبيئات متنوعة ومختلفة الأمر الذى أحدث تغييرا فى نوعية القصص التى يؤلفها والتى كرس لها قلمه على مدى بعض العقود ثم عاد بعدها الى معالجة نفس الشخصيات والمواقف والموضوعات اليهودية التى بدأ بها حياته الأدبية، وليس هذا بالمستغرب فقد غارت مثل هذه الأشياء فى أعماقه.

ركز روث فى مؤلفاته القصصية والروائية على فحص نفسية

الفرد سواء كان يهوديا أم غير يهودي . وهو يمزج بين قدرته  
الفذة على السخرية وقدرته على تمحيص الوعي الفردي . ويعيب  
عليه بعض النقاد عدم تحريره الموضوعية الفنية وإقحام شخصيته  
في كتاباته. فضلا عن أن صيغ هذه الكتابات بمشاعر المرارة كما  
هو الحال في روايته الطويلة المنشورة عام ١٩٦٢ بعنوان «لندعها»  
Letting Go التي تدور حول شخصية جابى والاتش Gabe  
Wallach المنادية بأن يحيا المرء حياته وفقا لطبيعته الخاصة. هذه  
الشخصية خاب أملها في الحياة فلم يعد أمامها شيء تستمسك به  
غير توخي الأمانة في العلاقات الخاصة، ومن ثم اهتمامها  
الشديد بذاتها وعدم احتفاظها سوى بالحد الأدنى من العلاقات  
التي تربط بينها وبين العالم الخارجى. وفي الفقرات القليلة في  
القصة التي تعالج الحركات السياسية والاجتماعية نرى المؤلف  
يشير الى هذه الحركات بمنتهى الازدراء. وليست هناك دلالة على  
تركيز المؤلف على الذات الشخصية أكثر من قول والاتش : «وفي  
نهاية الأمر عرفت اننى لن استمد سعادتي او شقائى الذى سيكون  
من نصيبى من طلبتى أو زملائى أو مؤلفاتى المنشورة بل من  
حياتى الخاصة التى لا يعرف الآخرون عنها شيئا» .

ويرى بعض النقاد ان روايات روث تتضمن اعترافاته من خلال

شخصياته. ويتضح لنا هذا بجلاء من رواية «فلندعه» حيث تظهر اليهودية بدرجات مختلفة وفي أنماط متنوعة. واليهود الذين تعالجهم الرواية ينتمون الى طبقات اجتماعية تتفاوت بين الطبقة الوسطى والطبقة العاملة. وتخلو روايته المنشورة عام ١٩٦٧ بعنوان «عندما كانت طيبة» When she Was Good من الشخصيات اليهودية. ويبدو أن نجاحه في رسم الشخصيات غير اليهودية كان محدودا. غير أنه تخطى عن الكتابة عن غير اليهود وعاد الى تأليف الروايات عنهم فألف عام ١٩٦٩ رواية عن اليهود بعنوان «شكوى بورتنوى» Portnoy's Complaint التى تكشف عن ملامح أدب مؤلفها الأساسية مثل موهبته الكوميدية والسرد الروائى الانسيابى الدفاق وقدرته على السخرية وانشغاله المفرط بالجنس وموقفه الغامض وغير الواضح من اليهودية واليهود. ويمتدح الناقد دوايت ماكدونالد Dwight Macdonald هذه الرواية كثيرا فيقول ان مؤلفها وجد صوته الحقيقى وموهبته الحقيقية فيها بعد عقد كامل من التخبط البدايات الخاطئة. وتستخدم الرواية علم النفس الفرويدى فى تفسير عجز بورتنوى الجنسى فى معاشرة النساء اليهوديات بسبب هوس عطف أمه اليهودية عليه فى طفولته. واستقبل المجتمع اليهودى هذه الرواية كصدمة هزت كيانه لأنها تضمنت

هجوماً على اليهود من ناحية واستفراقها في ملذات الجنس من ناحية أخرى. وأصابَت الرواية ذيوعا وانتشارا كبيرا فقد بيع منها حوالي نصف مليون نسخة. وتروى لنا الرواية بأسلوب شيق وجذاب اعترافات المريض الكسندر بورتوى لمحلله النفسى التى تذكر افراط امه فى حبها ورغبتها الطاغية فى السيطرة عليه وارغامه على تناول الطعام رغم انفه. ولم تكن معاملة أبيه له أحسن حالا. والأبوان ينتميان الى الجيل الأول من المهاجرين. وشكا المريض إلى طبيبه من شدة احساسه بالذنب بسبب تنشئته القائمة على الكبت لدرجة أحالته الى انسان عاجز ومريض وضعيف وهستيرى يفرط فى ممارسة العادة السرية رغم أنه فى الثلاثين من عمره. ويكفر بورتوى بالحياة اليهودية ويسخر منها قائلا: «هل هذا هو العذاب اليهودى الذى اعتدت أن اسمع الكثير عنه. هل هذا كل ما ورثته عن الإبادة الجماعية لليهود واضطهادهم؟ وعن المهازل والخسف الذى تعرض له الشعب اليهودى خلال مايزيد على ألف عام قاحلة وموحشة؟

ويسبب استفراقها فى الجنس أصبحت هذه الرواية مضفة الأفواه، الأمر الذى عرض مؤلفها للمضايقات والاهانات من جانب اليهود خاصة والقراء عامة ولم يتحمل روث هذه المضايقات فابتعد

عن المجتمع في مكان منعزل لمدة بضعة شهور. واعتقد الكثيرون ان الرواية تحتوي على اعترافات مؤلفها الشخصية فشجعهم هذا على التناول عليه ومعايرته من الناحية الجنسية. وبسبب تغيبه عن شقيقته سرت اشاعة بأنه تعرض للانهياء العصبى وأنه تم نقله الى المستشفى وأدرك روث ان يهوديته كانت خليقة بأن تمنعه من الخوض في مثل هذه الأمور الحساسة. فضلا عن نفور المجتمع المسيحى منه. ومن ناحيته نسب المؤلف رفض الطبقة المتوسطة اليهودية الشديد للرواية الى اعتقادها بأن انشغاله الزائد عن الحد بشهوات الجنس يضعف موقف يهود أمريكا ويهدد سلامتهم للخطر.

وأثار وصف روث للاشتهاء الذى يحس به اليهود نحو النساء غير اليهوديات حنق السيدة مارى سيركين Marie Syrkin استاذة الأدب الانجليزى وكذلك محررة جريدة صهيونية تحمل اسم «الحدود اليهودية» Jewish Frontier . وتفسر هذه السيدة هذا الوصف بأنه سعى من جانب اليهود الى تدنيس الجنس الأرى. وفيما بعد أعادت هذه السيدة الغاضبة صياغة اتهامها بصورة أوضح فى خطاب نشرته مجلة تعليق فى مارس ١٩٧٣. قالت هذه السيدة إن اشتهاا اليهودى للمرأة غير اليهودية يدخل فى نطاق

مايعتبره النازيون تدنيس لليهود للعرق الأري الذي تحدث عنه جوبلز. وهكذا ألصقت ماري سيركين تهمة معاداة السامية بالرواية. ورد روث على هجوم ماري سيركين عليه بقوله انها تتناسى ان التوتر التقليدى القائم عبر القرون بين اليهود وغير اليهود المعادين للسامية لابد وأن يكون قد أثر فى طبيعة العلاقات الجنسية بينهم. واذا كانت هذه الناقدة لم يحالفها التوفيق فى إصاق تهمة معاداة السامية بالرواية إلا انها نجحت فى هجومها على المؤلف الذى أكد أن يهودية عائلة بورتنوى هى المسئولة عن خلق الهستيريا فى شخصيته وانه كمؤلف لم يدخر جهدا لتوضيح الأثر العميق الذى تركته يهودية بورتنوى فى تربيته. ويقول بورتنوى مخاطبا طبيبه النفسانى الدكتور سيلفوجل Dr. Spiel Vogel : « هذه حياتى.. حياتى الخاصة وإنى أحيانا كنكتة يهودية، ووجودى ثمرة نكتة يهودية.»

وبالإضافة الى مقال ماري سيركين عن هذه الرواية كتب محلل نفسى فرويدى بارز يدعى برونو باتلهايم Bruno Battelheim مقالا بعنوان «التحليل النفسى لشخصية بورتنوى» - Portnoy Psychoanalyzed . يقول باتلهايم ان بورتنوى التجأ الى محلل نفسانى يهودى لمعالجته لأنه فى قرارة نفسه لم يكن يرغب فى



تجاوز خلفيته اليهودية التي تربي فيها أو التخلي عنها كما انه اختار محلا نفسيا لن يقصيه عن يهوديته التي يدعى كراهيتها. ويضيف باتلهايم أن بورتنوى فى حقيقة الأمر لم يكن قادرا على حب أحد حتى نفسه وكان يحمل الكراهية لذاته التي ظن أنه استطاع ان يحررها عن طريق بذاءاته. وذهب باتلهايم ان مرض بورتنوى الحقيقى يتمثل فى رفضه الاعتراف بحب والديه له لأن ذلك سوف يضطره الى ان يبادلها الحب. وهذا ما لا يريد. ويقول هذا المحلل النفسى ان بورتنوى سجين يهوديته على نحو غامض وأنه يحس بسبب يهوديته بمركب النقص ولكنه فى نفس الوقت يمقت معاداة السامية. ومن ثم نراه عاجزا عن تحقيق المتعة الجنسية الا عن طريق غواية النساء غير اليهوديات وهى ممارسات يرى أنها منحطة. ويختتم باتلهايم مقاله بالتعبير عن اعتقاده بأن قصة بورتنوى هى قصة المؤلف نفسه وقد انصرف بأمانة وصدق إلى تحليل ذاته وانه قد يكون حالة مرضية من حالات اليهود الذين يكرهون انفسهم ويعيشون غرباء فى المنفى.

وعندما ذهب منتقدوه الى أن شخصية بورتنوى تمثل شخصية مؤلفها أنكر روث انها تتضمن سيرة حياته . يقول المؤلف إن أحد الأسباب التي جعلت اليهود ينفرون من روايته أن صورة اليهودى

تغاير الصورة التي درج الأدب الأمريكي بعد الهولوكست النازي على رسمها . فقد دأب الأدب الأمريكي على رسم صورة مشرفة لليهودي كإنسان فاضل قادر على ضبط نفسه، والسيطرة على انفعالاته وينشد العدل وليس ذلك الانسان الشهواني والعنواني مثل بورتنوي. وتختلف صورة اليهودي عند روث عن صورته في أدب كل من بيلو ومالامود فقد كرس بيلو ومالامود أدبيهما لتصوير قدرة اليهودي على مكابدة العذاب وتجاوزه في حين ذهب روث إلى أن اليهودية هي السبب في اعتلال اليهودي وعجزه عن التكيف مع بيئته كما أنها السبب فيما يعاني من انحرافات نفسية. ولكن الهجوم العاتي الذي شنه اليهود على الرواية لايعنى انها لم تجد من يمتدحها ويباندها فقد قرظها عدد كبير من كبار المشتغلين بالأدب والنقد.

وتزخر رواية روث التالية التي نشرها عام ١٩٧١ بعنوان «عصابتنا» Our Gang بعنصر الهجاء الساخر إلى أقصى الحدود. فهي تسخر من نفاق الرئيس ريتشارد نيكسون الذي عارض الاجهاض بكل ما أوتي من قوة بسبب ايمانه الراسخ بقدسية الحياة الانسانية في حين أنه تسامح تسامحا غير مفهوم أو مبرر مع بعض الجرائم المقترفة. وتراوح رأى النقاد في هذه الرواية بين

التقريظ العظيم والتقريع الشديد. ويسخر المؤلف في الكتاب الذي نشره عام ١٩٧٣ بعنوان «الرواية الأمريكية العظيمة» The Great American Novel من كثير من جوانب الحياة الأمريكية مثل الحملة المسعورة التي شنّها مكارثي على كل من تجرأ وعبر عن رأيه في حرية واستقلال متهما إياه بالشيوعية وبالعالة لها.

ثم ألف روث رواية تعبر عن انشغال مؤلفها الكامل بموضوع الاشتهااء الجنسي بعنوان «الثدي» (١٩٧٢) The Breast وهي تدور حول استاذ للأدب اسمه دافيد كبش David Kepesh يطراً عليه تغير بيولوجي هائل فيتحول من جسد انسان الى ثدي. ويعتقد هذا الأستاذ انه انسخط وأصبح ثديا بسبب اقتناعه وافتتانه العظيمين بقصة جوجول «الأنف» التي تروى لنا قصة موظف أخطأ الحلاق دون أن يدري وهو يخلق له فقطع أنفه. وكذلك بسبب اعجابه الهائل بقصة مماثلة ألفها كافكا بعنوان «المسخ» Metamorphosis وفيها يتحول البطل الى مجرد حشرة.. وهو تحول يرمز إلى مدى ما تعرضت له انسانيته للمهانة واليهوان. وعلى ذات الفرار وجد بطل قصة روث نفسه يتحول - كما أسلفنا - إلى ثدي الأمر الذي يدل على سخرية المؤلف من التهاك على الملذات الجنسية. ولكن النقاد

رأوا ان رواية روث «الشدى» لانتقف على قدم المساواة مع «الأنف» لجوجول و«المسخ» لكافكا.

لقد تعرض فيليب روث لوابل من الانتقادات منذ أن خطا أولى خطواته فى عالم الأدب. ولم تقتصر هذه الانتقادات على معارضية بسبب رأيه السيئ فى اليهودية بل امتدت الى الدارسين والباحثين. وتصدى روث لهذا النقد فى عدد كبير من المقالات التى جمعها فيما بعد فى كتاب تربو صفحاته على المائتين والخمسين صفحة بعنوان «قراءة نفسى والآخرين» (١٩٧٥). ويرفض روث اتهام النقاد له بأن معالجته لليهودية تفجر فيه عادة طاقته الديناميكية للهجاء ليجد أن هذا الهجاء قد سيطر على كل ما عداه.

ويدل انتاجه الروائى اللاحق على أنه اطلق العنان للتعبير عن جموح رغباته الجنسية. ولكن تغيرا مهما طرأ على أدبه اللاحق فقد كف عن تقريع والديه ولم يعد ينحى باللائمة على يهوديته. أى أنه لم يعد يعتبرها مسئولة عما يعانى من مشكلات كما هو الحال فى رواية «بورتنوى». وتكشف روايته «حياتى كرجل» My Life as a man التى نشرها عام ١٩٧٤ عن عودة روث إلى أدب الاعتراف. فضلا عن تركيز الرواية الشديد على شهوات الجنس.

واللافت للنظر فى هذه الرواية انه لم يعد يعتبر يهودية البطل مسئولة عن فشله ويمكن القول أن أدب روث الروائى ابتداء من روايته «حياتى كرجل» اصبح يدور حول الشهوة الجنسية ولكن بدون إلقاء اللوم على الأم اليهودية التى كانت فيما مضى محور هجومه وانتقاده.

وفى عام ١٩٧٧ اصدر روث رواية بعنوان استاذ الرغبة The Professor of Desire. تعتبر بمثابة تكملة لروايته «الشدى» ويلاحظ ان المقت الذى يحمله المؤلف لأبويه اليهوديين قد اختفى من أستاذ «الرغبة» . وبعد ذلك اصدر روث ثلاثية روائية بدأها برواية «الكاتب الشبح» The Ghost Writer (١٩٧٩) التى تتضمن اشارة الى الهولوكست النازى. ويشمل الجزء الثانى من هذه الثلاثية وهو بعنوان «زوكerman طليقا» Zuckerman Unbound (١٩٨١) كثيرا فى سيرة روث الذاتية. ولكن هذا لايعنى ان أعماله الروائية ترجمة حرفية لحياته. بل يعنى فقط ان حياة المؤلف الداخلية والخارجية تشكل جوهر الكثير من كتاباته الخيالية والمتسمة بالقدرة على الوصف المتدفق البليغ الى جانب الموهبة الكوميديية غير العادية. ونحن نطالع فى الثلاثية هوس المؤلف بالجنس . وفى دفاعه عن نفسه يتهم روث معارضيه ومنتقديه بالخلط بين الشخصيات

الروائية وحياة مؤلفها . ومن ثم فهو يسعى في ثلاثيته الى استجلاء هذا الخلط .

ورغم توقف روث في أدبه اللاحق عن الزراية بأبويه اليهوديين فإن الثلاثية تعكس أصداء واضحة لهذه الزراية، فشخصية ناثن الروائية تنشر كتابا ناجحا يسمى فيه الى والديه اليهوديين . والوالدان اليهوديان في هذا الكتاب يشعران بالضيق الشديد من قسوة ابنهما المؤلف عليهما ولكنهما يكتمان هذا الضيق حتى لا يكرران عليه حياته . وعندما تحين ساعة والده يأتي ناثن الى جوار فراشه أثناء احتضاره فيسمع لفظ ابن الزنا ينبعث من شفتي الأب المحتضر . ولا يصدق ابنه ناثن اذنيه .. ثم يموت الأب . عندئذ ينفجر هنرى شقيق ناثن فى وجه أخيه العاق ويواجهه بالحقيقة المرة ، وهى أن أباه لقبه ابن زنا وهو يلفظ انفاسه الأخيرة . قال هنرى لأخيه مهتاجا : « أنت ابن زنا .. ابن زنا قاسى القلب وعديم الضمير » . فالولاء لايعنى شيئا بالنسبة لك . والمسئولية لاتعنى شيئا بالنسبة لك . وانكار الذات وضبط النفس لايعنيان اى شىء بالنسبة لك . فأنت ترى ان كل شىء يصح فضحه والتخلص منه . فلا غرو اذا رأيناك تستغل كل شىء كمادة للتفكك وتستغل الأخلاق اليهودية وقدرة اليهود على التحمل

وحكمة اليهود والعائلات اليهودية .. «وأسوأ ما فى الأمر أننا نجهد  
انفسنا كي نمنعها من قول رأيها بصراحة فيك .. لقد قتلت أباك  
ياناثان بالكتاب الذى ألفته عنه . إنه تفوه بطبيعة الحال بلفظ ابن  
زنا . لقد رأى كما أرى فيه ما فعلته بأبيك وأملك...»

وتقع كلمات هنرى وقع الصاعقة على أخيه ناثان الذى كان  
ينهار ونحن نشاهد هذا فى الجزء الثالث من الثلاثية المنشور عام  
١٩٨٣ بعنوان «درس التشريح An Anatomy Lesson فضلا عن  
أن هذه الكلمات تعمق فى ناثان إحساسه بالذنب. ويتضاؤل فى  
هذه الرواية انشغال مؤلفها بشهوة الجنس حيث نرى الألم الممض  
يعتصر قلب ناثان الراح تحت وطأة الاحساس بالذنب. بسبب  
أساعته الى أبويه اليهوديين. ولهذا يقرر ناثان نبذ الكتابة والأدب  
ويتوقف عن تأليف الكتب لبدأ دراسة الطب وهو فى الأربعين من  
عمره بعد أن شعر بأن موهبته الأدبية قد وصلت الى طريق  
مسدود. ويجدر بالذكر ان النقاد يلاحظون وجود كثير من أوجه  
التشابه بين حياة روث المؤلف وشخصياته مع اختلاف جوهري  
وهو أن روث لم يكف عن الكتابة مثلما فعل ناثان فى الجزء الثالث  
من الثلاثية التى تتمتع بالقدرة الهائلة على تسلية القارئ وبزيادة  
الاكتمال والنضج.

## ٨ - نورمان مالر

يختلف موقف الروائي الأمريكى نورمان مالر Norman Mailer

من يهوديته عن موقف كل من ييلو ومالامود وروث من يهوديتهم. لم ينكر مالر يهوديته ولكنه رفض ان يعتبر نفسه كاتباً يهودياً. يقول مالر فى هذا الصدد: «لن أقول ابداً اننى لم أكن يهودياً». ثم يضيف: «ولكنى لم استمد أية قوة من هذه الحقيقة».

ولد نورمان مالر فى لونج برانش Long Branch بولاية نيوجيرسى وانتقلت عائلته وهو فى الرابعة من عمره كى تعيش فى بروكلين حيث تلقى قدراً ضئيلاً من التعليم اليهودى. يقول مالر إن والديه كانا محافظين وتقليديين. غير أنه سرعان ما نسى بمضى الوقت ذلك القدر الضئيل من اللغة العبرية الذى اكتسبه فى باكورة حياته. وبمجرد التحاقه بالجامعة نسى مالر حياته فى بروكلين وأقرانه اليهود الذى خالطهم فى شوارعها ولم تعد تربطه بماضيه اليهودى أية صلة تذكر. وفى منتصف عقد الخمسينات اكتشف مالر - شأنه فى ذلك شأن الكثيرين من الكتاب والمثقفين اليهود آنذاك - كتابات وافكار الطائفة اليهودية التصوفية المعروفة بالهاديسية. وراق له الجانب الوجدى من هذه الكتابات. وفى تلك الفترة من حياته أدمن تعاطى مخدر المارجوانا.



ورغم ضعف الروابط التي ربطت مالر باليهودية فقد استحال عليه أن يتخلص منها تماما. وكان من الطبيعي أن نراه في مراحل الأولى يستمد كتاباته من تجاربه اليهودية. ومن ثم امتلأت صفحات رواياته بالذاكرة بالشخصيات اليهودية. وفي فترة تلقيه العلم بجامعة هارفارد (١٩٣٩ - ١٩٤٢) سطر يراعه كثيرا من الكتابات التي تتم عن شدة تأثره بالكاتب الأمريكي المعروف ارنست همنجواي. ومن أبرز هذه الكتابات أقصوصة بعنوان «حساب في السماء» A Calculus at Heaven تدور حول الحزب في الباسيفيك أثناء الحرب العالمية الثانية. ونشرها مالر لأول مرة عام ١٩٤٤ بعنوان «جزء مقطعي: مجموعة من الكتابات الأمريكية الجديدة» Cross - Section : A Collection of New American Writing وقام بتحرير هذه المجموعة إدوين سيفر Edwin Seaver وقد جذا مالر في هذه المجموعة خدو أسلوب همنجواي في الكتابة. وهو ما يتضح لنا من رسمه لشخصية لاعب كرة قدم يهودي أشقر الشعر يدعى وكسلر Wexler الذي اعتبر نفسه يهوديا بالاسم فقط. واستقى مالر الذي اشترك في حرب الباسيفيك لمدة ثمانية عشر شهرا مادته الروائية من تجاربه في هذه الحرب. فالف رواية بعنوان «العرايا والموتى» The Naked and The Dead التي تعتبر من أبرز الروايات الأمريكية التي تعالج الحرب العالمية الثانية.

وبعد هذه الرواية اختفت اليهودية من أدب مالر الروائي. والجدير بالذكر ان مالر ألف هذه الرواية فى زمن الحرب العالمية الثانية. اى فى فترة حرب الحلفاء ضد النازية الالمانية. والغريب فى الأمر ان امريكا آنذاك شهدت تصاعدا بين الأمريكيين انفسهم ضد السامية، ورغم ضعف ارتباط مالر ببني جلده فإن احساسه بالانتماء الى طبقة المطحونين جعله يشعر بالانتماء الى الشعب اليهودى المضطهد. يقول مالر فى هذا الشأن: «كنت يهوديا بسبب ولأنى إلى طبقة المطحونين». وقد حفزه شعوره بأنه مطحون الى تبني مواقف ثورية وراديكالية طيلة حياته. واعتبر مالر نفسه واحدا من اتباع المعسكر الاشتراكى. وعمل فى الفترة من ١٩٥٧ الى ١٩٦٣ عضوا فى هيئة تحرير مجلة «الانشقاق» وهى مجلة شهرية كرست صفحاتها للدفاع عن الاشتراكية الديمقراطية. وفى تلك الفترة وقع مالر لسنوات معدودات تحت تأثير واحد من اتباع تروتسكى اسمه جان مالاكيه Jean Malaquais الذى أحيا فيه الاهتمام بمعالجة السامية. وفى المناظرة التى عقدتها مجلة البارتيزان ريفيو عام ١٩٥٢ بعنوان «بلدنا وثقافتنا» اتفق مالر مع رأى ادموند ويكسون بأن الإحياء الذى أصاب الأدب الأمريكى خلال نصف القرن المنصرم يعبر عن الغربة والاحتجاج والاشمئزاز

والتمرد. غير أن اهتمام مؤلفنا بالجانب الاجتماعي للأدب سرعان ما زائله.

وتمثل رواية «مالر» الثانية «شاطيء باربرى» Barbary Shore (١٩٥١) مرحلة انتقالية فقد تخطى عن يساريته ككاتب وركز اهتمامه على استجلاء حالة الفرد الروحية ومشاعره الوجودية وانشغاله بما بين الافخاذ، وتعبر هذه الرواية عن عدائه للنظام الستاليني فضلا عن انها تستجلى الاسرار النفسية لانصار ستالين والبوليس السرى والنرجسية والسحاق والهستيريا والراديكالية. واللافت للنظر أن هذه الراوية تخلو من الشخصيات اليهودية ، ولكن الشخصيات اليهودية تعود إلى الظهور بشكل أو آخر فى أهم أعماله الروائية اللاحقة . وفى عام ١٩٥٢ نشر واحدة من أهم قصصه القصيرة بعنوان «الرجل الذى درس اليوجا» The Man Who Studied Yoga . ولكن الشخصيات اليهودية لاتلبث أن تحتل حيزا هامشيا فى روايات مالر التالية . وتدل روايته «حديقة الغزلان» «١٩٥٥» The Deer Park على تأثره الواضح بارنست همنجواى.

آمن مالر بالوجودية وعبر عنها فى أدبه الروائى من خلال شخصية أوشنسى O'shaughnessy . وهو طيار فى الحرب العالمية

الثانية قذف إحدى قرى الباسيفيك بالقنابل فيهوله الدمار المروع الذى ألحقه بالقرية . وتحوله أهوال الحرب إلى شخص يدين بالوجودية وماتنطوى عليه من ايمان بعث الحياة الانسانية .

فضلا عن أن مالر فى تلك المرحلة من حياته وقع تحت تأثير الكاتب ويلهلم رايخ «١٨٩٧ - ١٩٥٧» Wilhelm Reich وأخذ عنه الإيمان بأن الجنس أهم شىء فى حياة الإنسان . وأن رضا المرء وإشباعه لحياته الجنسية هو الضمان الأكيد لسعادته الجنسية ، ومن ثم ينبغى أن تصبح سعادة الفرد الجنسية الهدف من كل اصلاح اجتماعى ، ويشكل هذا الهدف المحور الأساسى الذى تدور حوله رواياته وقصصه ومنها قصته المهمة «زمن زمانها» The Time of Her Time وقد عبر مالر عن هذه الفكرة المحورية فى مقاله «الزنجى الأبيض» The White Negro حيث نراه يقول : «إن الجماع الجيد يفتح كل امكاناته فى حين أن الجماع الردىء يسجنه» . ونحن نشاهد أوشنسى فى «زمان زمانها» يعيش عيشة جيل البيتس المنطلق من كل القيود ، ويقابل هذا الرجل طالبة يهودية فى جامعة نيويورك ويسترسل فى التعليق على هويتها اليهودية المعقدة والتى يقوم طبيب نفسانى يهودى بتحليل عقدها ، وتحدثنا القصة عن فحولة أوشنسى الجنسية وكيف أنه رغم زهوه

بهذه الفحولة يجد عسرا فى توصيل الفتاة اليهودية إلى نقطة  
الجماع .

ويعالج نورمان مالر اليهودية بحيدة وموضوعية ، فضلا عن أنه  
يتعمد عدم التركيز على يهودية شخصياته الروائية فهو باستمرار  
يجعلها نصف يهودية أو أقل من ذلك ، وشخصياته الوجودية توطن  
نفسها على العيش كل يوم فى خطر داهم فخطر الحرب الذرية  
يخيم عليها كما أن خطر الموت ومعسكرات الاعتقال النازية لا  
يزال عالقا بأذهانها ، وحياة هذه الشخصيات الوجودية تشبه حياة  
الزنجى الذى تضطره الحياة فى المجتمع الأمريكى الأبيض إلى أن  
يعيش كل لحظة من لحظات حياته فى خطر مقيم، وهذه  
الشخصيات لاتكف عن البحث عن حريتها المطلقة وخاصة حريتها  
فى الاستغراق فى ملذات الجنس حتى لو انطوى ذلك على اقتراف  
الجريمة والقتل والاغتصاب والزنا بين المحرمين والمحرمات من  
نوى القربى .. والأهم ألا يتوقف فى البحث عن لحظة الذروة أى  
لحظة الجماع . وينسب مالر تطرفه الى الدعوة إلى مايسميه مابين  
الافخاذ إلى تردى حالة العالم فى الخمسينات الذى يهدده خطر  
الفناء الذرى والحرب الباردة والجو المكارثى الخانق للحريات الى  
جانب صور الموت والأهوال التى لاتزال عالقة بأذهان اليهود الذين  
بقوا على قيد الحياة فى معسكرات الاعتقال النازية ، وسعى مالر

إلى تمجيد الدعوة الى ما بين الأفخاذ فى شخصية روجاك Rojack فى رواية «حلم أمريكى» An American Dream ورغم أن مالر فى حديث أدلى به امتنع عن الاعتراف الصريح بأنه يتبنى الدعوة الى ما بين الأفخاذ فإن قضية قيامه بطعن زوجته تدل على مدى تأصل هذه الدعوة فى نفسه كما تدل على استعداده لأن يضعها موضع التنفيذ .

وأىضا يدل رأيه فى وجود الله على عدم إيمانه بالدين اليهودى . يشير مالر فى هذا الشأن إلى احترام الصراع الدائم بين قوتين مستقلتين هما الله والشيطان الذى يحرز أحيانا انتصارات على الله ، وهو نفس ماتذهب إليه الفلسفة المانية وإذا كان نيتشه قد قال : إن الله مات فإن مالر يقول : «إن الله فى خطر الموت» . وإذا كانت الفلسفة التصوفية اليهودية المعروفة بالهاسيدية قد راجت فإن هذا لايعنى اهتمامه بالدين اليهودى على الإطلاق . فالذى راق له فى الهاسيدية هو إيمانها بالفكر الوجودى . ويرفض مؤلفنا أن يعتبر نفسه يهوديا وهو يساوى بين الأقلية اليهودية والأقلية الزنجية فى المجتمع الأمريكى . وهو يستعرض اليهودية والزنجية بعين المراقب المحايد . والرأى عنده أن اليهودى والزنجى الأمريكى يشتركان فى خاصية واحدة فهما بحكم انتمائهما الى الأقلية يفتقران دوما الى الاحساس بالأمان ولهذا نراهما يفوقان الرجل الأبيض فى الوعى بالذات ونقد الذات .

ويستطرد مالر قائلاً : إن أسوأ شيء أن تتمثل الأقلية اليهودية أو الزنجية حياة الأغلبية البورجوازية المستقرة فاحتذاء الأقلية لحياة الأغلبية قمين بأن يحول حياتها إلى شيء بلا طعم أو لون أو رائحة . والديموقراطية في رأيه تعنى ان تتساوى الأقلية المطحونة بالأغلبية الطاحنة دون ان تفقد شيئاً من سماتها الأمر الذي يشجع على التعددية الثقافية . وواجب الأقلية ان تحول كراهيتها للذات الى فن رفيع . ويمتدح مالر الحكايات الهاديسية لأنها تمثل أقوى تعبير عن الحياة الفردية اليهودية عبر القرون العديدة وهي بذلك تمثل نوعاً من اليهودية الوجودية بعد انتزاع اليهودية منها ويتضح من مقاله « استجابات وردود فعل » - Responses and Reactions فتور اهتمامه بالهولوكست في بادئ الأمر غير أنه بمجيء الستينات أصبح يشارك كلا من بيلو ومالامود في ازدياد وعيه بالابادة الجماعية لليهود على ايدي النازيين . يقول مالر ان الهولوكست يمثل انتصار الشيطان على الله . ويذهب الى ان جزءاً من طاقة الله الخلاقة اندثر في معسكرات الموت اليهودية . اما اذا اصر يهودى على الاعتقاد بقدرة الله على كل شيء فانه في هذه الحالة يرى ان اهداف الله الغامضة تقتضى ابادة نصف شعب الله المختار في الأفران وغرف الغاز .

أمن مالر بمزيج غريب من الماركسية والوجودية والعدمية والمحافظة «وهو يطلق على نفسه اليسارى المحافظ» . ويتضح لنا من كتابه المنشور عام ١٩٦٨ بعنوان «جحافل الليل» Armies of the Night انه فى الفترة اللاحقة من حياته تبنى مواقف اجتماعية ايجابية لمناهضة المؤسسات القائمة . بل إنه بدأ يتصدى لهذه المؤسسات ويقاومها بقوة وايضا تتجلى لنا معارضته ضد النظام الاجتماعى الأمريكى مما سطره فى مقالات صحفية بارعة الى جانب مقالاته فى كتابه «جحافل الليل» حيث يصف لنا زحف المتظاهرين على البنتاجون فى مارس ١٩٦٨ وإلقاء السلطات القبض عليه . ونحن نراه بعد روايته الأولى «العرايا والموتى» يشير الى يهوديته على نحو عابر . فهو فى «جحافل الليل» يشير الى نفسه بأنه «ذلك الولد اللطيف الآتى من بروكلين وانه تعلم شيئا من العبقريّة اليهودية ومن الثوار كما تعلم حب المظلومين من زوجته الأولى وهى الزوجة اليهودية الوحيدة بين زوجاته الست . فضلا عن انه يحكى لنا فيه قصة عراكه مع امريكى يؤمن بالفاشية وبينما كان مالر بداخل عربة البوليس مع بعض المتظاهرين الآخرين فى انتظار ترحيلهم الى السجن اذ بهذا الفاشستى يعتمد استفزاز اليهود والسخرية منهم . ولم يطق مالر زرايته باليهود



فاشتبك معه فى عراق لم يفضه إلا واحد من كبار ضباط الشرطة . وشم الفاشستى مالر فرد له الصاع صاعين .

وتتميز موهبة مالر بالثراء ولكنها موهبة تحتاج الى التنظيم والتهديب والتشذيب . ومقالاته الصحفية ترقى الى مستوى الكتابة الأدبية وخاصة فى كتابه «جحافل الليل» التى أعطاها عنوانا فرعيا هو التاريخ كرواية والرواية كتاريخ . وبالإضافة زخرت نصته «أغنية الجلاد» . Executioner's Song ( ١٩٨٠ ) ( التى تحكى قصة قاتل ) بالخيال المختلط بسيرة حياته . والجدير بالذكر ان رواية مالر الأولى «العرايا والموتى» تتضمن عددا من الاشارات الى يهوديته فى حين أن أدبه الروائى اللاحق يشير الى يهوديته بطريقة عابرة . وهو يستخدم يهوديته فى ادبه اللاحق كأحد العناصر المهمة فى تصوير احساسه بعدم الأمان وعدم الاستقرار .

وعلى اية حال فبالرغم من انه يمكن اعتبار نورمان مالر يهوديا غير مكتمل فلا سبيل الى تجاهل يهوديته أو إنكارها مع انه يظهر عدم المبالاة بها .

## ٩ - الصورة الدينية اليهودية

### فى الأدب الأمريكى

بعد انحسار فرحة انتصار الحلفاء على قوات المحور فى الحرب العالمية الثانية بات من الواضح ان الحضارة الغربية تجابه محنة الأمر الذى حفز الكثير من الأدباء الى الالتجاء الى الدين كى يخلصهم مما يكتوبون به من بلاء . ولا غرو ان يدب الاعياء الروحى فى اوصال المجتمعات الغربية لعدة اسباب منها مثل خطر الحرب الباردة واحتمالات الفناء الذرى. وفى عام ١٩٥٧ نشر الناقد تشارلس اى جليكسبرج . Charles . I . Glicksberg

مقالاً بعنوان «الاحياء الدينى فى الادب المعاصر» يبين كيف ان إفلاس الماركسية وعدم استقرار العالم واختراع القنبلة الذرية والثورة العلمية حدت بالناس الى الارتقاء فى احضان الدين . وايضا انتشرت فى الخمسينات عدوى الأفكار العدمية نتيجة القلق والتعب الروحى والعذاب واليأس والحزن الوجودى المخيم على الغرب . وبطبيعة الحال تأثر الأدب بهذا الجو العام الذى يشيع فيه الاحباط فأصبح هذا الأدب يتحدث عن اغتراب الإنسان . ولم يجد أدباء أمريكا صورة للاغتراب افضل من صورة اليهودى الذى تعرض للاضطهاد عبر القرون ثم جاءت النازية لتسحق اليهود

تحت أقدامها . وذهب جليكسبرج فى مقال الى أن هناك دلائل على ظهور الانتعاش الدينى فى الأدب ولكنه دين لا يقيم وزنا للتمذهب .

وقد تنوعت ردود فعل الكتاب والمثقفين ازاء هذه المحنة فأثر البعض العودة الى حظيرة الدين التقليدى المتمثل فى المسيحية التقليدية واليهودية . ولجأ الكثيرون فى الغرب الى اديان الشرق مثل البوذية وغيرها . ولكن البعض أثر ان يسلك نفس السبيل الوجودى الذى سلكه كل من الفيلسوف جان بول سارتر والبرت كامو . أما نورمان مالر فقد استحدث وجودية خاصة به متأثرا احيانا بمارتن بيوبر صاحب الاتجاه الدينى اليهودى الوجودى المعروف بالهاسيدية الى جانب تعاطيه المخدرات ودعوته الى ما بين الافخاذ أى التهاك على الجنس وايمانه بالأفكار المانية المتمثلة فى الصراع الدائم المستعر فى الكون بين قوى الخير وقوى الشر .

ويمكننا ان نسوق موقف الاديب الأمريكى جنسبرج كمثال على هذه العودة الى حظيرة الدين ، فعندما سئل هذا الاديب عن الدين الذى يؤمن به أجابه بأنه قد يكون يهوديا بوذيا او «يهوديا يحمل خصائص بوذية ويهودية» على حد تعبيره . ومعنى هذا ان جنسبرج وجد فى اديان الشرق ملجأ وملاذا .

وبالاضافة إلى ذلك اتجه عدد من الكتاب اليهود إلى الدين .

فأمن الروائي ج. د. سالنجر بمزيج من المسيحية وديانة زن Zen اليابانية.

ولكن من الخطأ أن نعتقد أن كل المثقفين اليهود اتجهوا شطر الديانات الشرقية فقد أدت الإبادة الجماعية لليهود على أيدي النازيين إلى إيمان الكثيرين منهم بالدين اليهودي فضلا عن مناصرتهم وتأييدهم لدولة إسرائيل التي كان الهولوكست النازي أكبر حافز على إنشائها. ولم يكتف هؤلاء المثقفون اليهود بالاستمسك بالديانة اليهودية بل جاءت مساندتهم لدولة إسرائيل من باب تأكيد الهوية اليهودية. والجدير بالذكر أن جميع المستمسكين بالدين اليهودي لم يكونوا منتمين إلى معسكر واحد فقد تنوعت اتجاهاتهم الدينية بقدر ما تنوعت اتجاهاتهم الأدبية. من العائدين إلى حظيرة الدين اليهودي كل من هرمان ووك و Herman Wouk وتشين بوتوك Chain Potok وسنتيا أوزيك Cynthia Ozick وأرثر أ. كوهين. Arthur A. Cohen ولعل هرمان ووك الذي حظى أدبه بشعبية خير من يمثل العودة إلى الدين اليهودي. وهي عودة رحب بها أثرياء اليهود من سكان 'لريف الأمريكي. وتذهب رواية مارجوري مورنينج ستار (١٩٥٥) Mar-Morning star jorie تسعى مؤلفها الجاد للتدليل على أن حياة الدعة

التقليدية الهادئة والمتماثلة التي يعيشها أبناء الطبقة البورجوازية هي خير حل لمشاكل الحياة. وأيضاً ألف ووك فيما بعد كتاباً رائعاً بعنوان «هذا هو ربي» This is my God تتضمن حملة دعاية للترويج للدين اليهودي.

ومن الأسماء التي اتجهت إلى الدين اليهودي ميرون كوفمان Myron kaufmann وهيونيسنسون Hugh Nissenson وجاى نورجبورن Jay Neugeboren ومارك هلبيرن Mark Helprin ولكن أبرزهم جميعاً هم تشايم بوتوك Chaim Potok وأرثر كوهين وسنتيا أوزيك. ويتميز هؤلاء الكتاب الثلاثة بأن دفاعهم عن اليهودية يقوم على معرفة وثيقة بالتقاليد والمؤسسات الدينية اليهودية. ولا غرو فقد تلقى كل من كوهين وبوتوك العلم فى الخمسينات فى معهد الدراسات اللاهوتية اليهودية . وفى عام ١٩٥٤ تم رسم بوتوك كاهناً ثم واصل الدراسة ليحصل على الدكتوراه فى الفلسفة فى عام ١٩٦٥ . أما أوزيك العصامى فقد كرس جهوده الخاصة لدراسة الكتابات اليهودية. ويتميز هؤلاء الكتاب اليهود الثلاثة بإيمانهم العميق بالدين اليهودى والتعبير عن هذا الايمان فيما يسطرون من كتابات. ورغم أن بعض رواياتهم تخلو من الإشارة الى الدين فانه يمكن اعتبارهم جميعاً كتاباً دينيين.

وعندما نشر تشايم بوتوك عام ١٩٦٧ روايته «المختار» The Chosen أذهل نجاحها المنقطع النظير عالم الأدب. وأدرك الدارسون أن الرواية تمثل فتحاً أدبياً جديداً. فقد حملت هذه الرواية صوت مؤلفها اليهودي المميز الذي يختلف عن كل أصوات اليهود الآخرين أمثال لويسهون وكوفمان في أن بوتوك ألف رواية تدور أساساً حول التباين والصراع بين يهوديتين: يهودية عادية ويهودية مفرطة في تعصبها إلى حد الأصولية. وتروى الرواية قصة الصراع الذي احتدم في أمريكا بين المتشددين من أنصار اليهودية الأصولية وبين اليهود الأقل تشدداً. وتركز حبكتها على محاولة المصالحة بين العقل العصري وطريقته في دراسة التوراه وبين الأصولية الدينية الحرفية في تفسيرها للكتاب المقدس التي ترى أن فحص الدين بالأسلوب العلمى ليس سوى كفر بالله واستخفاف بكلامه.

والواقع أن بوتوك أعلن موقفه من هذا الصراع حتى قبل نشر رواية «المختار» وقد عبر عن هذا الموقف في مناظرة كانت مجلة «تعليق» قد عقدتها بعنوان «حالة العقيدة اليهودية» في عددها الصادر في أغسطس ١٩٦٦. يقول بوتوك في هذه المناظرة إن يهوديته أحرق بها الخطر طوال عام كامل شاهد فيه العذاب ولم

ينقذه من هذا العذاب سوى اكتشافه انه بإمكانه إعادة بناء الدين اليهودي من الداخل. ومن ثم قرر أن يخضع تصوص الكتاب المقدس إلى نقد وتحليل علمي حديث. ومعنى هذا أن الصراع الذي يصوره كتابه «المختار» يتضمن جانباً من سيره حياته، ويأتى الصراع بين الايمان اليهودي المتشدد والايمان اليهودي غير المتشدد بين فريقين من الطلبة يتباريان فى لعبة الباس بول الأمريكية. وتدل الكراهية المشبوبة التى يحملها كل من الفريقين للفريق الآخر على مدى ما بينهما من شحناء وبغضاء بسبب الخلافات الدينية العقائدية التى تفصل بينهما ولكن طالبين يمثلان الفريقين المتصارعين (وهما داني سوندرز Danny Saunders الهاسيدي المتشدد وريفين مولتر Reuven Malter الميسنا جيدي Misnagid الذى يظهر مرونة دينية) سرعان ما يتحولان من البغض الى الصداقة.

ورغم أن بوتوك يظهر ميلاً نحو الحداثة العلمية فإنه ظل حتى آنذاك لا يدين بالحداثة الأدبية. ويتميز أسلوب بوتوك بالوضوح والمباشرة فضلاً عن جلاء معانيه ولغته المباشرة الخالية من الغموض والزخرف. ولكن هذا الوضوح لا يقلل من عمق ملاحظاته وجدية معالجته للمشكلات. ومما زاد من شعبيته ككاتب الانتقال

السريع فى أحداث روايته. ويعد «المختار» أصدر بوتوك عددا من الروايات هى «الوعد» The Promise المنشورة عام ١٩٦٩ ، و«اسمى اشير ليف» (١٩٧٢) My Name is Asher Lev و «فى البداية» (١٩٧٥) In The Beginning و«كتاب النور» (١٩٨١) the- Book of Lights وغيرها من الروايات. ولكن رواية «المختار» تمثل أروع ما كتب. وجميع روايات بوتوك تدور حول نفس هذا الموضوع وهو الصراع بين تفسير التوراة ككلمة الله المنزلة والتوراة كوثيقة أو نص قديم يخضع للنقد والتحليل بكل ما تحتويه من مذاهب وطقوس ودلالات اجتماعية . وبسبب عجزه عن تنويع موضوعاته الروائية يذهب بعض النقاد إلى أن مؤلفنا يفتقر إلى الخيال الخصب.

ورغم أن آرثر أ. كوهين لم يكتب غير رواية دينية واحدة على قدر كبير من الأهمية فإنه ترك أثرا دينيا فى مجتمع المثقفين. وكان كوهين أستاذا للفلسفة اليهودية فى معهد الدراسات اللاهوتية اليهودية فى الفترة من ١٩٥١ حتى ١٩٥٢. وألف روايات وكتبا فى اللاهوت إلى جانب اشتغاله بالنشر. وأوضح كوهين موقفه الدينى فى مقال نشره فى أبريل ١٩٥٩ فى مجلة هاربرز Harper's تحت عنوان «لماذا اخترت ان أكون يهوديا». وذهب كوهين



فى مقاله الى أن اليهودى لا يستطيع ان يختار يهوديته إلا إذا كان  
متميا الى الجيل الثالث من المهاجرين لأن المجتمع لن يعتبر  
المنتمى الى الجيل الأول والثانى يهوديا مهما كانت أفكاره  
وعقيدته، أى أنه يهودى سواء شاء ذلك أو لم يشاء. اما اليهود  
المنتمون إلى الجيل الثالث من المهاجرين اليهود فهم وحدهم الذين  
يستطيعون أن يصبحوا يهودا بمحض اختيارهم. يقول كوهين فى  
هذا الصدد إن الامر يختلف فى يومنا الرهن لأن قوى التاريخ  
التي لا تقاوم لم تعد ترغبه على اعتناق اليهودية مثلما كان الحال  
فى الماضى. ولكن اليهودى فى يومنا الراهن يستطيع أن يختار  
بين البقاء على يهوديته أو اعتناق المسيحية أو الالحاد أو اظهار  
عدم المبالاة بالدين. ومن ناحيته اختار كوهين الاستمسك بدينه  
اليهودى دون أن يكون ذلك راجعا إلى ولائه للشعب اليهودى أو  
الدولة اليهودية بل آمن بيهوديته كدين . ويقول كوهين إن اختياره  
للدين اليهودى جاء نتيجة تفكير عميق وتأمل طويل ودراسة متأنية .  
ويضيف كوهين أن إيمانه باليهودية يرتكز على أربعة أعمدة أولها  
أن إيمانه باله ابراهيم واسحق ويوسف يعنى فى نظره تأكيد  
حقيقة تعمل من خلال التاريخ وتخاطب البشر . ثانيا إن الناموس  
الموسوى هو كلمة الله التي ينقلها التوراة والتي تدل على أية تعاليم

من شأنها تقريب الإنسان من الاله الحق إله اسرائيل ورب التاريخ. ثالثا إن الله اختار الشعب اليهودى ليصبح أداة خاصة يستخدمها لأغراضه دون أن يتبع ذلك غرور اليهود أو صلفهم لهذا الاصطفاء الالهى . فمعناه أن الله وفر لليهود حقيقة مهمة يمكن لجميع البشر بلوغها . رابعا إن يسوع ليس المسيح الذى يتحدث عنه الكتاب المقدس فالمسيح سوف يأتى إلى العالم فيما بعد لتخليص التاريخ من أدرانته وأوزاره . ويسوع الذى يؤمن به المسيحيون ليس فى نظر اليهودى سوى خادم فى سلسلة من خدام الله الذين يكابدون العذاب . وهو خادم قام الله بإرساله لتعليم الأمم .

ولا تقتصر كتابات كوهين على اللاهوت الذى ألف فيه عددا كبيرا من الكتب بل تجاوزته إلى معالجة النقد الأدبى وتأليف الروايات ومن بينها تلك الرواية المهمة التى نشرها عام ١٩٧٣ بعنوان «فى أيام سيمون ستيرن» In the Days of Simon Stern . وهى رواية فى قالب فنى نسجتها روعة خيال المؤلف وتتضمن وجهة نظر خاصة بمجىء المسيح لخلاص العالم . والمسيح فى هذه الرواية ليس المسيح الذى تؤمن به المسيحية بل هو حكيم من الحكماء الستة والثلاثين الذين يعتقد المؤلف أنهم يظهرون فى كل

جيل تمهيدا لمجىء المسيح الحق فى المستقبل . وتبدأ أحداث قصة ستيرن فى بولندا . وستيرن ثمرة زواج أبوين أوعز به عراف تنبأ بأنهما سينجبان ابنا (سيمون ستيرن) سوف يصبح أحد الحكماء الستة والثلاثين فيصبح بذلك مسيحا صغيرا . وتهاجر عائلة ستيرن إلى الولايات المتحدة وتستقر فى الجانب الشرقى من مدينة نيويورك حيث تتضح عبقرية سيمون فى جمع المال . فقد استطاع جمع ثروة تقدر بمائة مليون دولار . وتمر الأيام دون أن يكتشف هذا الرجل إلا فى الحرب العالمية الثانية أن الله أراد له أن يكون منقذا أو مسيحا صغيرا . ويدرك سيمون أن الله أراد له أن يجمع ثروته الطائلة من أجل غرض مقدس . ومن ثم يقوم بإنشاء مجتمع فى أمريكا يضم الناجين من الهولوكست النازى . ولكن سيمون يرتكب خطأ فاحشا فقد وقع اختياره على رجل شرير نصف يهودى نجا بجلده من الهولوكست اسمه جانوس بولتار من أجل إدارة مجتمع الناجين من الإبادة النازية . ويفتضح أمر الشر الذى يرتكبه بولتار فيشعل النار فى التجمع اليهودى ويدمره . وقد حصلت الرواية عام ١٩٧٤ على جائزة انوارد لويس والانت Ed-ward Louis Wallant باعتبارها أهم رواية يهودية صدرت فى ذلك العام .

وتتميز هذه الرواية باللمسة الجمالية وبالخيال القادر على تصوير العناصر فوق الطبيعة في العقيدة اليهودية وخلق هذه الرواية من الأفكار اللاهوتية وتشبعها بروح العصرية والحدثة مما جعل المؤسسات اليهودية في أمريكا ترحب بها .

وأیضا تتجه الروائية اليهودية الالامعة سنثیا أوزیک Cynthia Ozick إلى الدين اليهودی رغم أنها قليلة الكلام عن معتقداتها الدينية اليهودية . وقد حصلت هذه الروائية عام ١٩٧٢ على جائزة مجلس الكتاب اليهودی عن روايتها «الحبر الوثني وقصص أخرى» (١٩٧١) The pagan Rabbi and other Stories . ورغم امتياز أعمالها الروائية فإنها محدودة الانتشار . وإلى جانب القصة والرواية كتبت سنثیا أوزیک طائفة كبيرة من المقالات ومراجعات الكتب . وتتميز مقالاتها في أغلب الأحيان بالخيال الخصب ، ويبدو أنها لم تتلق تعليما نظاميا بل علمت نفسها بنفسها . وهي متبحرة في التاريخ اليهودی والمعارف اليهودية . والذي تقوله سنثیا عن أدب الییدیش ينطبق كذلك على أدبها .

تقول هذه الكاتبة عن أدب الییدیش إنه يخلو من الاغتراب والعدمية ومذهب الدادية . وهي من أشد الناس حماسا في دفاعها عن الأدب المكتوب باللغة الانجليزية الهادف في جوهره إلى التعبير عن اليهودية .

ولكن دفاعها عن الأدب اليهودى لم يكن واضحاً فى أول رواية ألفتها عام ١٩٦٦ بعنوان «الثقة» Trust وهى رواية ضخمة مكتوبة بطريقة هنرى جيمس تدور أحداثها حول الخيانة . وتنم هذه الرواية عن شدة تمكنها من اللغة الانجليزية .

وقد كتبت سنثيا عام ١٩٧٠ مقالا بعنوان «أمريكا .. نحو يافنيه» Amessice: Toward yavneh جاء فيه : «كرست حياتى حتى وقت حديث للغاية للدين فى الفن .. كان ذلك أملى والتزامى وإيمانى الوحيد» ثم تستطرد قائلة إنها عندما بدأت فى تأليف أى كتاب كان هدفها مخاطبة غير اليهود . ولكن بمجرد انتهائها من الكتاب وجدت أنها قد ألفتها من أجل اليهود . وما أن فرغت من كتابة رواية «الثقة» حتى ضاقت ذرعا بأسلوبها الذى يخاطب صفوة المثقفين وطموحها فى تأليف الفن الرفيع . وتدل أعمالها اللاحقة على أن تغيراً طرأ عليها فقد استهوتها كتابة القصة والرواية القصيرة على طريقة الأديب الأمريكى فرانك أوكنور Frank O` Conner .

وفى عام ١٩٧٠ اكتمل مفهومها للمنظور اليهودى للأدب فعبرت عنه فى بحثها المشار إليه «أمريكا .. نحو يافنيه» الذى شاركت به فى الحوار الأمريكى - اليهودى السنوى الثامن المنعقد فى القدس.

وتذهب سنثيا فى بحثها إلى أن الشتات اليهودى أشبه ما يكون بأورشليم بعد نزوح أهلها عنها . وفى رأيها أن أمريكا تشبه البعث الثقافى الذى شهدته يافنيه بعد هدم معبد سليمان فى أورشليم . أى أن أمريكا سوف تصبح لبعض الوقت مثل يافنيه الملجأ الذى يلوذ به اليهود بعد طول شتات حتى يأتى الوقت الذى تتمكن فيه إسرائيل من دعم قوتها ضد البربرية والهمجية . وهى تؤكد أن لغة هذا الملجأ اليهودى سوف تكون الانجليزية المطعمة باللغة العبرية ، وهى لغة تطلق عليها سنثيا اسم «لغة اليبديش الجديدة» . وتعترف مؤلفتنا بأنها تشعر أحيانا بقصور اللغة الانجليزية التى تعلمتها لأنها على حد تعبيرها لغة مسيحية عاجزة عن الاحاطة بفيض الأفكار اليهودية التى تشبه المحيط فى غزارتها . وهى تضيف أن مثل هذه اللغة الانجليزية المستحدثة يجب أن تكون نابضة بالخيال الأخلاقى وأن تعكس صوت المجتمع فضلا عن أن تكون صدى لصوت الله رب التاريخ. والرأى عندها أن هذه اللغة ينبغى ألا تكون علمانية لأن هذا يتنافى مع طبيعة اللغة اليهودية . غير أنها فى عام ١٩٨٢ تخلت عن فكرة استحداث لغة يهودية جديدة واصفة هذه اللغة بأنها مجرد حلم قديم راودها ، وذلك فى مقال نشرته فى مجلة «تعليق» بعنوان «لغة اليبديش الجديدة» . وهى فى

يومنا الراهن تكتفى بالدفاع عن مزج التنوير بالأساسيات اليهودية  
أى بالدفاع عن خليط من القوة الفكرية النابعة من التنوير  
والانغماس العميق فى «الحساسية اليهودية» ودراسة الكتب  
المقدسة .

وفى الخطاب الذى ألقته سنثيا بمناسبة حصولها عام ١٩٧٢  
على جائزة مجلس الكتاب اليهودى عن روايتها «الحبر الوثنى»  
نراها تذهب إلى أنه يجب على اليهودى أن يقتفى أثر التاريخ ولا  
يتبع الطبيعة أى أن يتبع الممارسات التاريخية اليهودية وليس  
المذهب الطبيعى الوثنى. والرأى عندها أن الكتابة اليهودية يجب  
أن تحتوى على مضمون أخلاقى من صميم التقليد اليهودى . وفى  
تفسير الوصايا الموسوية بأنها ليست مجرد نهى عن الوثنية ورفض  
لعباداة الماديات فضلا عن اتباع أى شئ لذاته إلا إذا كان ينطوى  
على دلالة دينية أو أخلاقية . ولهذا السبب اعتبرت سنثيا الفن للفن  
كنوع من الوثنية واليهودى الحق فى نظرها هو المؤمن بالتماثل فى  
الأفكار التقليدية والتعليمات الواردة فى التوراة. ومن الغريب أنها  
ترى أنه يمكن لليهودى عدم الايمان بالله. ولكنها تعتقد أنه يتعين  
عليه العمل على تواصل روح التقاليد اليهودية. وأدى هذا إلى  
اقتصار اهتمامها على الأخطار الناجمة عن الهولوكست والعداء

ضد اسرائيل واحتمالات عودة الهولوكست من جديد . وبلغ اهتمامها بالشئون اليهودية حدا أنساها احتمال تدمير العالم عن طريق استخدام القنبلة الذرية . وصور لها خيالها أن أمريكا نفسها قد تمارس إبادة اليهود فى يوم من الأيام قد يكون أقرب مما نتصور .

وتدل قصصها القصيرة على شدة مهارتها فى استخدام اللغة الانجليزية وقوة خيالها التى تجلت فى مقالاتها أحيانا . وقصصها تتأرجح بين الوضوح والغموض فضلا عن ارتباطها الوثيق بالتقاليد والمضامين والروح اليهودية . وتعتبر قصتا «الحبر الوثنى» (١٩٦٦) و«الحسد أو لغة الييديش فى أمريكا» (١٩٦٩) أفضل اعمالها القصصية على الاطلاق . والقصة الأولى تدور حول الصراع بين التقليد اليهودى الراسخ وبين الحب الوثنى للطبيعة . فى حين تدور القصة الثانية حول الحسد الذى يحس به شاعر ييدش لا يجد أحدا يترجم أعماله وبين كاتب ييدش آخر يتكالب المترجمون على ترجمة مؤلفاته . والأهم من تصوير هذا الصراع أن القصة تلقى الضوء على محنة استخدام لغة الييديش فى العصر الحديث .

والجدير بالذكر أن سنثيا عبرت بقوة عن تأييدها للأدب



النسائي وحركة التحرر النسائي . وفي صيف عام ١٩٧٨ قامت هذه الكاتبة اليهودية بزيارة اسرائيل حيث عقدت جامعة بارايلان ندوة عن اليهودية والفكر المعاصر.. قالت سنثيا إن ابادة كثير من اليهود على أيدي النازيين وتدمير الكثير من المواهب اليهودية يحتم ضرورة تشجيع اليهوديات على ولوج مضمار الخلق والابداع لتعويض ما فقده بنو اسرائيل من مواهب. وصدمت سنثيا أسماع الحاضرين عندما تشككت في صحة مقولة الباحث الحديث «أدين شتيولتز» Adin Steinsaltz التي ترى أن التلمود يمثل الجهد الجماعي الذي بذله الشعب اليهودي بأكمله . وتذهب سنثيا إلى أن هذه فرية فالتلمود في نظرها نتاج الذكور فقط من الشعب اليهودي لأن النساء اليهوديات استبعدن من الاشتراك فيه. وهذا معناه أن العبقرية اليهودية الحقة لم تظهر إلى الوجود حتى الآن. فهي لم تتعرض لفجيرة الهولوكست فحسب بل إن العنصر النسائي محروم من الاسهام فيها.

وشرحت سنثيا وجهة نظرها حول مكانة المرأة في ظل الديانة اليهودية في مقال نشرته عام ١٩٧٩ في مجلة نسائية يهودية تسمى ليليث Lilith . تقول كاتبتنا ان التوراة تورط في خطأ عندما أشار إلى الله باعتباره ذكرا (هو). قاله فوق التذكير

والثَّـبِيرَ معاً . والتوراة يخطئ عندما ينظر إلى المرأة بنفس النظرة التي ينظر إليها بها العالم كله . فهذه فضيحة تشكك المرأة في صحة التوراة وفي ثم فإنها ترى ضرورة إضافة وصية أخرى إلى الوصايا العشر اليهودية المعروفة . وفيما يلي نص هذه الوصية الجديدة: « إياكم والتقليل من انسانية المرأة ».

وفي عام ١٩٧٦ أصدرت سنثيا مجموعتها القصصية الثانية بعنوان «سفك الدماء وثلاث قصص طويلة» Bloodshed and Three Novellas وتروى إحدى قصص هذه المجموعة وهي بعنوان «مأجور» A.Mercenary حكاية يهودى بولندى يكره نفسه كان يعمل سفيراً لدولة افريقية لدى الأمم المتحدة . ولهذا اليهودى عشيقه ألمانية تسمى لولو دأبت على معايرته لاختفائه يهوديته وتنصله منها . وتعالج هذه القصة ماهية اليهودى . أما قصة «اغتنصاب» Usurpation فتعالج مشكلة الفجوة التي تفصل بين اليهودية والفن أو بالأحرى تعالج خطر الإغراء المتمثل فى السعى إلى الفن من أجل الفن . وهى فكرة تعتقد سنثيا أنها تؤدى فى النهاية إلى عبادة الفن لذاته فى حين أنها تعتقد أنه ينبغى على اليهودى أن يرى فى القصة تقييماً للعالم أو حكماً عليه وتفسيراً له . وهى تحبذ بشدة ضرورة الربط بين كتابة القصة ومراعاة

الناموس. والمؤلفة تتصور في «اغتنصاب» أن جميع كتاب القصة سوف يجمعون في الفريوس في قفص واحد ليتلقوا درسا مفاده ان كل ماهو خارج الناموس تافه وليس له وزن . وتسعى سنثيا في قصتها إلى تحذير القصاص من مغبة تجاهل الناموس فيما يسطرون.

إن سنثيا تتميز بخصوبة الخيال ومتانة اللغة وتدققها كما أنها تتمتع بالقدرة على تصوير الواقع بطريقة تثير تعاطف القارئ رغم قسوتها. ويتجلى لنا هذا من القصة القصيرة «الشال» The Shawl التي نشرتها في مجلة النيويوركر بتاريخ ٢٦ مايو ١٩٨٠ حيث نشاهد طابورا متحركا من اليهوديات يضم شابة وطفلها وهن في طريقهن إلى الموت بدون رحمة أو شفقة على أيدي جلاديهن من النازيين . ويتميز السرد القصصى بالجمع بين الواقع والخيال، فضلا عن أنه ينبض بالحياة الدافقة ويمتزج في كثير من الأحيان بالنكتة الذكية.

وفي روايتها التالية «مجرة أكلة لحوم البشر» (١٩٨٢) The Cannibal Galaxy تناقش المؤلفة ماهية الثقافة اليهودية الحديثة . وتدور هذه الرواية حول شخصية يهودية محورية تنجو من الموت

من الهولوكست هي شخصية جوزيف بريل JOSEPH BRILL الذي اختبأ من النازيين فى بدروم فى باريس فى فترة الحرب العالمية الثانية . وتزوده الراهبات بالكتب ومن بينها كتب اليهودى الفرنسى المثقف الواعى ادموند فليج Edmond Fleg الذى استطاع الجمع بين الثقافة العبرية وتقاليده حركة التنوير . وفيما بعد يهاجر ادموند فليج إلى الولايات المتحدة حيث تقوم مدرسة الزامية على طريقة ادموند فليج بالجمع بين الدراسات العبرية وغير العبرية.

وخلاصة القول ان هناك فى أمريكا اليوم اهتماما متزايدا بمعالجة الموضوعات والشخصيات اليهودية فى الأدب . وهو اتجاه تواكبه عودة الأجيال الشابة إلى الدين اليهودى دون أن تجمع شملهم مدرسة فكرية أو أدبية واحدة.

واليوم تغير الأسلوب الأدبى التقليدى فى معالجة اليهود كأنماط وأصبح يتعامل معهم كأفراد . ولا يقتصر هذا التغير على الكتاب اليهود وحدهم بل يمتد إلى الكتاب غير اليهود . ويدور عدد كبير من الروايات اليهودية حول فكرة تزايد تأقلم المهاجرين اليهود بمضى الوقت مع الثقافة الأمريكية، ثم إن الكتاب اليهود حملوا

لواء الحداثة الأدبية إلى جانب ميلهم نحو اليسار السياسى .  
واتجه عدد من المفكرين اليهود إلى الوجودية والتعبير عن الاغتراب  
والنظرة العدمية المتشائمة غير أن نفرا من الكتاب اليهود البارزين  
أمثال شاؤول بيلو وبرنارد مالامود رفضوا الاستسلام للاغتراب  
والياس من الحياة الانسانية وعبروا عن حرصهم على تأكيد قيمة  
الحياة الذى تنطوى عليها التقاليد اليهودية . وبسبب الهولوكست  
النازى بادر بعض الكتاب اليهود بالمساندة السافرة لدولة  
اسرائيل. وبالنظر إلى أن عقد الخمسينات فى أمريكا شاهد ظهور  
عدد كبير من المواهب الأدبية اليهودية فإنه يمكن اعتبار هذا العقد  
عقد الانتعاش الثقافى اليهودى فى الأدب الأمريكى . ومنذ ذلك  
الحين صار الكاتب اليهودى جزءا لا يتجزأ من النسيج الفكرى  
والثقافى الأمريكى ولحمة وسدة هذا الفكر وليس مجرد شئ وافد  
على الساحة الثقافية الأمريكية . ولم يتغلغل اليهود فى الأدب  
الأمريكى الجاد فحسب بل أيضا فى الكتابات الفثة وعروض  
التسلية التى تروق لعامة الناس.

وفى نحو السبعينات حدث شئ مشابه فى أدب الزنوج فى  
امريكا الذى استطاع الحصول على نفس الاعتراف الذى سبق  
للأدب اليهودى الحصول عليه فى عقد الخمسينات. فضلا عن أن

الأمريكان أخذوا يحفلون بالأدب النسائي. واللافت للأنظار فى الآونة الأخيرة ظهور اتجاه متنام بين الأدباء، والمثقفين الأمريكان نحو الدين بما فى ذلك الدين اليهودى بسبب الأخطار البيئية والنووية التى باتت تهدد وجود الانسان على كوكب الأرض.

## فهرس

- ١ - دور المجلات اليهودية الثقافية ..... ٥
- ٢ - الخمسينات وذروة التغلغل اليهودى فى الادب  
الامريكى ..... ٣٥
- ٣ - النقاد اليهود فى أمريكا ..... ٩٠
- ٤ - أدب الاغتراب : ديلمور شوارتز ..... ١٣٨
- ٥ - شافول بيلو ..... ١٦١
- ٦ - برنارد ملامود ..... ١٨٧
- ٧ - فيليب روث وأدب الاعتراف ..... ٢٠٢
- ٨ - نورمان مالر ..... ٢٢٠
- ٩ - الصحوة الدينية اليهودية فى الأدب  
الأمريكى ..... ٢٣٠

# الملال

المجلة الثقافية الأولى فى مصر

والعالم العربى

نوفمبر ١٩٩٨ عدد ممتاز تقرأ فيه :

● الثقافة الامريكية ، حضارة

السوق ونفى الثقافة

● توفيق الحكيم ١٠٠ سنة على

ميلاده «جزء خاص»

● اعداء التكنولوجيا .

رئيس التحرير

مصطفى نبيل

رئيس مجلس الإدارة

مكرم محمد أحمد



روايات الهلال تقدم

# رجل بلا روح

تأليف

توفيق الحكيم

---

رئيس مجلس الإدارة: رئيس التحرير  
مكرم محمد أحمد مصطفى نبيل

تصدر ١٥ نوفمبر ١٩٩٨

كتاب الهلال يقدم

فتحي رضوان  
نصف قرن  
بين  
السياسة والأدب

رئيس التحرير  
مصطفى نبيل

رئيس مجلس الإدارة  
مكرم محمد أحمد

يصدره ديسمبر ١٩٩٨

دار الهلال تقدم

---

## سجل الهلال المصور

٣٠٠٠ صورة في ١٥٤٠ صفحة  
تعبّر أصدق تعبير عن الحياة  
السياسية والاجتماعية والفنية  
والأدبية في مصر ١٠٠ عام

صدر في جزئين

الثنى ١٠٠ جنيه

اطلبوه من مكتبات دار الهلال

بناءً على رغبة آلاف القراء

دار الهلال تقدم

الطبعة الثانية من

# اعجاز القرآن

« الجزء الثاني »

تأليف : رءوف أبوسعدة

الشمس ♦ جنيهاً

## الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوي ( ١٢ عددا ) ٤٥  
جنيها داخل ج . م . ع تسدد مقدما نقدا  
أو بحوالة بريدية غير حكومية - البلاد  
العربية ٣٠ دولارا - امريكا واوروبا واسيا  
وافريقيا ٤٠ دولارا - باقى دول العالم  
٥٠ دولارا .

القيمة تسدد مقدما بشيك مصرفى لأمر  
مؤسسة دار الهلال ويرجى عدم ارسال  
عملات نقدية بالبريد .

## ● وكلاء اشتراكات مجلات دار الهلال

الكويت : السيد / عبدالعال بسيوني زغلول ، الصفاة - من . ب رقم ٢١٨٢٣  
للحصول على نسخ من كتب الهلال اتصل بالتهاتف : 92703 Hilal.V.N

---

رقم الايداع : ١٤٣٨٠ / ١٩٩٨

I. S. B. N

977 - 07 - 0618- 3

---





أكثر من ٤٠ رحلة أسبوعياً  
إلى ٩٤ مدينة عالمية ومحلية  
خدمة متميزة وكرم ضيافة



مصر للطيران  
EGYPT AIR



## هذا الكتاب

يهود أمريكا في يومنا هذا قوة مهيمنة على عقول أمريكا ،  
وتعمل جاهدة على بث الحق والكراهية للعرب ومناصرة  
إسرائيل في كراهيتها للفلسطينيين والعرب وشاغلها الأوحاد  
تنمية إسرائيل علميا واقتصاديا حتى تكون هي الأقوى دائما .  
والكتاب الذى بين أيدينا يؤكد أن القوة اليهودية المسيطرة  
على عقل وفكر الأمريكان ليست وليدة اليوم فمنذ بدأ التغلغل  
اليهودى فى الأدب الأمريكى منذ الأربعينات حتى اليوم وهم  
الاحتياطي الاستراتيجي لإسرائيل . ويهود أمريكا يملكون الآن  
مراكز أبحاث خاصة بهم ، تعمل على ترسيخ اقتناع اليهودى  
الأمريكى بأنه جزء لا يتجزأ من نسيج المجتمع الأمريكى . ومن  
أبرز مظاهر التمثيل اليهودى الكامل للحياة الأمريكية إنشاء  
جمعية عام ١٩٠٦ فى جامعة هارفارد ، تهدف إلى اندماج  
اليهود فى المجتمع الأمريكى ، وتحمل اسم «مينورا» ، وأصدرت  
هذه الجمعية مجلة «مينورا» وهى مجلة ثقافية علمانية خطيرة  
الأثر ، تهدف إلى تجنيد جميع الموارد اليهودية لدعم الجهود  
التي يبذلها اليهود للإسهام فى إثراء الحياة الفكرية الأمريكية ،  
وبفضل نشاطها استطاع يهود أمريكا التربع ع  
الأمريكى وتوجيه جهود أمريكا لخدمة قضايا  
وخارجيا ومناصرتها .

وفى هذه الدراسة المهمة نتعرف على الأ  
المعروفة فى النقد الأدبى والأسماء التى لا  
الأمريكية الحديثة والمعاصرة ، وكيف كونت ال  
اليهودية قديما وحديثا الفكر الأمريكى لمعاداة  
إسرائيل داخليا وخارجيا ، ومن هنا تكون أهمية  
هذه المرحلة الحاسمة .

Bibliotheca Alexandrina



0331325